المظاهر الحضارية
للحكم الأموي في الأندلس

138-422 هـ

تأليف
د.نادرحسن محمد الشاوش

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤م

طبع هذا الكتاب بمطابع الوان

ALWAN
الـــوان ALWAN
للطباعـــة والإعـــلان

عـــدن - المنصـــورة - شـــارع البلديـــة
امام المعهد المهني - جوار سليب هاي للمغروشات
+967 780 706 030 - +967 770 004 722
alwanprn alwan.prn@gmail.com

﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾

صدق الله العظيم

سورة الحجرات، آية ٤٩

شكر وثناء

إنه لمن دواعي تقديري البالغ أن أتقدم بالشكر إلى الأخ والصديق الاستاذ: علي أحمد الصغير الجلاب، الذي يعود له الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في إنجاز هذه الدراسة؛ وذلك لما قدمه من دعم وتشجيع، فجزاه الله عنا خير الجزاء.

المؤلف

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم، نحمده تعالى على سابغ الخيرات والنعم، ونثني عليه الخير كله ما علمنا منه ومالم نعلم، ثم الصلاة والسلام على خير الأنام، كريم السجايا، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه وبه ائتم.

تعد دراسة التاريخ الإسلامي من أهم الدراسات التي يتوجب توجيه الاهتمام إليها، ولاسيما الجوانب الحضارية التي تعكس مستوى رقي المجتمعات الإسلامية أو تدهورها.

ومن هنا جاء اختيارنا لهذه الدراسة عن دولة الأمويين في الأندلس والتي اختصت فقط بالمظاهر الحضارية فيها؛ فقد شغل حكمهم لها حيزاً كبيراً من تاريخ الأندلس الإسلامي من سنة ١٣٨هـ إلى أن سقطت دولتهم سنة ٤٢٢هـ، ومثّل هذا العهد كما ذكرت المصنفات التاريخية أزهى وأرقى عصور تاريخ الأندلس الإسلامي سياسيًا، وإداريًا، وعسكريًا، واقتصاديًا، وثقافيًا، وعمرانيًا، وتبين ذلك من النظر في النظم السياسية والإدارية والمالية التي سنها الحكام الأمويون، وكذلك ما أحدثوه من تقدم في القضاء ورسومه، وتنظيم الجيش وإنشاء الأسطول البحري، والتطور الاقتصادي الذي عاشته الأندلس في عهد هذه الدولة، سواءً كان ذلك في الجانب الزراعي والصناعي أم التجاري، وكذلك مظاهر النهضة العلمية التي عاشتها الأندلس آنذاك، في المجالات العلمية كافة، وهي النهضة التي كان للحكام الأمويين دور كبير فيها سواءً أكانت مشاركتهم في العلوم المختلفة، أم دعم العلماء وتشجيعهم؛ وهو الأمر الذي نتج عنه ظهور كثير من المصنفات في العلوم

المختلفة وفنون المعرفة كافة؛ بالإضافة إلى النهضة المعمارية دينية كانت أم مدنية أم عسكرية؛ فأصبحت الأندلس من أرقى الدول المعاصرة لها آنذاك، وعاشت هذه الدولة زهاء ثلاثة قرون، استطاع ولاة الأمر فيها أن يحافظوا على معظم المناطق التي فتحها المسلمون في شبه الجزيرة الإيبيرية. وتبعًا لذلك فالأندلس بحاجة إلى مزيد من الدراسات، لاسيما في الجوانب الحضارية، لمعرفة إلى أي حد بلغ تقدم المسلمين آنذاك، ومعرفة الوسائل التي استخدموها في ذلك.

ولعل تلك الأهمية كانت سببًا مهمًا في إعداد هذه الدراسة، ويضاف إليه رغبتنا في إثراء المكتبة اليمنية بدراسة أكاديمية علمية شاملة عن المظاهر الحضارية الخاصة بالحكَّام الأمويين في الأندلس؛ والتعريف بتاريخ المسلمين ومآثرهم في الأندلس، سواءً أكانت في الجانب الإداري أم المالي أم القضائي، أم الجانب الاقتصادي أم العلمي والمعماري، الذي خلد تاريخ هذه الدولة وحكَّامها على الرغم من اندثارها.

من هذا المنطلق جاءت فكرة هذه الدراسة، وعلى الرغم من تعدد الدراسات التي تناولت هذه الدولة عمومًا؛ فهي لم تكن دراسات متخصصة بالمظاهر الحضارية، وما هو معروف لا يتعدى كونه بحوثًا علمية خاصة اهتمت بجانب من هذا الموضوع، أهمها بحسب علمي، البحث القيم لسالم عبد الله الخلف، عن نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، الذي درس فيه معظم الخطط السلطانية التي سارت عليها شؤون الدولة الأموية، وكذلك الرسوم السائدة فيها ، الخاصة بنظم الحكم والإدارة فقط؛ غير أن هذا لا يعني أن المظاهر الحضارية في عهد الأمويين قد استوفت حقها من هذا القبيل لذلك ارتأيت أن يكون نطاق دراستي يشمل

المظاهر الحضارية للحكم الأموي في الأندلس، الذي يضم مظاهر الحكم والإدارة، والمظاهر الاقتصادية، والمظاهر العلمية والمعمارية، وهذا يدخل في إطار الاهتمام بالمظاهر الحضارية في الأندلس وغيرها من الأقطار الإسلامية من الباحثين العرب، من أجل الحفاظ على هوية الأمة العربية والإسلامية على مر السنيين، وإبراز تلك المظاهر التي ارتقت بها المجتمعات الإسلامية آنذاك.

أما بخصوص المنهجية المستخدمة في هذه الدراسة، فقد اعتمدت على المنهج التاريخي الوصفي والمزاوجة بينه وبين المنهج التحليلي عبر عرض المظاهر الحضارية، ثم إخضاعها للتحليل والاستنتاج بعد تنقيتها قدر الإمكان مما يشوبها من المبالغة والغموض وما إلى ذلك.

وتشمل هذه الدراسة مقدمةً، وتمهيدًا، وأربعة فصول، وخاتمةً، ثم الملاحق التوضيحية لبعض هذه المظاهر، وقائمة بالمصادر والمراجع.

أختص الفصل الأول بالمظاهر السياسية والإدارية، وقُسم على مبحثين الأول: عرض النظم السياسية، وجاء منه تعريف الإمارة والخلافة، والمهام المنوطة بهما، وكذلك الحجابة وتخصصاتها في عهد الأمويين، والوزارة، والكتابة والتطورات التي أحدثها الأمويون فيها؛ في حين عرض المبحث الثاني النظم الإدارية: ولا سيما بعض المناصب المهمة كالوالي وتوضيح مهامه وكيفية توليه، وصاحب المدينة وماذا تعني هذه الوظيفة وأول من جعلها مستقلة، والمهام المنوطة بها، ثم يأتي التعريف بصاحب الشرطة، ودور هذا المنصب في دولة بني أمية في الأندلس، مع تحديد المهام التي يمارسها.

وعنون الفصل الثاني بالمظاهر المالية والقضائية والعسكرية، وقسم على ثلاثة مباحث، درس المبحث الأول: النظم المالية، وبينت فيها الدواوين، التي سارت عليها دولة الأمويين، مع تحديد الواردات التي اعتمدت عليها، وكذلك الجهات التي تصرف فيها تلك الأموال، مع ذكر كمية الأموال التي كانت تذهب إلى تلك الدواوين، والجهات المخصصة لذلك، ثم ذكر العملة التي اعتمد عليها الأمويون، وتحديد نوعها ونشأتها؛ ثم يأتي المبحث الثاني: الذي خصص للنظام القضائي، فركز هذا المبحث على شروط تعيين القاضي، وكذا الألقاب التي اتخذها القضاة، وتعيين مراتبهم، مع تبيين مجلس القضاء ورسومه، وما يشمل ذلك من مكان المجلس، وكيفية عرض القضايا، ووقت عرضها، وكذلك تحديد المشاركين في إصدار الأحكام، يليه توضيح علاقة الحكام بالقضاء واحترامهم لذلك، وإثبات ذلك بأمثلة مختلفة، وكذلك خطة الرد، والمظالم، والمحتسب وتحديد مهامه؛ يأتي بعد ذلك المبحث الثالث: الذي خصص للجانب العسكري بعنوان النظام العسكري، ويشمل القيادة وتحديد مهامها، وكذلك اللواء وتعريفه، والعرض والمقصود منه، مع تحديد عناصر الجيش، والوحدات العسكرية التي يتكون منها الجيش الأموي في الأندلس، يليه إبراز البحرية الأندلسية في عهد الأمويين من حيث نشأتها وتطورها، والقائون على ذلك، وتبيين الدور الذي أدته آنذاك.

في حين عنون الفصل الثالث: بالحياة الاقتصادية والذي قسم على ثلاثة مباحث: خصص الأول للجانب الزراعي: ويشمل مقومات الزراعة، وتحديد نظم الري ومراحل الزراعة، مع إبراز ملكية الأرض، ونظام المناصفة فيها، وكيفية جباية الدولة الضرائب، و ذكر أهم المحاصيل التي اشتهرت بها الأندلس آنذاك، والآفات

الزراعية التي تعرضت لها، ودور ولاة الأمر في هذا الجانب؛ في حين اختص المبحث الثاني: من هذا الفصل بالجانب الصناعي، من حيث ذكر المقومات التي كان لها الدور الكبير في تطور هذا الجانب، ثم ذكر الصناعات التي أتقنها الأندلسيون في ظل دولة الأمويين، والتي كانت تشمل: الصناعات المعدنية كالذهب والفضة والنحاس والحديد، وصناعة المنسوجات مع تحديد المناطق المتخصصة في ذلك، وكذلك الصناعات الجلدية والخشبية؛ أما المبحث الثالث والأخير فقد ركز على التجارة، ومراحل تطورها، مع تحديد بداية الانفتاح التجاري على الأقطار الإسلامية، وضبط العملة المتداولة، وذكر بعض المكاييل والموازيين المتعامل بها في عملية التجارة على الرغم من شحة المعلومات عن هذا الموضوع، ثم يأتي ذكر أهم المراكز التجارية التي اشتهرت بها الأندلس آنذاك، كبجاية، والمرية، وإشبيلية، وقرطبة عاصمة الأندلس ومقر حكامها، ومركز تجارتها، ويليه ذكر القانون الذي سنّه الحكام الأمويون للتجارة البحرية، ثم تبيين العلاقات التجارية التي أقامها الأمويون مع الأقطار الأخرى.

أما الفصل الرابع فقد اختص بالحياة العلمية والنهضة المعمارية، ويشمل مبحثين رئيسين؛ الأول: يعرض النهضة العلمية، ويشمل عوامل ازدهارها، والمؤسسات التعليمية التي أقيمت لذلك، ومراحل التعليم وطرائقه، مع ذكر العلوم التي ازدهرت آنذاك، ومراحل تقدمها مع ذكر المصنفات التي أُلفت، مع الإشارة إلى روادها، وكذلك اهتمام الأندلسيين بالكتب وإنشاء المكتبات، ومصادر تنميتها؛ والمبحث الآخر فقد خصص للنهضة المعمارية، ويشمل العمارة الدينية، والمدنية، والعسكرية.

١- تحليل المصادر والمراجع

بُنيت تمهذه الدراسة على مجموعة لا بأس بها من المصادر الرئيسة، والمراجع التي أسهمت سهامًا مباشرًا أو غير مباشر في إنجاز هذه الدراسة وإخراجها إلى النور؛ لذا فتحليل أهم تلك المصادر والمراجع فيما يأتي:

أ) **المصادر**: تنوعت المصادر التي تم استُعين بها ما بين مصادر وثائقية، وتراجم، وجغرافية وأدبية، نلخص أهمها فيما يأتي:

- كتاب (أخبار الفقهاء والمحدثين)، للخشني (ت٣٦١هـ)، وهو كتاب تراجم لطبقات عديدة من الفقهاء في الأندلس، بدأ بالفتح الإسلامي للأندلس حتى عصر المؤلف، وقد أفادنا في الفصلالأول بشأن النظم الإدارية والقضائية، ومهام كل منهما؛ وفي الفصل الثالث بكثير من المعلومات عن تراجم رواد الفكر في الأندلس ومهامهم.
- كتاب (أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق ذلك من كلام)، لأبن الخطيب (ت٧٧٦هـ)، وينقسم هذا المصدر إلى ثلاثة أقسام: الأول خاص بتاريخ المشرق ابتداءً بعصر النبي ﷺ حتى عصر المماليك؛ والقسم الثاني: خصص لتاريخ الأندلس؛ فقد رفد الدراسه بكثير من المعلومات.
- كتاب (البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب)، لابن عذارى (كان حيًا سنة ٧١٢هـ)أبي العباس أحمد المراكشي، وهو في جزءَين، ويعد من المصادر المهمة في إعداد هذه الدراسة، وكذلك كونه يعرض مدة زمنية كبيرة منذ الفتح الإسلامي للأندلس وحتى سنة ٦٦٧هـ، ويشمل تاريخ المغرب والأندلس، واعتمد في كتاباته على عددٍ من المصادر المفقودة، ككتاب الرقيق القيرواني والوراق وغيرهما.

- كتاب (تاريخ افتتاح الأندلس) لابن القوطية القرطبي (ت٣٦٧هـ)، أبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز، ويشمل تاريخ الإمارة الأموية حتى عهد الأمير عبد الله بن محمد في سنة ٢٩٩هـ، وقد أمدنا بكثير من المعلومات في فصول الدراسة كافة، وذلك فيما يخص المظاهر الحضارية للحكام الأمويين التي شملها الكتاب.
- كتاب (تاريخ علماء الأندلس) لابن الفرضي (قتل٤٠٣هـ)، وهو مصدر خاص بالتراجم جمع فيه مجموعة من الشخصيات العلمية والفقهاء والمحدثين، وعلماء الدين واللغة، وكذلك الشعراء الذين عاشوا في الأندلس أو رحلوا عنها، وهي مادة علمية قيمة أغنت الدراسة بالكثير من المعلومات، لاسيما في التعريف بالأعلام.
- كتاب (ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك) للعذري (ت٤٧٨هـ)، أحمد بن أنس بن العذري المعروف بابن الدلائي، وهو كتاب شامل، ولم يُعثر إلا على الجزء الخاص بالأندلس الذي حققه عبد العزيز الأهواني، وأخرجه بعنوان: نصوص عن الأندلس، ويحوى الكتاب المذكور كثيرًا من المعطيات التاريخية في الجانب المعماري، كالقلاع والحصون وتاريخ إنشائها، وكذلك في الجوانب الزراعية، وبعبارة أخرى فقد رفد هذا الكتاب الدراسة بكثير من المعلومات في جميع فصولها.
- كتاب (جذوة المقتبس في ذكر وولاةالأندلس) للحميدي (ت٤٨٨هـ)، ولد في قرطبة ثم استقر بميورقة، كان من طلاب ابن حزم الأندلسي، ثم رحل إلى العراق وتوفى هناك. ويحوى هذا الكتاب ثلاثة أجزاء، خصص الأول لتراجم الحكام الأمويين في الأندلس، والجزآن الثاني والثالث لتراجم أعلام الأندلس حتى عصر المؤلف، وهو

مرتب على حروف المعجم، أمد الدراسة بكثير من المعلومات السياسية والثقافية والمذهبية في الأندلس في ظل دولة الأمويين.

- كتاب (الحلة السيراء)لابن الأبار القضاعي (ت٦٥٨هـ)، ويشمل هذا االكتاب تراجم المشاهير وأعلام كبار العلماء والسياسيين في الأندلس والمغرب، ويدرس بلاد الأندلس منذ الفتح حتى القرن السابع الهجري، وينقسم إلى جزءَين.
- كتاب (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) لابن بسام أبي الحسن علي الشنتريني (ت٥٤٢هـ)، ويتضمن أربعة مجلدات، خصص كل واحدٍ منهما لكل إقليم من أقاليم الأندلس، الأول لقرطبة وما جاورها؛ والثاني تعرض فيه لإشبيلية وضواحيها، أما الثالث فقد عرض بلنسية وما جاورها؛ كذلك أفرد القسم الرابع للغرباء الوافدين على الأندلس، وبذلك يعدُّ من أهم المصادر التي اعتُمد عليها في إعداد هذه الدراسة.
- كتاب (صفة جزيرة الأندلس) للحميري (ت٩٠٠هـ)، عني بنشره وتصحيحه وتعليق حواشيه إ. لافي بروفنصال، وهو مقتبس من كتاب (الروض المعطار في معرفة الأقطار) وهو معجم جغرافي مرتب على حسب حروف المعجم، بالإضافة إلى مادته الجغرافية التي تخص المدن والكور، وكذلك ذكر بعض الأحداث التاريخية التي حدثت في تلك المناطق، وفيه كثير من المعلومات الحضارية والمعمارية لبلاد الأندلس.
- كتاب (طبقات الأطباء والحكماء) لابن جلجل (ت: في القرن الرابع الهجري) أبي داود سليمان الأندلسي، ألفه سنة ٣٧٧هـ، الذي يعدُّ وثيقة مهمة في تاريخ العلوم وتطور حركة التأليف والترجمة في القرن الرابع الهجري، وقد أفاد البحث في الجزء

الخاص بأطباء الأندلس في عهد الأمويين، فقد حدد فيه بداية الطب في الأندلس، وكيفية تطوره.

- كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء)لابن أبي أصيبعة (ت٦٦٨هـ)، وهو موسعة فريدة خاصة بالأطباء، شملت أخبارهم وأعمالهم ومؤلفاتهم.
- كتاب (قضاة قرطبة وعلماء أفريقيا) للمؤرخ الخشني (ت٣٦١هـ) أبي عبد الله محمد ابن حارث بن أسد القيرواني الأندلسي، ألفه بناءً على أمر الخليفة الأموي الحكم المستنصر، مقصورًا على العلماء والفقهاء والشعراء في الأندلس من الفتح حتى عصر المؤلف، وقد أفاد الدراسة بكثير من المعلومات المتعلقة بتراجم الأعلام وأعمالهم.
- كتاب (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا) للمؤرخ النباهي (ت٧٩٢هـ)، والذي نشره ليفي بروفنسال بعنوان تاريخ قضاة الأندلس، ويعدُّ وثيقة مهمة في تاريخ القضاء في الأندلس، بدأ بتاريخ الدولة الأموية وحتى القرن الثامن الهجري في المدة التي عاشها المؤلف، وقد قدم معلومات قيمة ومفصلة أنار بها المبحث الثاني من الفصل الثاني للدراسة.
- كتاب (المقتبس من أنباء الأندلس) لأبي مروان بن حيان بن خلف (ت٤٦٩هـ)، يعرض المدة من ٢٣٢-٢٦٧هـ، وقد نشره د. محمود علي مكي، وهو يشمل على عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط الذي وضع ورتب مقاليد الحكم والإدارة، وكذلك عهد ابنه الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، واستفاد الباحث منه في رفد الفصل الأول والثاني بكثير من المعلومات الخاصة بالنظم السياسية والإدارية.

- كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) لأبي عبد الله محمد بن محمد الحمودي المعروف بالإدريسي (ت٥٦٤هـ)، يحوى الكتاب مادة علمية جيدة عن المواقع الجغرافية للأندلس وما تمتاز به من طبيعة جغرافية، وقد أفاد البحث منه بكثير من المعلومات، لاسيما في الجانب الاقتصادي.
- كتاب (نفح الطيب من غصن الأندلس االرطيب) للمقري التلمساني (ت١٠٤١هـ)، ويعد هذا الكتاب موسوعة ضخمة في تاريخ الأندلس الإسلامي تاريخًا وحضارة، ذكر فيه المقري التعريف بتاريخ الأندلس وجغرافيتها وآدابها ورجالها، والتعريف بوزيرها لسان الدين ابن الخطيب، وهو يشمل على ثمانية ممجلدات؛ لذا فقد أمدنا بكثير من المعلومات في فصول الدراسة جميعًا، سواءً أكان ذلك في الجوانب السياسية والإدارية أم في الجوانب الاقتصادية أم في الجوانب العلمية والمعمارية.

ب) المراجع:

- كتاب (الأندلس التاريخ المصور) للدكتور طارق محمد السويدان، وهويشمل وصفًا تاريخيًّا حضاريًّا للوجود الإسلامي في الأندلس منذ الفتح حتى سقوط غرناطة بيد النصارى وخروج المسلمين من الأندلس سنة ٩٧٥هـ، وقد أفاد الدراسة بمجموعة من الصور الحضارية التي وضعت في الملاحق، وهي تبين وضعية تقدم المسلمين وإبراز معارفهم، وإلى أي حد قُضي على كل مآثر المسلمين فيها.
- كتاب (دولة الإسلام في االأندلس) للمؤرخ عبد الله عنان، وهو كتاب يشمل تاريخ الأندلس الإسلامي عامة، ومن ضمنها تاريخ دولة الأمويين في الأندلس، ونظمهالحضارية، وقد كان يصفها من دون تفصيل لأيٍّ منها.

- كتاب (تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس) للسيد عبد العزيز سالم، و يشمل تاريخ الأندلس الإسلامي سياسيًّا وحضاريًّا، وقد أفاد الباحث بالتعرف إلى المصادر التي اعتمد عليها؛ وهو ما سهل سرعة الحصول على المعلومات وسرعة صياغتها، وأمدنا بمعلومات قيمة، لاسيما في مجال النهضة المعمارية في الأندلس، التي لم نعثر على مصادرها.
- كتاب (الكتب والمكتبات في الأندلس) للدكتور حامد الشافعي دياب، ويتحدث عن الكتب والمكتبات ونشأتها في الأندلس عامة منذ الفتح الإسلامي للأندلس وحتى خروج العرب منها، بيَّن فيه العلوم التي أبدع فيها الأندلسيون، واهتمامهم بإنشاء المكتبات، والذي لم يدخل في تفاصيلها، وقد أفاد الباحث في تسهيل الحصول على المعلومات وترتيبها، وكذلك الرجوع إلى المصادر التي اعتمد عليها، مع اعتماد بعض المعلومات التي لم نحصل عليها من المصادر التي ذكرها.

ج- الدراسات السابقة:

- (الخلافة الأموية في الأندلس بعد الحكم المستنصر (٣٦٦-٤٢٢هـ/ ٩٧٦-١٠٣١م)، دراسة سياسية وحضارية" لسالم فرج عبود خميس، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التاريخ كلية الآداب بجامعة عدن عام ٢٠٠٩م؛ وهي دراسة مختصة في الجوانب السياسية والحضارية في عهد الخلافة الأموية بعد الخليفة المستنصر؛ أي أنها غطت مدة تسلط العامريين على الحكم خاصة، وقد أفادت الدراسة في العودة إلى المصادر التي أُخذ منها.
- (نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس) لسالم عبد الله خلف، رسالة ماجستير مقدمة إلى الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عام ٢٠٠٣م؛ فقدم

فيها مادة علمية وافرة ومتنوعة وموزعة ما بين الأحداث التاريخية والحضارية، بين فيها فقط مظاهر الحكم والإدارة للأمويين في الأندلس، و لم تكن متخصصه بالمظاهر الحضارية كافة، إلا أنها ساعدتني في عملية البحث وفهم بعض الأمور الدقيقة.

تمهيد جغرافي تاريخي لبلاد الأندلس

١-تسمية بلاد الأندلس وجغرافيتها:

عرفت شبه الجزيرة الإيبيرية؛ (أي: إسبانيا والبرتغال) في الأزمان القديمة بإيبيرية، وأطلق الرومان عليها اسم (Hispania)، ومنها جاء اللفظ العربي إشبانيا(١).

أما مصطلح الأندلس الذي أطلق على المناطق التي حكمها العرب والمسلمون في شبه الجزيرة، فقد اشتقه الجغرافيون والمؤرخون العرب من (الأندليش) أو (الأندلش) أو (الأندلس)، وكانت تلك الأسماء التي أطلقت على الوندال(٢) الذين سيطروا على أجزاء واسعة من هذه الجزيرة في الثلث الأول من القرن الخامس الميلادي(٣)، ويذكر أيضًا أنها سميت إشبانية نسبة إلى رجل ملكها قديمًا كان اسمه إشبان(٤).

---

(١) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي: المسالك والممالك، مج ٢، دار العرب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٨٩٠.

(٢) هم قبائل جرمانية من أوربا. لطفي عبد الوهاب: العرب في العصور القديمة، ط٢، دار المعرفة، بيروت، د.ن، ص٥١.

(٣) ابن عذارى، أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س. كولان، وليفي بروفنسال، ط٣ ج٢، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م، ص٢، البكري: المسالك والممالك، مج ٢، ص٨٩٠؛ المقري، أحمد بن محمد التلمساني: نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، ج١، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٣٣.

(٤) البكري: المسالك والممالك، مج٢، ص٨٩٠؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص١٣٤.

وفي إطار تحديد الموقع أطلق البعض الآخر الأندلس على الجزء الجنوبي من إسبانيا، ويقع جنوب نهر الوادي الكبير وهي تضم خمسة أقاليم هي: إشبيلية(١)، ومالقة(٢)، وقرطبة(٣)، وغرناطة(٤)، والمرية(٥)، ومرسية(٦).

وتذكر المصادر(٧) أن الأندلس عند أهله أندلسان: الأندلس الشرقي والذي تصب أوديته في البحر المتوسط، وذلك ما بين مرسية إلى سرقسطة(٨)، والأندلس الغربي وهو الذي تصب أوديته في المحيط الأطلسي.

٢-الأندلس قبل الفتح الإسلامي:

كانت الأندلس قبل الفتح الإسلامي تعاني كثيرًا من الأزمات والاضطرابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية؛ وذلك نتيجة السياسة التي مارسها ملوك

---

(١) ينظر الفصل الثالث ص١٥١.

(٢) هي إحدى مدن الأندلس تقع إلى الشمال من قرطبة. الإدريسي، محمد بن محمد بن عبدالله: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، ج٢، عالم الكتاب، بيروت، ١٤٠٩هـ. ص٥٧٠.

(٣) ينظر الفصل الثالث ص١٥٢.

(٤) هي أقدم مدن الأندلس وأحصنها. الحموي، الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي البغدادي: معجم البلدان، مج ٤، دار صادر، بيروت ،١٩٩٠م، ص١٩٥.

(٥) ينظر الفصل الثالث، ص١١٩.

(٦) الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار (صفة جزيرة االأندلس)، صح: إ. ليفي بروفسال، ط٢، دار الجيل الجديد، بيروت، ١٩٨٨م، ص١. ومرسية مدينة بالأندلس أخطها الأمير عبد الرحمن الداخل وسماها تدمير بتدمر الشام. الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١٠٧.

(٧) المقري: نفح الطيب، ج١، ص١٣٢؛ ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله التلمساني: الإحاطة في أخبار غرناطة، ط١ ،ج١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٢٤هـ، ص١٥.

(٨) من مدن الأندلس المشهورة تتصل أعمالها بأعمال تطليلة. الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢١٢.

القوط وصراعهم على السلطة(١)، وكان عددهم ستة عشر ملكًا كان آخرهم لذريق(٢) الذي قضى على ملكه المسلمون الفاتحون للأندلس سنة ٩٢هـ(٣).

٣-الفتح الإسلامي للأندلس:

كان من نتائج الانتصارات التي حققها العرب في المغرب، واستيلاؤهم عليها باستثناء مدينة سبتة(٤) التي كانت تحت سيطرة القوط(٥) حكُام إسبانيا آنذاك، ودخول ودخول البربر(٦) في دين الإسلام أفواجا فقد نصروه، وأصبحوا من الذين أخلصوا في الدفاع عنه ونشره في الأمم الأخرى(٧)، وحرصًا على نشر الإسلام والحماس الذي يمتلكه أنصاره في نشره والدفاع عنه، وحماية الحدود الغربية للدولة الإسلامية؛ اتجهت

---

(١) لمزيد من المعلومات ينظر السامرائي، خليل إبراهيم، وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط١، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ٢٠٠٠م، ص١٣وما بعدها.

(٢) لذريق: اسمه روديك ويذكر أنه كان زعيمًا قويًّا، ولم يكن من الأسرة المالكة، استولى على العرش القوطي القوطي بالقوة، وظل حتى قضى عليه القائد المسلم طارق بن زياد سنة ٩٢هـ. ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٣.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢؛ لين – بول ستانلي: قصة العرب في إسبانيا، تر: علي الجارم بك، مطبعة المعارف، مصر ،١٩٤٤م، ص١وما بعدها.

(٤) سبتة: هي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر، وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البر والجزيرة، وهي مدينة حصينة. الحموي: معجم البلدان، مج ٣، ص١٨٢.

(٥) مملكة القوط الغربيين هي الأخيرة في سلسلة ممالك البرابرة التي خلفت الإمبراطورية الرومانية وذلك بعد أن انتهت سياسيًا، استوطنها القوط الغربيون في اسبانيا في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الميلادي، وكانوا يمثلون أقلية صغيرة فقط ضمن السكان الأصليين، واستوطنوا في المدن والأرياف. الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط٢، ج١، مؤسسة الناصر الثقافية، بيروت، ١٩٨٠م، ص٣٤؛ خطاب، محمود شيت: قادة فتح الأندلس، ط١، ج١، مؤسسة علوم القرآن، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٢٥؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص١٣.

(٦) ينظر الفصل الثاني ص١١٢.

(٧) المقري: البيان المغرب، ج٢، ص٢؛ عبد الشافي، عبداللطيف: السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ط١، دار السلام القاهرة ، ١٤٢٨هـ، ص ١،٢.

أنظارهم إلى فتح بلاد الأندلس وكان ذلك عندما نزلوا على شواطئ إسبانيا الجنوبية بقيادة طارق بن زياد(١) الذي انطلق بهم سنة ٩٢هـ إلى الشمال من الجبل الذي عرف باسمه فيما بعد حيث التقى بجيش ملك إسبانيا لذريق وهناك انتصر المسلمون انتصارًا حاسمًا، وهُزِمَ لذريق وجنوده(٢).

ثم قدم موسى بن نصير(٣) إلى الأندلس من المغرب سنة ٩٣هـ في جيش ضخم قوامه ثمانية عشر ألف مقاتل من العرب والبربر، واتجه إلى فتح مدن غرب إسبانيا

---

(١) هو طارق بن زياد البربري مولى موسى بن نصير فاتح الأندلس، ولاه طنجة وأعمالها، وإليه ينسب جبل طارق، ويقال إنه من قبيلة الصَدَف، غزا بلاد الأندلس بأمر من واليه موسى بن نصير، وكان معظم جيشه من البربر ليس فيه من العرب إلا القدر اليسير. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، ط١، ج٥ ، دار صادر، بيروت ، ١٩٨٨م، ص٣٢٠؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله: الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، ج١٦، دار إحياء التراث، بيروت ، ٢٠٠٠م ، ص٢٢٠.

(٢) لمزيد من المعلومات ينظر ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري: الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلامي تدمري، ط١، ج٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ص٣٥؛ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير: تاريخ الرسل والملوك، ط٢، ج٦، دار التراث، بيروت، ١٣١٧هـ، ص٤٦٨؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٤؛ مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، تح: إبراهيم الابياري، ط١، دار الكتاب، بيروت ١٩٨٩م، ص١٧-١٩؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الابياري، ط٢، مج٢، دار الكتاب المصرية، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٣٠ وما بعدها.

(٣) هو موسى بن نصير ويكنى أبا عبد الرحمن ويقال أنه مولى من لخم، وهو من التابعين، تولى ولاية المغرب سنة ٧٩هـ وتُوفيّ سنة ٩٧هـ في وادي االقرى في أثناء خروجه مع الخليفة سليمان بن عبد الملك للحج. ابن الفرضي، محمد بن يوسف الأزدي: تاريخ علماء الأندلس، صح: السيد عزت العطار الحسيني، ط٢، ج٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٩٨٨م، ص١٤٤؛ الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الميورقي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ج١، الدار المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦م، ص٣٣٨.

قضى على كل معاقل المقاومة القوطية، وتعاون القائدان المسلمان على فتح ما تبقى من مناطق بلاد الأندلس التي سقطت أمامهما الواحدة تاتابتلو الأخرى(١).

٤-عصر الولاة (٢) (٩٥- ١٣٨هـ):

كان للانتصارات التي حققها موسى بن نصير واستيلائه على معظم الأندلس أثر كبير في توجيه قوة المسلمين إلى غزو المناطق الشمالية من شبه الجزيرة الإيبيرية وفي هذا الوقت وصله كتاب من الخليفة الأموي(٣) في دمشق الوليد بن عبد الملك يأمره بالقدوم إليه سنة ٩٥هـ، ويأمره بالتوقف؛ خشيةً على أرواح المسلمين من العواقب التي قد تنتج عن ذلك التوغل في بلاد إسبانيا؛ فنفذ تلك الأوامر وأخذ معه طارق بن زياد، ثم عين ابنه عبد العزيز(٤) والياً على الأندلس واتخذ من إشبيلية عاصمة لحكمه.

---

(١) لمزيد من المعلومات ينظر مجهول: أخبار مجموعة، ص١٩-٢٧؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٩وما بعدها؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٤٨١.

(٢) بلغ عدد الولاة في الأندلس بعد الفتح إلى قيام الدولة الأموية في الأندلس واحدً وعشرين والياً. لمزيد من المعلومات ينظر ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٢٣-٣٨؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص٢٩٨- ٢٩٩؛ ابن الخطيب، لسان الدين الغرناطي: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق ذلك من الكلام، تح: سيد كسروي حسن، ط١، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ص٦-٨.

(٣) قامت دولة بني أمية في بلاد الشام سنة ٤١هـ، عندما تنازل الحسن بن علي بن أبي طالب عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، واتخذوا من دمشق عاصمة لدولتهم، وبلغ عدد خلفائهم أربعة عشر، واستمر الحكم في هذه الأسرة إلى أن سقطت سنة ١٣٢هـ، على يد بني العباس.

(٤) عبد العزيز بن موسى بن نصير، تولى بلاد الأندلس بعهد من أبيه سنة ٩٥هـ، في أثناء عودته إلى الشام بناءً على طلب الخليفة الأموي، واستمر عبد العزيز واليًا على الأندلس أكثر من سنتين، استطاع أن يرتب ما تم فتحه، وثبت مالم يثبت، ونظم أحوال البلاد، وظل والياً إلى أن قتله جنده سنة ٩٧هـ، بأمر من الخليفة الأموي في دمشق سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ). ابن الفرضي، عبدالله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي: تاريخ علماء الأندلس، صح: عزت العطار، ط٢، ج١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٣١٩؛ الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ج١، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٣٨٦؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص٢٥-١٢٦؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢،=

وعلى الرغم من أن االمدة التي بقي فيها عبد العزيز بن موسى بن نصير والياً على الأندلس كانت قصيرة، فهي تعدُّ البداية الأولى لعصر الولاة بالأندلس الذي استمر حتى سنة ١٣٨هـ، وهي السنة التي قامت فيها الدولة الأموية.

كانت الأندلس في هذه المدة تعاني من اضطرابات سياسية واجتماعية شديدة نتيجة للتنافس والصراع، الذي كان يدور بين القادة الذين شاركوا في الفتح والقبائل العربية (اليمنية والقيسية)، التي استوطنت في الأندلس بعد الفتح، والتي كان لها الدور الأكبر في إحياء دولة بني أمية في الأندلس بعد سقوطها في دمشق(١).

٥-الدولة الأموية في الأندلس (١٣٨-٤٢٢هـ):

كان لسقوط الخلافة الأموية في دمشق سنة ١٣٢هـ على يد العباسيين أثر كبير في تشريد أبناء البيت الأموي الذين تلقوا كل أنواع العذاب على يد المسودة(٢)، فأصبحوا ما بين قتيل وطريد، وقدر لبعضهم النجاة أو التخفي؛ ومنهم عبد الرحمن بن معاوية(٣) الذي خرج من الشام متجهًا إلى فلسطين ثم مصر، ومنها إلى بلاد المغرب ثم اجتاز الأندلس التي كانت تعجُّ بالصراعات القبلية، واستطاع عبد الرحمن بذكائه أن يستميل

=ص٢٣وما بعدها؛ مؤنس، حسين: فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (٧١١-٧٥٦م)، دار المناهل، القاهرة ، ٢٠٠٢م، ص١٨٨وما بعدها.

(١) لمعرفة تاريخ هذه المرحلة ينظر مجهول: أخبار مجموعة، ص٢٨-٥٠.

(٢) تعني بني العباس، وعليهم قامت دولتهم، وسموا بالمسودة لأنهم اتخذوا السواد شعاراً لهم. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل القرشي: البداية والنهاية، ج٨، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٠٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٤٨؛ الذهبي، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط٢، ج٨، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣م، ص٣٣٤.

(٣) هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية، ويكنى بأبي مطرف، أمه بربرية من سبي المغرب، وتسمى راحا، ولد سنة ١١٣هـ، في دمشق، وكانت وفاته سنة ١٧٢هـ. انظر ابن عذارى البيان المغرب، ج٢، ص٤٧.

كل الأطراف المتصارعة وأن يؤسس دولة أموية مستقلة عن الخلافة العباسية سنة ١٣٨هـ(١).

استمر الحُكم الأموي للأندلس نحو ثلاثة قرون(١٣٨-٤٢٢هـ)، ويمثل أهم العصور التاريخية في بلاد الأندلس؛ إذ اتسم بخصائص كثيرة، ويعد عصر الاستقرار الداخلي وذلك جعل حكام بني أمية يوجهون كل جهودهم نحو التقدم الفكري والحضاري الذي اتضحت معالمه من العمارة التي شيدوها، والجسور التي أقاموها، فبنوا المدارس والمساجد ودعموا القائمين عليها أو الوافدين إليها، وتوطدت أركان الدولة سياسيًا واقتصاديًا وتجاريًا وعسكريًا، وبلِغت الأندلس في هذا العصر أوج عظمتها وقوتها، إذا ما قورنت بالدول المعاصرة لها، فأصبحت مكاناً يأتي إليه العلماء وطلاب العلم، وبلغت من الثراء العلمي منزلة لم تشهده غيرها من البلدان من قبل(٢).

والجدير بالذكر، أن الأندلس قد تعرضت ما بين سنتي(٣٩٩-٤٢٢هـ) لما عرف بعصر الفتنة الذي شهد صراعات عنيفة على السلطة بين أفراد البيت الأموي من جهة، والقوى الأخرى المتمثلة في البربر والصقالبة(٣) من جهة أخرى، وهي صراعات أدت إلى التعجيل في سقوط الدولة الأموية، وقيام دويلات الطوائف(٤).

---

(١) لمزيد من المعلومات عن نهاية الخلافة الأموية في دمشق على يد العباسيين، وقيام إمارة لهم في الأندلس على يد عبد الرحمن الداخل. ينظر ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٤٠ وما بعدها؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص٤٩وما بعدها.

(٢) الخشني، أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني: قضاة قرطبة وعلماء إفريقيَّة، صح: السيد عزت العطار، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة ،١٩٥٣م، ص١١-١٣.

(٣) ينظر الفصل الثاني ص١١٠.

(٤) لمزيد من المعلومات عن هذا العصر ينظر الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص١٨وما بعدها.

الفصـــل الأول

المظاهر السياسية والإدارية

أولاً: النظام السياسي:

يعدُّ النظام السياسي في الأندلس في عصر الأمويين رأس هرم الدولة سواءً أكان في عهد الإمارة أم الخلافة، ويحدد النظام السياسي المهام التي يمارسها الحكّام وواجباتهم نحو البلاد والرعية، وعلاقتهم مع بقية الموظفين؛ لاسيما مع الحاجب والوزراء، والولاة، ويحدد مهامهم، وكيفية تنفيذها.

١-الإمارة:

أطلق مصطلح الإمارة على من ولي جهة من جهات المسلمين(١)، وقد اتخذ بنو أمية هذا اللقب في الأندلس كغيرهم ممن استقل عن مركز الخلافة في شرق العالم الإسلامي وغربه سواءً في عهد الأمويين، أو العباسيين، وأول من لقّب به عبد الرحمن بن معاوية (١٣٨-١٧٢هـ)، وظلَّ هذا سائداً فيمن تولى الحكم من بعده حتى سنة ٣١٦هـ(٢).

أ) **لقب الإمارة ومدلوله:**

لم يُلقب عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ) بالخلافة في أثناء سيطرته على الأندلس؛ بل اكتفى بلقب (أمير) أو (سلطان) و(أبناء الخلائف) وعليه جرى من بعده واحدًا بعد الآخر فلم يخطب لهم بالخلافة إلى أن ولي عبد الرحمن الناصر(٣) (٣٠٠-٣٥٠هـ) وهو ثامن حكّام بني أمية

---

(١) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد القرطبي: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٧٤.

(٢) كحالة، عمر رضا بن محمد الدمشقي: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٧، ج١، مؤسسة الرسالة، بيروت ،١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، ص٤٥.

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الربضي بن هشام بن عبد الرحمن الداخل أبو المطرف، أمه أم ولد اسمها ماريا أو مزنة، وهو من خلف جده بعهد منه، وكان عمه المطرف قد قتل أباه ظلما، لأن أباه كان المرشح لولاية العهد، فأراد أن يزيحه ليظفر بها، ولما علم جده عبد الله بما لحق أباه من ظلم جعل ولاية العهد إليه، وتولى تربيته ونال نصيباً من رعايته، وكان جزاء عمه القتل، فقد قتله أبوه عبد الله بعد أن تأكد من براءة أخيه مما عزاه إليه، بويع عبد الرحمن الناصر=

على الأندلس(١)؛ احتراماً للخلافة الإسلامية في المشرق مقر الإسلام ومبدأ العرب؛ بل إن عبد الرحمن الداخل دعا للخليفة العباسي في أثناء دخوله قرطبة على منابر المساجد(٢).

وعندما انتظم الأمر له، ووثق بقوته؛ قطع الدعاء للعباسيين على منابر المساجد، وأعلن إمارته واستقلاله من أي تبعية لهم(٣).

ب) **كيفية انتقال الإمارة:**

اتخذ أمراء بني أمية في الأندلس نهج أجدادهم في المشرق، وهو نظام الحكم الوراثي؛ وذلك بأن يوصي الأمير قبل وفاته لأحد أبنائه، ولا يشترط فيها الابن الأكبر؛ بل الأكثر مقدرة وحزماً على تصريف الأمور(٤)، وفي الوقت نفسه وحرصاً على بقاء الحكم في الأسرة الأموية، نُقل الحكم إلى الأخ، أو أحد الأحفاد، وتم ذلك عندما تولى عبد الله بن محمد بن الحكم بعد وفاة أخيه المنذر سنة ٢٧٥هـ، والذي ترك ولاية العهد من بعده لحفيده عبد الرحمن الناصر الذي تولى الحكم في سنة ٣٠٠هـ(٥).

=بالخلافة بعد وفاة جده عبد الله سنة ٣٠٠هـ. لم يكن يتجاوز اثنتين وعشرين من عمرة. لمزيد من المعلومات ينظر الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص١٢؛ الضبي: بغية الملتمس، ج١، ص١٧وما بعدها.

(١) العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط١، ج٥، المجمع الثقافي، أبو ظبي ، ١٤٢٣هـ، ص١٤٣.

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: خليل شحادة، ط٢ ، ج٤، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ –١٩٨٨م، ص١٥٦؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص٣٣٠.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢ ، ص٤٨؛ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي: الأعلام، ط١٥، ج٣، دار العلم للملايين، مصر، ٢٠٠٢م، ص٣٣٨.

(٤) لمزيد من المعلومات ينظر ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد: رسائل ابن حزم الأندلسي، تح: إحسان عباس، ط٢، ج٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧م، ص٦٠؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٦١ وما بعدها؛ ابن الأبار، محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي البلنسي: الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ط٢، ج٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٤٢وما بعدها؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٤٣ وما بعدها.

(٥) الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص١٢.

٢-الخلافة:

وهي نيابة عن صاحب الشرع النبي ﷺفي حفظ الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع(١)، وتعدُّ رئاسةً عامةً في الدين والدنيا لشخص واحد من الأشخاص(٢).

أ) لقب الخلافة ومدلوله:

عندما شعر الأمير عبد الرحمن الناصر(٣٠٠- ٣٥٠هـ) بضعف دولة بني العباس في المشرق وظهور الفاطميين في بلاد المغرب وازدياد نفوذهم ومطالبتهم بالخلافة، أعلن نفسه خليفة في الأندلس وذلك بكونه نفسه أحق بها؛ وكذلك أعطى نفسه الحق في حماية ديار الاسلام والمسلمين، ولُقّب بـ(الناصر لدين الله)(٣)، وسار على نهجه من تولى الحكم من بعده في التحلي بألقاب الخلافة، فلقب ابنه الحكم بـ(المستنصر بالله)، ولُقب حفيده هشام بـ(المؤيد بالله)(٤)، وكذلك الخلفاء الذين تولوا الحكم في سنوات الفتنة(٣٩٩-٤٢٢هـ) التي أودت بزوال هذه الدولة، فكانوا يتصفون بألقاب الخلافة على الرغم من ضعفهم وعدم سيطرتهم على مركز الخلافة قرطبة نفسها، فقد لُقب محمد بن هشام(٥) الذي

---

(١) الماوردي، علي بن محمد بن محمد البصري: الأحكام السلطانية، ج١، دار الحديث، القاهرة، د.ن، ص١٥؛ ابن خلدون: المقدمة، ج١، ص٢٣٨.

(٢) القلموني، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد: تفسير القرآن الحكيم، ج١١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٠م، ص٢١٨.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب،ج٢، ص٢، ص٦١. ابن سعيد، أبو الحس علي بن موسى بن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ط٣، ج٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٥م، ص١٨٢؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص١٣.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٣، ٢٥٣.

(٥) هو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، ولد سنة ٣٦٦هـ، استطاع أن يخلع هشام المؤيد بن الحكم المستنصر من الحكم سنة ٣٩٩هـ، وهو الذي قضى على حكم العامريين وتسلطهم، وذلك بقتل عبد الرحمن شنجول بن المنصور بن أبي عامر الذي أخذ البيعة له بولاية العهد من الخليفة هشام المؤيد، بعد ذلك وثب عليه عبيده و قتله، واستمرت مدة ولاية المهدي ستة عشر شهرًا. الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص١٧-١٩.

سقطت في عهده الأسرة العامرية بـ(المهدي)، ولُقب سليمان بن الحكم(١) الذي هزم المهدي بـ(المستعين)، وكذلك لُقب هشام بن محمد بن عبد الله ابن الناصر بـ(المعتمد بالله)(٢).

ب) **كيفية انتقال الخلافة:**

الخلافة هي الأخرى تُتوارث في الأبناء ولا يشترط توريثها للأكبر باستثناء المراحل الأخيرة من حياة هذه الدولة ولاسيما عندما تسلط الوزراء على الحكم، وضعف الخلفاء الأمويين الذين كانوا يفقدون الحنكة السياسية والحربية، وهو الأمر الذي أضعفهم أمام خصومهم، وتدخل القائمين على إدارة المناصب الكبرى كالوزراء والقضاة وغيرهم في اختيار الخليفة، بالإضافة إلى الصراع بين أفراد البيت الأموي على السلطة، ولذا كان الحكم للأقوى إلى أن سقطت الدولة سنة ٤٢٢هـ(٣) .

٣-مهام الحكّام:

هناك مجموعة من المهام التي كان يمارسها الحُكّام الأمويون في الأندلس في أثناء توليهم الحكم سواءً أكان في عهد الإمارة أم الخلافة، وتتمثل في الآتي:

---

(١) هو أبو الربيع سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر، خرج على ابن عمه المؤيد في سنة ٤٠٠هـ، واجتمع إليه البربر وساندوه، وجمعوا له الأموال، واستطاع أن ينتزع الملك من المهدي ويستولي على قرطبة، واستمر في الحكم إلى أن قتل سنة ٤٠٧هـ، على يد والي سبتة من قبله الذي هجم على قرطبة، وهزم جيوش المستعين. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٦٣-٦٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٥، ص٢٢٧.

(٢) هو هشام بن محمد بن عبدالملك بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل. لمزيد من المعلومات ينظر المراكشي، عبد الواحد بن علي التميمي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تح: صلاح الدين الهواري، ط١، ج١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م،ص٥١؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٤٢٥وما بعدها؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص٢٨.

(٣) لمزيد من المعلومات ينظر ص١٧وما بعدها.

- **الجانب الإداري:** يتمثل في ضمان الأمن والإشراف على الولاة، فيعين فيه الأمير أو الخليفة كبار رجال الدولة وعزلهم سواءً أكان كانوا من الوزراء أم القضاة أم القادة أم الولاة(١).
- **الجانب المالي:** تحدد مهام الأمير أو الخليفة في الإشراف على موارد الدولة وتوزيعها بوصفها الجهة المهمة التي تمثل ركيزة الاقتصاد للدولة، فيمارسون سلطاتهم في إصدار الأوامر بتقسيم أموال الجبايات على مؤسسات الدولة جميعًا التي تؤدي مهمات الدولة جميعًا من أمور الجيش والشرطة والقضاء، ويؤمَّن ذلك عن طريق جهاز خاص بالجبايات والنفقات(٢)، فيذكر أن الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم(٢٣٨-٢٧٣هـ) كان يتولى محاسبة أهل خدمته ويتعقبهم؛ وذلك لعلمه ودرايته بالحساب(٣).
- **الجانب القضائي:** تحدد مهام الأمير أو الخليفة في هذا الجانب في اختيار القضاة أو عزلهم، مع استشارة وزرائه وحاشيته، وذلك ممن يلتمس فيهم التقوى والإلمام بالعلوم الشرعية، والقدرة على تحمل المسؤولية، ومراعاة حقوق المجتمع(٤).
- **الجانب الاجتماعي:** يتمثل في الجلوس مع العامة، والاستماع إليهم، والنظر فيما بينهم، والوصول إليهم لمن أراد من العامة؛ بحيث يرفع

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٥٦، ١٥٨-١٥٩؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٣٧.

(٢) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص١٨٣؛ أحمد بدر: الحضارة العربية الإسلامية، ط٢، جامعة دمشق، سوريا، ١٩٩٥-١٩٩٦م، ص١٥٤.

(٣) مجهول: أخبار مجموعة، ص١٢٦.

(٤) الخشني: قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ص١٣؛ ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي: المقتبس من أنباء الأندلس، تح: محمود علي مكي، ج١، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة،١٣٩٠هـ ، ص١٥٧؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص١١٣؛ النباهي، أبو الحسن علي بن عبدالله بن محمد الجذامي: تاريخ قضاة الأندلس، صح: مريم قاسم طويل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، ص٢٧، ٣٨، ١٠١.

الضعيف ظلامته من دون مشقة، وإنصاف المظلوم منهم، وكذلك توزيع الصدقات على المحتاجين(١).

- **الجانب الديني:** إمامة المسلمين في صلاة الجمعة وغيرها في المسجد الجامع بقرطبة، أو يوكل قاضي الجماعة أو صاحب الصلاة القيام بذلك نيابة عنه(٢).
- **الجانب العسكري:** يعدُّ الأمراء والخلفاء قادة عسكريين قبل أن يصلوا إلى سدة الحكم، فقد تمرسوا على القيادة والحروب(٣)، بالإضافة إلى قيادة معظم الحملات العسكرية بعد توليهم الحكم؛ فالأمير عبد الرحمن الداخل قاد معظم الحملات ضد خصومه سواء أكانوا من العرب أم من العجم؛ وكذلك الخليفة عبد الرحمن الناصر وكانت الحروب تمثل الاختبار القيادي لديهم(٤)، وكانوا يشرفون بأنفسهم على إعداد الحملات العسكرية، وعلى أحوال قادة الثغور، واستدعائهم والتشاور معهم في وضعها، ورسم الخطط العسكرية للدفاع عنها(٥).
- **الجانب السياسي:** حرص بنو أمية على الاهتمام بالسياسة الخارجية وإقامة العلاقات، واهتموا بنوعية اختيار السفراء من كبار رجال الدولة

---

(١) مجهول: أخبار مجموعة، ص١١٠؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ١٥٣؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٣٢.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٨؛ ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٥٧؛ المقري: نفح الطيب، ج٣، ص٣٧؛ أحمد فكري: قرطبة في العصر االإسلامي (تاريخ وحضارة)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٣م، ص٢٨٦؛ لين بول: قصة العرب في إسبانيا، ص٦٣.

(٣) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص٣٦٧؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٨٠ ،٨٨،٩٩، ١٥٧، ١٦٠ ، ٢٦٨؛ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٤٧، ٥٤؛ ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٤٤، ١٤٧ – ١٤٨؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص١٣٢؛ ابن خلدون: العبر، ج٤، ص١٧٦؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٨٢.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٤٨، ٤٩، ٥٧،١٧٩ وما بعدها؛ ابن الخطيب: نفح الطيب، ج١، ص٢٩٩؛٣٦٣–٣٦٤؛ لين – بول: قصة العرب في إسبانيا، ص٦٤.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٨٢،٢٣٥؛ ابن خلدون: العبر، ج٤، ص١٦٣؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص١١٧.

وممن اتصف منهم بالذكاء والحكمة، وباسمهم تبرم المعاهدات الخاصة بالتحالفات داخليًّا وخارجيًّا(١)، ويكرمون السفارات الوافدة عليهم ويحسنون استقبالها، ويذكر في ذلك أن الخليفة عبدالرحمن الناصر احتفل بقدوم السفارة من بيزنطة سنة ٣٣٦هـ، في يوم مشهود(٢) .

- **الجانب العلمي:** أولى بنو أمية هذا الجانب اهتماماً كبيراً، بتشجيع طلبة العلم وحماية العلماء وتعظيمهم(٣)، وكذلك بناء المكتبات وصرف المرتبات للمعلمين القائمين عليها، وهو الأمر الذي أدى إلى ازدهار الحركة العلمية(٤)، وفي هذا الصدد يذكر ابن عذارى(٥) أن المكتبات التي أقامها الخليفة الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر لتعليم الصبيان مجاناً في قرطبة وحدها بلغ عددها سبع عشرة مكتبة.

٤-ولاية العهد:

نهج بنو أمية في الأندلس نهج أجدادهم في المشرق فيمن يخلفهم في الحكم، القائم على مبدأ الوراثة، والذي لا يشترط فيه أن تكون للابن الأكبر؛ بل الأكثر مقدرة وحزماً على تصريف الأمور؛ لذلك نجد الأمير عبد الرحمن الداخل يعهد بالإمارة من بعهده إلى ابنه هشام، الذي كان عاملاً على طليطلة(٦) على الرغم من وجود ابنه الأكبر سليمان الذي

---

(١) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص١٧٧؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص٦٧؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٣٠، ٣٣٦-٣٤٦، ٣٣٢، ٣٦٥؛ أحمد فكري: قرطبة في العصر الإسلامي، ص٢٨٧.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص١٨٣؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٦؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٦٤.

(٣) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص٢٠١؛ الخشني: قضاة قرطبة، ص١١؛ ابن حزم: رسائل ابن حزم ، ج٢، ص١٩٢، ١٩٤؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١٢.

(٤) الخشني: قضاة قرطبة وعلماء أإفريقيا، ص١١-١٢؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١١٠، ٢٢٣، ٢٤٠؛ ابن الخطيب: نفح الطيب، ج١، ص٢١٣.

(٥) البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٠.

(٦) مدينة من مدن الأندلس وأقدمها، اتخذت عاصمة في عهد الروم ، والقوط ، افتتحت على يد طارق بن زياد سنة ٩٤هـ، وحصل المسلمون على الكثير من الغنائم فيها، وفي ظل دولة الإسلام كانت تمثل إحدى كور الأندلس إلى أن سقطت بيد النصارى سنة ٤٧٨هـ. الحميري: الروض المعطار، =

كان عاملاً على ماردة(١)، وقد اختلفت روايات المؤرخين في كيفية هذه البيعة. فبعضهم يؤكد مصداقيتها ويؤكد أنها تمت سنة ١٧٢هـ، وعند وفاة أبيه أخذ له البيعة أخوه عبد الله البلنسي، الذي كتب إليه بنعي والده، ويطلب منه القدوم لتسلم الحكم(٢)؛ والبعض الآخر يذكر أن عبد الرحمن الداخل لم يولِ هشامًا ولاية العهد؛ بل أوصى ابنه عبدالله البلنسى، الذي كان ملازماً له في قرطبة أن يسلم الحكم لمن يصل أولاً إلى قرطبة بعد وفاته(٣)، وكذلك أوصى هشام بالإمارة من بعده إلى ابنه الحكم(٤)، واستمر بنو أمية يعهدون بالإمارة من بعدهم لأبنائهم على الرغم من وجود بعض المعارضات من الأسرة نفسها وصلت إلى حدّ المواجهة المسلحة، إلا أنها تخمد ويقضى على التمرد(٥).

كما أن اختيار الأمير لولاية العهد من الحكّام لم تكن هي الكلمة الأخيرة؛ بل يكون هناك تدخل من القائمين على القصر إذا لم يكن الاختيار موفقًا؛ لذلك نجد الأمير الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ) جعل ولاية العهد من بعده لابنه عبد الله، إلا أن إسرافه في اللهو وعدم تحمل المسؤولية بعد وفاة أبيه، حال بينه وبين وصوله إلى الحكم؛ وذلك نتيجة لتدخل أولي العقل وخدم القصر، وأُخذت البيعة لأخيه محمد بن عبد

=ص١٣٠-١٣٥؛ مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تح، وتر: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ،١٤٢٣هـ، ص١٨٢.

(١) أكبر مدن الأندلس، لها سور وخندق منيع. مجهول: حدود العالم، ص١٨١.

(٢) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٤٢؛ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني: الكامل في التاريخ، تح: عبد الله القاضي، ج٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، ص١٨٠؛ ابن خلدون: العبر، ج٤، ص١٥٩؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٣٤؛ النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد التميمي البكري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، ج٢٣، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ص٣٥٠.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٤٢؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص١٢.

(٤) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٣٨.

(٥) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٥١-٥٢.

الرحمن بن الحكم (٢٣٨- ٢٧٣هـ)(١)، وهذا ما يؤكد أن ولاية العهد عند الأمويين لم تكن حكرًا على اختيار الأمير؛ بل وجد من يتدخل فيها إذا لم يكن الاختيار موفقًا لهذا المنصب.

وتأكيداً لهذا اختيار الأنسب لولاية العهد فقد تولى عبد الرحمن الناصر(٢) بعد جده عبدالله بن محمد(٢٧٥- ٣٠٠هـ) بعهد منه على الرغم من وجود أعمامه فقد رضخوا له وكانوا أول من أدى له البيعة؛ والأمر نفسه استمر في عهد الخلافة فقد عهد عبد الرحمن الناصر(٣) بالحكم من بعده إلى ابنه الحكم المستنصر(٣٥٠- ٣٦٦هـ)(٤).

ومن هنا نرى مدى التزام الأمويين بالحكم الوراثي الذي ورثوه عن أجدادهم في المشرق؛ وذلك بأن يوصي بالأمر لأحد الأبناء، ويكون ذلك من دون مراسيم، وتؤخذ البيعة بعد وفاة الأمير أو الخليفة(٥)، وقد استمر هذا الأمر إلى أن قام الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ) بوضع مراسيم لذلك، عندما أخذ البيعة لولديه عبد الرحمن ثم المغيرة، وتمت بيعة ولي العهد مرتين الأولى عرفت بالخاصة والأخرى بالعامة(٦).

أما عن كيفية أخذ البيعة فقد أورد لنا ابن عذارى(٧) نصاً بذلك ذكر فيه أن الخليفة الحكم المستنصر عندما أخذ البيعة لابنه هشام المؤيد، وذلك بأن أعلن البيعة له، وأن تؤخذ له من الخاصة والعامة بقرطبة وسائر كور الأندلس، وذكره في الخطبة على المنابر في الجمعة والأعياد، وقعد

---

(١) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٥١-٥٢.

(٢) يذكر أن عبد الرحمن الناصر قُتل والده وهو ابن عشرين يوماً على يد أخيه المطرف في صدر دولة أبيهما، فنشأ عند جده عبدالله الذي كان يفضله على أبنائه، وعندما تُوفيّ جده عقد الأمر إليه، فلم يعترض عليه أحد من أعمامه. لمزيد من المعلومات ينظر الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص١٢.

(٣) الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص١٢.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص١٨٥.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢،ص٦١، ٦٨، ٩٠،١١٤، ١٥٦، ٢٣٣.

(٦) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٣.

(٧) البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٩.

الخليفة الحكم المستنصر بقصره وافتتح الكلام بما عزم عليه من تقليد ابنه وعهده بالخلافة من بعده؛ فالتزمت بيعته، وأخرجت نظائر من كتب البيعة ليوقع شهادته كل من التزمها، ويتولى صاحب الشرطة إعطاء الناس على مراتبهم.

المقصود من ذلك أن القاعدة الرئيسة في عملية اختيار ولي العهد، تكون للشخص المناسب، سواءً أكان في عهد الإمارة أم الخلافة، ولا بدَّ أن تتوافر فيه صفاة الشجاعة والذكاء والقيادة، والمقدرة على تصريف الأمور، والتي بموجبها يضمن الأمير أو الخليفة بأن الدولة ستكون في أمن واستقرار، وفي ظل الأسرة الأموية.

واستمر الحكم بيد الأسرة الأموية إلى أن عَهِدَ الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠- ٣٦٦هـ) بالحكم إلى ابنه هشام المؤيد، الذي ظهر في عهده عصر الحجّاب المتسلطين في صنع القرار، وصار الخليفة الأموي مسلوب السلطان، وبلغ من تجرؤ بني عامر على الخليفة أن أخذوا ولاية العهد لأنفسهم إلا أن ذلك كان سببًا في نهاية تسلطهم سنة ٣٩٩هـ، بعد ذلك استمر الصراع بين أفراد البيت الأموي على الحكم حتى سقوط دولتهم سنة ٤٢٢هـ وعزل آخر خلفائها هشام الثالث المعتمد بالله، وبخلعه انقطعت الدعوة لبني أمية وانقطع ذكرهم على المنابر بكور الأندلس جميعًا(١).

(١) الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص١٧وما بعدها؛ ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج٢، ص١٩٦-١٩٩.

٥-الحجابة(١):

يشغل الحاجب منصبًا إداريًا، فقد كانت مهمته إدخال الناس على الخليفة؛ وذلك بحسب مراتبهم وأهمية أعمالهم(٢)، وقد كان اختصاص(٣) الحاجب في ظل دولة بني أمية في الأندلس حجب السلطان عن الخاصة والعامة، وواسطة بينه وبين الوزراء(٤)، فالحجابة أهم منصب في الدولة، وأعلى مرتبة من الوزارة(٥)، والتي من أهم شروطها الغنى والعفة والكفاية، والحصافة، والعلم والمعرفة، والوقار، والجزالة والحزم(٦).

يعدُّ الأمير عبد الرحمن الداخل أول من وضع الركائز الأساسية للمظاهر السياسية والإدارية في الأندلس وذلك عندما أنشأ المناصب السياسية ومن ضمنها منصب الحجابة(٧)، ويفهم من كتابات المؤرخين أن مصطلح الحاجب كان يطلق على الوزير الذي يختاره الأمير لمكانة النائب فيسميه بالحاجب؛ أي: رئيس الوزراء(٨)، وكان الحاجب يتدرج في مناصب الدولة قبل أن يعين من الحكّام الأمويين في منصب الحجابة؛ وذلك للتأكد من امتلاكه المهارات التي تكون سبباً في وصوله إلى أعلى

---

(١) كان هذا اللقب خاصاً للدولتين الأموية والعباسية في المشرق، بمن يحجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم أو يفتحه لهم على قدره في مواقيته، وكانت هذه منزلة يومئذ عن الخطط مرؤوسة لها إذ الوزير متصرف فيها بما يراه. ابن أمير المؤمنين، إسماعيل بن إبراهيم: تاريخ الأندلس من خلال مخطوط قيم، تح: أنور محمد زناتي، جامعة عين شمس، د.ت.ص٢٧، ح١.

(٢) عنان، محمد عبدالله: عصر الموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٤١١- ٤١٢.

(٣) ويذكر ابن خلدون أن اختصاص الحاجب في الدولتين الأموية والعباسية في المشرق يحدد بحجب السلطان عن العامة، ويغلق بابه دونهم أو يفتحه قدر مواقيته. العبر، ج١، ص٢٩٩.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج١، ص٢٩٩.

(٥) أحمد فكري: قرطبة في العصر الإسلامي، ص٢٩١؛ عنان، محمد عبدالله: دولة الإسلام في الأندلس، ص٢٨٤.

(٦) ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٦٥-١٦٦.

(٧) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٣١؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص١٩٧.

(٨) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣١٦.

المناصب(١). وقد كان أشهر من تولى الحجابة للأمويين في الأندلس تمام بن علقمة(٢)، و يوسف بن بخت(٣) لعبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ)(٤)، وعبد الرحمن بن مغيث حاجب هشام بن عبد الرحمن الداخل(١٧٢- ١٨٠هـ)، وعبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث(٥) في عهد الحكم الربضي بن هشام(١٨٠-٢٠٦هـ)، وحجب لابنه عبد الرحمن بن الحكم الأوسط(٢٠٦- ٢٣٨هـ)؛ وعبد الرحمن بن شهيد للأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن(٢٧٥- ٣٠٠هـ) وبدر بن أحمد المولى وزيرًا وحاجبًا لعبد الرحمن الناصر(٣٠٠- ٣٥٠هـ)(٦).

ومما يؤكد أهمية هذا المنصب تنافس الوزراء في الحصول عليه، متخذين الوسائل جميعًا للوصول إليه؛ ولعلَّ أبرز مثال على ذلك محاولة بعض الوزراء في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم الربضي(٢٠٦-٢٣٨هـ) الحصول على منصب الحاجب، وهو الأمر الذي جعله يضع قرعة بين الخزان لمن يتولى هذا المنصب(٧).

---

(١) ابن حيان: المقتبس في أنباء الأندلس، ج١، ص١٦٥- ١٦٧.

(٢) هو تمام بن عامر بن أحمد بن تمام بن علقمه، دخل الأندلس مع جيش بلج بن بشر. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٤٣.

(٣) هو يوسف بن بخت الفارسي مولى عبد الملك بن مروان كان دخوله إلى الأندلس مع جيش بشر بن بلج. ابن الأبار: الحلة السيراء،ج٢، ص٣٧٥.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٤٢؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ٣٧٥ -٣٧٦؛ المقري: نفح الطيب، ج٣، ص٤٥؛ خطاب، محمد بن شيت: قادة فتح الأندلس، ط١، المنار، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٤٥٢.

(٥) هو عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث، من أكابر رجال الدولة المروانية في الأندلس، وكانت وفاته سنة ٢٠٩هـ وهو في طريقه إلى غزو جليقية. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٣٥.

(٦) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٦٦، ٦٨، ٨٠، ١٢٠، ١٥٨؛ ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٦٥.

(٧) ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٦٧.

كذلك جعل الأمير عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم(٢٧٥-٣٠٠هـ) منصب الحاجب شاغرًا، وذلك بعد عزله عددًا من الوزراء الذين لم يكونوا أهلاً له(١).

ومما يلفت النظر فيمن يتولى المناصب السياسية ومنها الحجابة، أنها كانت متوارثة في أسر معينة كآل عبدة، وآل شهيد، وآل فطيس(٢).

وفي المرحلة الأخيرة من عُمر الدولة الأموية اتخذ الحاجب مجلسًا خاصًّا به في ظل دولة بني عامر يجتمع فيه أهل العلم ويظهر فيه عطاياه لهم(٣)، وهذا دليل على المكانة التي وصل إليها الحاجب في ظل دولة الأمويين في الأندلس، والتي كانت سمة من سمات تسلطهم على الخلافة ومقاليدها.

وتزداد مكانة الحاجب بقوة شخصيته ومكانته لدى السلطة الحاكمة، ففي بداية العهد الأموي في الأندلس ولاسيما في عهد الإمارة ومدة من عهد الخلافة، لم تظهر سلطة الحاجب ونفوذه في الدولة؛ وذلك لقوة شخصية وإدارة الحكّام الأمويين؛ في حين ظهر سلطان الحاجب ونفوذه منذ عهد الخليفة الحكم المستنصر الذي أسند منصب الحجابة إلى جعفر المصحفي(٤)، وأعطى له صلاحيات واسعة حتى أصبح الحاكم الفعلي،

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٥١.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١٦؛ ابن خاقان، الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي: مطمع الأنفس ومصرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تح: محمد علي شوابكة، ط١، ج١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م، ص١٦٢؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص٣٠. كانت هذه الأسر تعرف بالبيوتات، من بيوت الأندلس التي تقاسمت الوظائف الكبرى في الإمارة ثم الخلافة الأندلسية، وكلهم من موالي الأمويين المشرقيين أو الأندلسيين أو موالي مواليهم. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٢٠.

(٣) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٩٩.

(٤) هو جعفر بن نصر بن قوى بن عبد الله من برابر بلنسية، وينتمي إلى قبيلة قيس، أدب للحكم المستنصر في عهد والده، وعندما تولى الحكم استوزره وأمضاه مع ذلك على كتابته الخاصة، وضم إليه ولاية الشرطة، وأخدمه ابنه هشام، وأقام ذلك إلى وفاة الحكم المستنصر واستخلاف ابنه هشام المؤيد، فعينه حاجباً له بعد أخذ البيعة سنة ٣٦٧هـ، واستمر في منصبه إلى أن نكبه محمد بن أبي عامر، وتوفيّ في ظروف غامضة سنة ٣٧٢هـ. لمزيد من المعلومات عن هذه الحادثة ينظر ابن عذارى: البيان=

بل إنه اتخذ له لقب (سيف الدولة)، وعندما عين المنصور بن أبي عامر(١) حاجباً للخليفة هشام بن الحكم المستنصر(٣٦٦- ٣٩٩هـ)، سيطر على الحكم وحجب الخليفة عن العامة، وبعد موته تولى ابنه عبد الملك وكان ولي عهده حاجباً والمناصب جميعًا التي كانت تحت سيطرته، و أصبغ على نفسه لقب (الملك الكريم) الذي لم يُبْقِ للخلافة سوى الاسم والصورة واستمر ذلك حتى سنة ٣٩٩هـ وذلك عندما قتل عبد الرحمن شنجول بن المنصور بن أبي عامر الذي أخذ البيعة له بولاية العهد من الخليفة هشام المؤيد(٢).

ومن المهام التي كان يمارسها الحاجب في ظل حكم الأمويين في الأندلس ما يأتي:

=المغرب، ج٢، ص٢٦٥وما بعدها؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٢٥٧-٢٥٩؛ ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتري: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، ط١، ج٧، الدار العربية، ليبيا، ١٩٧٩م، ص٦٣- ٦٧.

(١) هو أبو عامر محمد بن أبي عامر المعافري، الملقب بالمنصور، أصله من الجزيرة الخضراء، قدم إلى قرطبة طلباً للعلم، وكانت له همة في ذلك، فتعلق بوالدة هشام المؤيد في حياة أبيه الحكم المستنصر، وعندما تُوفيّ الحكم المستنصر وولده هشام صغير تكفل المنصور بن أبي عامر لوالدته القيام بأمره ففيإخماد الثورات والفتن والحفاظ على الحكم، إلا أنه سار عكس ذلك فاستمال الجند إلى صفه واستولى على الحكم وأصبح هشام المؤيد مسلوب السلطان، وعند وفاة المنصور سنة ٣٩٢عهد بالحكم من بعده إلى ابنه عبد الملك . ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج٧، ص٥٣٠-٥٣١؛ المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ج١، ص٣٠؛ أبو الفداء،عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود: المختصر في أخبار البشر، ط١، ج٢، المطبعة الحسينية، مصر، ١٩٨٥م، ص١١٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٣٠١. ويذكر أنه تولى الحجابة في عهد الخليفة الحكم المستنصر وذلك إلى جانب جعفر المصحفي فأصبح للخليفة حاجبان. لمزيد من المعلومات ينظر ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٦٧.

(٢) لمزيد من المعلومات عن تسلط الحاجب على الحكم ينظر المقري: نفح الطيب، ج١، ص٤٢٠-٤٢٦؛ المراكشي: المعجب، ج١، ص٣٠؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٧٩، ٢٩٣؛ ابن خلدون: العبر، ج١، ص٢٩٩؛ ابن بسام: الذخيرة ، ج٧، ص٤٣٥؛ مجهول: تاريخ الأندلس من خلال مخطوط قيم، ص٢٧.

- قيادة بعض الحملات العسكرية كالصوائف التي تُوكل إليه من الأمراء والخلفاء الأمويين في الأندلس سواءً أكانت لقمع التمرد الداخلي أم لحماية الثغور من هجمات النصارى(١)، وذلك كقيام الحاجب عبد الكريم بن مغيث بن عبد الواحد حاجب الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ) بتنفيذ الأوامر السلطانية بقيادة حملة عسكرية إلى مدينة ألبة وقلاعها سنة ٢٠٨هـ(٢)، وقيام الحاجب بدر بن أحمد في بداية عهد عبد الرحمن الناصر بفتح مدينة إستجة(٣) التي خرجت عن طاعة الناصر ودخلها منتصرًا، وهي أول موضع افتتح في أيام الناصر(٤).
- اختص الحاجب بالمشورة في إدارة البلاد، ووضع الخطط المناسبة في تسيير أمور الدولة(٥).
- يتولى الحاجب مهمة أخذ البيعة لولي العهد، وذلك كقيام بدر بن أحمد مولى الخليفة عبد الرحمن الناصر وحاجبه، بأخذ البيعة له في جامع قرطبة من الخاصة والعامة بعد وفاة جده سنة ٣٠٠هـ؛ وكذلك قيام الحاجب جعفر المصحفي بأخذ البيعة للخليفة هشام المؤيد سنة ٣٦٦هـ(٦).

---

(١) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص٢٠؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٥٣، ١٦٩؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٣٦.

(٢) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٤٠، ٤٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٤، ص١٨٢،١٦٤.

(٣) إستجة مدينة من المدن القديمة في الأندلس تقع ما بين القبلة والغرب من قرطبة، وبها كنيسة للنصارى، وآثار كثيرة ورسوم تحت الأرض، أهلها ممن خالف عبد الرحمن الناصر في أثناء توليته الحكم ،فافتتحها حاجبه بدر سنة ٣٠٠هـ، فهدم سورها ووضع بالأرض قواعدها. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٤-١٥.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٦٠؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج٢، ص٦٩.

(٥) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٤٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص١٥٣، ٢٤٨؛ الخشني: قضاة قرطبة، ص١٣.

(٦) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٥٨، ٢٦٢؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٣٨؛ ج٢، ص٣٧٥.

- كان الحاجب يمثل حلقة الوصل بين الحكّام والوزراء، والمتحدث باسمهم، وحل الخلافات التي تنشب بينهم(١).
- تولي عددٍ من المناصب الإدارية إلى جانب الحجابة، كالكتابة، وخطة الخيل(٢)، والخزانة، وغيرها من المناصب الإدارية(٣).
- القيام بالتحاور مع القوى المعادية، وإبرام الصلح معها وإخراج الأسرى المسلمين، مثل قيام الحاجب عبد الكريم بن مغيث في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، بالتحاور مع أهل (ألبة) بعد أن دمر قلاعها، فوافقوا على دفع الجزية وإطلاق أسرى المسلمين(٤).
- يتولى الحاجب النظر في الأحباس، وذلك كقيام الخليفة الحكم بن عبد الرحمن المستنصر بتعيين حاجبه جعفر المصحفي على الأحباس الخاصة به(٥).
- القيام بمهام الحاكم في أثناء غيابه بتفويض منه؛ بل تعدى الأمر إلى أن تولى الحاجب مقاليد الحكم وأصبح الحاكم الفعلي نيابة عن الخليفة؛ بل وصل الأمر إلى حجب الخليفة عن العامة، وذلك مثل قيام الحاجب المنصور ابن أبي عامر بحجب الخليفة هشام المؤيد وسيطرته على مقاليد الحكم(٦).

٦-الوزارة وتخصصاتها:

---

(١) ابن خلدون: العبر، ج١، ص٢٩٩.

(٢) صاحب الخيل: هو المشرف على شئون الخيل وما يلزم الجيش وما يتصل بها من سرج وقرابيس وما إلى ذلك، وهذه الخطة وظيفة إدارية، يتولى إدارتها أحد القواد المهرة في اختيار الخيول الخاصة بالحروب. ابن الأبار: الحلة السيراء ،ج١،ص٢٣٣،ح٢.

(٣) ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٦٦.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص١٦٤؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٤٥.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٤.

(٦) لمزيد من المعلومات، ينظر: المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٩٦وما بعدها؛ العبادي، أحمد مختار: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، د.ن، ص١٤٩.

أصل الوزارة من الوزر وهو الحمل، بمعنى أن الوزير قد حمل عن السلطان الثقل(١)، وأول من أوجد منصب الوزارة في الأندلس الأمير عبد الرحمن الداخل، فبعد أن وطد ملكه واستتب الأمر له اتخذ له وزراء يعينونه في الحكم، إلا أنها لم تكن في اختصاص الوزارة في المشرق، فاقتصرت على التشاور والحوار، وهي وزارة متعددة المناصب، لها رئيس يسمى الحاجب، وكان لقب وزير يطلق على كل من يلقى حظوة عند الأمير سواءً أكان ذلك من الأمراء والقادة أم الولاة والمشايخ والوجهاء، وخير مثال على ذلك قيام الأمير عبد الرحمن الداخل بأن جعل أبناءه هشام وسليمان من وزرائه وومستشاريه؛ إذ لم يكن للوزارة وظائف ثابتة في بداية عهد الدولة الأموية في الأندلس(٢).

ولعلَّ ما يؤكد أن منصب الوزير في بداية عهد الأمويين في الأندلس كان لقباً يضاف إلى حامله ،ما ذكره المقري(٣) بأن الأمير عبد الرحمن الداخل عهد لابن عمه عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم(٤) الذي قدم إلى الأندلس بعد قيام دولته بالوزارة، وذلك عندما قدم إليه وهو جريح بعد المعركة التي انتصر فيها ضد اليمانية وأهل إشبيلية؛"فقال له: بيابن عمّ، قد أنكحتُ ابني وليّ عهدي هشاماً ابنتك فلانة، وأعطيتها كذا وكذا، واعطيتك كذا، ولأولادك كذا، واقطعتك وإياهم كذا، ووليتكم الوزارة".

---

(١) ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن: زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، ط١، ج٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ، ١٥٧؛ ابن خلدون: العبر، ج١، ص٢٩٤.

(٢) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٤٢، ٢٤٦؛ ابن حيان: المقتبس في أنباء الأندلس، ج١،ص١٦٨؛ المقري: نفح الطيب، ج٣، ص٤٤- ٤٥.

(٣) نفح الطيب، ج٣، ص٥٩.

(٤) عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم، قعيد (قريب النسب) بني مروان في وقته وفارسهم وشهابهم، قدم من مصر على عبد الرحمن الداخل في سنة ١٤٠هـ، في أول ولايته بالأندلس، وهو في عشرة رجال من بنيه فرسان، فولاه إشبيلية، وأغنى في حرب يوسف الفهري عند نكثه وفراره من قرطبة حتى قتل ابن الفهري، قاد معظم الحملات ضد معارضي عبد الرحمن الداخل، الأمر الذي جعل له وجاهة لدى الأمير. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٥٧.

ويؤكد كلام المقري أن منصب الوزارة كان موجوداً منذُ بداية الحكم الأموي في الأندلس، وكان يعطى كمكافأة لمن يقدم خدمة، والتي من شأنها أن تصب في تثبيت الحكم الأموي؛ وأنها كانت لقبًا تتشريفًا يطلقه حكام بني أمية على الأشخاص الذين ينالون معزة لديهم، مقابل الأعمال التي يقدمونها، وتكليفهم احد المناصب في الدولة كوالٍ أو قائد أو غيرها.

ومن الأشخاص الذين اطلق عليهم لقب الوزير إلى جانب القيادة ابن جهور بن يوسف بن بخت الذي تولى الوزارة في عهد الأميرين الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ)، وعبد الرحمن الأوسط، وولى ابنه عبد الملك بن جهور الوزارة والقيادة للأميرين محمد بن عبد الرحمن والمنذر بن محمد(١).

ومنصب الوزير برز بوصفه منصبًّا(٢) ذا وظيفة معينة واختصاصات متعددة، منذُ عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، الذي يعدُّ أول من ألزم الوزراء بالإتيان إلى القصر كل يوم، والتحدث والمشورة، وأفردهم ببيت رفيع داخل القصر خصصه لهم، يجلسون فيه على أرائك، يستدعيهم إذا شاء إلى مجلسه جماعة وأشتاتًا، وذلك للتشاور معهم، وتبادل الرأي فيما يبرمه من أحكام، وإذا قعدوا في بيتهم أخرج رقاعه ورسائله إليهم بأمره ونهيه، فينظرون فيما يصدر إليهم من عزائمه، وعليه سار من خلفه في الحكم(٣).

---

(١) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص٣٧٥.

(٢) أصبح معنى الوزارة مطابق لمعناها المعروف في العصر الحديث. السديري، توفيق بن عبد العزيز: الإسلام والدستور، ط١، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، الرياض، ١٤٢٥، ص١٥٧.

(٣) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج ٢، ص٧٧؛ ابن حيان: المقتبس في أنباء الأندلس، ج١، ص١٦٨؛ زكار، سهيل: في التاريخ العباسي والأندلسي السياسي والحضاري: ط٤، دار الكتاب، دمشق، ١٩٩٢م، ص٢٩٠؛ السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس(من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة الأموية بقرطبة)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م، ص٢٢٩.

أما ما يتعلق بالمقاعد المخصصة لهم؛ فقد كانوا يجلسون على دسوت؛ (أي: مقاعد يجلسون عليها)، عند اجتماعهم، وكان دست رئيسهم وهو الحاجب أعلى من دسوت الآخرين، وأول من أعلى رتبة الوزارة منهم في الجلوس الأمير عبدالرحمن الأوسط، وعندما يعزل الوزير يرفع الدست الذي كان يقعد عليه(١)، كما أن هناك رتبًا خاصة بهم للتعامل فيما بينهم، وذلك أن الوزير لا يقوم إلا لوزير مثله(٢).

وكان الوزراء ينفذون أوامر الحكّام فيما يُوكل إليهم من مهام، سواء بقيادة حملات عسكرية، أو بتعيين القضاة في كور الأندلس بعد أن يختارهم الأمير أو الخليفة(٣)، كما يخصهم بالمشاورة في أمور الدولة وكيفية معالجتها(٤)، وقد كانوا يقدمون مقترحاتهم في بطاقة للأمير أو الخليفة للنظر فيها والأخذ بما ورد في نصها أو نفيه(٥)، وكذلك يشاركون في وضع الخطط العسكرية وكيفية التحصينات الدفاعية، كما يخرجون لاستنفار الناس للجهاد خاصة(٦).

وأوكل إلى الوزير أيضاً عديد من المناصب الإدارية بالإضافة إلى منصبه، مثل الوزير محمد بن عبد الرحمن الذي جمع له بين خطتي الوزارة والمدينة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن(٧)، وكذلك تعيين الخليفة عبد الرحمن الناصر بعد أخذ البيعة لنفسه سنة٣٠٠هـ ، مولاه

---

(١) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٢٤، ح١؛ العمري: مسالك الأبصار، ج٢٤، ص٤٦٩.

(٢) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٢٤.

(٣) الخشني: قضاة قرطبة، ص١١-١٨، ٦٢؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٢٤.

(٤) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٤٦؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص٩٧.

(٥) المقري: نفح الطيب،ج١، ص٣٥٣.

(٦) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج٢، ص٨١-٨٩.

(٧) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٦٢.

بدر الوزارة والحجابة، وخطة الخيل(١)، وكذلك موسى بن محمد الذي تقلد الوزارة بالإضافة إلى ما كان عليه في خطة المدينة(٢).

وفي عهده أيضًا أحدث تطوراً على منصب الوزارة وذلك عندما أطلق على حاجبه أحمد بن عبد الملك بن عمر بن شهيد لقب ذي الوزارتين وذلك سنة ٣٢٧هـ، وهو لقب أعطى له الأفضلية على بقية الوزراء لدى السلطان، وأوسع من سلطاته كوزير، وهو من ينوب عن الملك في أثناء غيابه(٣).

وعندما سيطر بنو عامر على الحُكم سيطروا على كل الخطط الكبرى ومن ضمنها الوزارة، وبذلك ضعفت سلطة الوزير؛ لقوة منصب الحاجب الذي كان تحت سيطرتهم، فأصبح الوزراء يقبّلون يد الحاجب(٤)، واستمر ذلك حتى سقوط دولة بني عامر سنة ٣٩٩هـ، عندها سيطر الصقالبة(٥) عليها واستمر ذلك حتى سقوط الدولة الأموية سنة ٤٢٢هـ(٦).

أما فيما يخص الدخل الذي كان يتقاضاه الوزير فقد بلغ خمسمائة دينار شهريًّا(٧)، وهذا ما يؤكد أن منصب الوزير في دولة بني أمية في الأندلس كان له أهمية كبيرة ، تبرز من المهام التي يمارسها، والراتب الذي يتقاضاه.

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٥٨.

(٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(٣) ابن خاقان: مطمع الأنفس، ج١، ص١٦٦؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٨٠،٢١٧ .

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٧٩.

(٥) الصقالبة كانوا في الأصل رقيقاً أو عبيداً من سبي الشعوب السلافية الذين بيعوا إلى عرب االأندل؛ ولذلك أطلق عليهم العرب اسم الصقالبة، ثم توسع الأندلسيون في استعمال هذا الاسم، وأطلقوه على مواليهم الذين جلبوا البلاد الأوروبي. المختلفة بما في ذلك شمال إسبانيا المسيحي. العبادي: دراسات، ص٩١.

(٦) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٩٦وما بعدها.

(٧) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص٣٦٥.

٧- الكتابة:

الكتابة وظيفة تختص بقراءة الرسائل الواردة على السلطان، وكتابة أجوبتها، ووضع ختم السلطان عليها وتفسيرها، والكاتب أول من يدخل على السلطان وآخر من يخرج من عنده(١)، وفي هذا الديوان تُحفظ نسخة من الرسائل الصادرة أو الواردة إلى قرطبة(٢)، وهو أشبه بالأرشيف في وقتنا الحاضر.

وتعدُّ الكتابة احدى الخطط الإدارية المهمة التي تلي الحجابة، وهي الوزارة بنفس المرتبة، وتنقسم إلى قسمين:

أ) **كاتب الرسائل**

يسمى صاحبها بالكاتب؛ وقد حظيت باهتمام كبير من الأمويين في الأندلس، وذلك لما لها من أهمية في تمثيل سياسة الدولمنمن الرسائل التي تبعث من الحاكم داخليًّا وخارجيًا، لذلك حرص الأمويون في الأندلس على إيجاد إدارة حازمة تعمل على تسيير شؤون دولتهم الإدارية والمالية وقد عرفت هذه باسم الكتابة(٣).

ومن المهام التي كان يقوم بها الكاتب: إذاعة المراسيم(٤) والبراءات وتحرير الرسائل السياسية وختمها بخاتم الخلافة بعد اعتمادها، ومراجعة الرسائل الرسمية ووضعها في الصيغة النهائية وختمها بخاتمه(٥). كما

---

(١) الطرسوسي، إبراهيم بن علي بن أحمد: تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، تح: عبد الكريم أحمد مطيع، ط٢، ج١، جامعة الرياض، د.ت.ص٩١.

(٢) الخشني: قضاة قرطبة، ص٦٥.

(٣) المقري: نفح الطيب، ج١، ٢١٧.

(٤) ينظر نموذج المرسوم الذي أصدره الخليفة هشام المؤيد بجعل ولاية العهد لعبد الرحمن شنجول بن المنصور بن أبي عامر سنة ٣٩٩هـ، ملحق رقم(١)، من إنشاء كاتب الرسائل في عهده أبي حفص أحمد بن برة.

(٥) الماتردي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود: تفسير الماتردي، تح: مجدي باسلوم، ط١، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٤٧.

عرف المكان الذي تُجري فيه كتابة الرسائل باسم ديوان الرسائل(١)، ويشترط على من يتولى هذا المنصب أن يكون مسلمًا ومن وجهاء الدولة وعظمائها(٢)، ولابدَّ أن يكون" متمهرًا في فن المراسلة عارفًا بوجوه المعاني، فإنه يتفرع له فيه ما يرفعه، بل ههنا وجوه قد كتبت في أمثالها، ولها مذاهب يحتاج إلى معرفتها، والوقوف على رسومها"(٣)؛ بحيث يمتحن الكاتب قبل تثبيته في وظيفته؛ وذلك للتأكد من المهارات التي يمتلكها(٤).

وصاحب هذا المنصب في الأندلس يسمى بصاحب القلم الأعلى(٥)، وقد كانت له مكانة رفيعة عند أهل الأندلس(٦)، ونظراً لهذه المكانة التي يمثلها الكاتب، فإن الأندلسيين لم يغفلوا عن عثرات كاتب الرسائل، فإذا كان ناقصاً عن درجات الكمال فلا ينفعه جاهه ولا مكانه من سلطانه من تسلط الألسن عليه في المحافل والطعن عليه وصاحبه(٧)، وقد حرص بنو أمية على اختيار الأنسب لإدارة هذا المنصب ومن له كفاءة في اللغة والأدب والعلم؛ لذلك لم يتساهلوا فيمن يتعدى الخطة المرسومة(٨) لكتابة الرسائل وعدم التقيد بها(٩) فيذكر أن الأمير عبد الرحمن الداخل أمر كاتبه أمية بن زيد بكتابة كتاب إلى بعض عماله، فأكثر وأطال الكتاب،

---

(١) ابن خلدون: العبر، ج١، ص٣٠٥.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١٧.

(٣) ابن قدامة: أبو الفرج بن قدامة البغدادي: الخراج وصناعة الكتابة، ط١، ج١، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م، ص٣٨.

(٤) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الاندلس، ج٢، ص٩٠.

(٥) العمري: مسالك الأبصار،ج١٢، ص٨.

(٦) المقرى: نفح الطيب ،ج١،ص٢١٧.

(٧) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(٨) وتتمثل هذه الخطة في أن يحكم الكاتب الخط فيقيم حروفه، ويراعي المداد فيجيد صنعته، ويميز الرق فيحسن اختياره، وعجزه الحُكم الصّادع، بأن تكون صدور الكتب الاعتراضات وعنوانها وتواريخها والأعداد في رؤوس رسومها. ابن بسام: الذخيرة، ج١، ص١٠٦.

(٩) لمزيد من المعلومات ينظر ابن بسام: الذخيرة ، ج١، ص١٠٦– ١٠٧.

فلحظه الأمير فأمر بقطع الرسالة، وكتب بخط يده(١)، وهذا ما يؤكد أن المكاتبات الرسمية كانت تتميز بالإيجاز في التفصيل والقصد في التعبير وإيثار المعنى(٢)، ونورد هنا نموذجًا من ذلك يتمثل في خطاب الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى أحد المتمردين ذكر فيه " ولما رأيناك قد تذرعت بإظهار اتقاء الله رأينا أن نعرض عليك أولاً ما لا بدَّ منه آخراً، وليس من أطاع بالمقال كمن أطاع بعد الفعال فبادر مستسلمًا إلى قرطبة"(٣).

ونجد أن الكل سواءً في عهد الإمارة أم الخلافة التزم بهذه الخطة المرسومة في المكاتبات سواءً أكانوا في قرطبة أو القائمين على الكور والأقاليم، ومن خالف ذلك لا تقبل رسائله بل تُردّ، ولا ينظر في طلبه؛ بل وصل الأمر أن يعاقب على ذلك(٤).

ولم يكن للكاتب في بداية عهد الدولة الأموية تخصص أو انتماء محدد، واستمر هذا الحال إلى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، وذلك عندما عين محمد بن سعيد الزجالي(٥) كاتباً خاصاً له؛ فأصبح هناك كاتب خاص للسلطان وآخر للوزراء واستمر ذلك إلى نهاية الدولة الأموية في الأندلس(٦).

ومع التطور الكبير الذي شهدته دولة بني أمية في الأندلس لا سيما في عصر الخلافة اتسعت المهام التي توكل إلى الكاتب وتخصصاتها، فنجد الخليفة عبد الرحمن الناصر يوكلها إلى عدد من وزرائه سنة

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٥٨.

(٢) إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ط١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠م، ص٣١٣-٣١٤.

(٣) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٦٩-٧٠.

(٤) ابن بسام: الذخيرة ، ج١، ص١٠٧-١٠٨.

(٥) هو محمد بن سعيد بن أبي سليمان الزجالي، كان ذكياً مشهوراً بالحفظ، لذلك لقب بالأصمعي لقوة حفظه، ويعدُّ مؤسس مجد الزجاجلة في الأندلس، وكانت وفاته سنة ٢٣٢هـ. ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٧١.

(٦) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج٢، ص٨٩؛ ابن حيان: المقتبس، ج١، ص ١٧٣.

٣٣٤٤هـ؛ فأصبح الكاتب يسمى بالوزير الكاتب وتتمثل هذه التخصصات في الآتي:

- كاتب أهل الخدمة، تولى هذه المهمة جهور بن أبي عبدة(١).
- كاتب أهل الثغور والسواحل والأطراف، ومهمته تقتصر في إرسال رسائل واستقبال القادمة من تلك الجهات، ومن تولاها في عهد الناصر هو الوزير عيسى بن فطيس(٢).
- كاتب خاص مهمته النظر فيما يخرج من العهود والتوقيعات وتنفيذها، وقد تولاها في عهد الخليفة الناصر الوزير عبد الرحمن الزجالي(٣).
- كاتب خاص للنظر في مطالب الناس وحوائجهم، وإنجاز التوقيعات لهم(٤).

وبذلك أصبح منصب الكتابة ذا مكانة عالية من الترتيب وتوزيع المهام؛ فأصبحت المكاتبات تمثل دوراً بالغاً في تسيير أمور الدولة وتسهيلها وما يصدر عنها من قرارات تخدم أهدافها واستقرارها.

وممن اشتهر من الكتاب في عصر الخلافة جعفر بن عثمان المصحفي الذي استعمله الحكم المستنصر في أثناء ولايته للعهد كاتباً لديه، وعندما تولى الحكم عينه وزيراً وأبقاه على وظيفة الكتابة، وكان مقدماً في صناعة الكتابة شاعراً(٥).

كما أن منصب الكتابة لم يكن حكراً على الرجال فقط؛ فقد اعتلى هذا المنصب أيضاً النساء ممن كان لهن بالخط والكتابة فهم واسع، وذلك

---

(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج٢، ص٨٣-٨٤؛ ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٧١.

(٢) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج٢، ص٨٣-٨٤؛ ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٧١.

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن سعيد الزجالي، ورث مكان والده في الأدب والمعرفة، والكتابة، والبلاغة، كان كاتباً ووزيراً أديباً حليماً وهو آخر كاتب من أسرة الزجالي في عهد الدولة الأموية، تُوفيّ سنة ٢٦٨هـ. ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج٢، ص٨٣-٨٤؛ ابن حيان المقتبس، ج١، ص١٧١.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٢٠.

(٥) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٢٥٧- ٢٥٨.

عندما اختص الخليفة عبد الرحمن الناصر، الكاتبة مزنة لتكون كاتبة خاصة له(١)؛ وكذلك الخليفة الحكم المستنصر الذي اختص كاتبة تدعى لبنى، التي عرف عنها جودة الخط وفن الكتابة(٢).

وفي المدة الأخيرة من عهد الدولة الأموية، وفي ظل خلافة هشام المؤيد وتسلط بني عامر على الحكم برز عددٌ من الكتاب النابهين الذين اتصفوا بالنظرة الفاحصة والبصيرة النافذة في تقييم الكتابات الفنية، ومن أبرز هؤلاء الكتاب أبو مروان بن إدريس الجزيري(٣)، الذي تولى الكتابة والوزارة للمنصور بن أبي عامر، ثم لابنه المظفر عبد الملك، والذي أظهر من البراعة والفطنة في صياغة المكاتبات الشيء الكثير، والذي عرف عنه ميله في كتاباته إلى طريقة الكاتب المشرقي عبد الملك الزيات(٤)، ومن النساء نظام الكاتبة التي كانت بقصر الخلافة بقرطبة في عهد هشام المؤيد بن الحكم، وكانت بليغة مدركة محبرة للرسائل ومن إنشائها الخطاب الذي عزى فيه المظفر بن عبد الملك المنصور بن محمد بن أبي عامر بوفاة والده وجدد له العهد بولايته سنة ٣٩٢هـ(٥).

ب) **كاتب الزمام:**

يعرف صاحبها بكاتب الجهبذة(٦)، وتشرف هذه الوظيفة على أعمال الجبايات وحقوق الدولة من الدخل والخرج، وحصر أسماء العساكر بأسمائهم،

---

(١) كانت وفاتها سنة ٣٥٣هـ. الضبي: بغية الملتمس، ج١، ص٥٤٦؛ ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، صح: عزة العطار، ط٣، ج١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٦٥٤.

(٢) الضبي: بغية الملتمس، ج١، ص٥٤٦. لبنى كانت نحوية شاعرة بصيرة بالحساب مشاركة في العلم، توفيت سنة ٣٧٤هـ.

(٣) كان عبد الملك الجزيري شاعراً أديباً غزير المادة، معدودًا من أكابر البلغاء من ذوي البديهه من ذلك وله رسائل وأشعار كثيرة ومدونة. ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٢٠٣.

(٤) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٣٢١.

(٥) ابن الأبار: التكملة، ج٤، ص٢٤٩.

(٦) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١٧.

وصرف أعطياتهم في أوقاتها(١)، كما يتولى إدارة خدم القصور والإشراف عليهم(٢).

ويعمل مع صاحب الزمام عدد من الموظفين ذوي المهارة الفائقة في عملية الحسابات، بإشراف صاحب الزمام، ويعرف المكان الذي يباشرون فيه أعمالهم باسم الديوان(٣)، كما أن رئيس الديوان كان يعرف في بعض الأوقات باسم صاحب الأعمال الخراجية(٤).

ويشترط فيمن يتولى هذا المنصب أن يكون مسلماً، ومن وجهاء القوم وعظمائهم، لذلك حرص الأمويون في الأندلس، ألا يلي هذا المنصب يهودي ولا نصراني البتة(٥).

---

(١) ابن خلدون: العبر، ج١، ص٣٠٢.

(٢) الخطيب، مصطفى عبد الكريم: معجم المصطلحات والألفاظ التاريخية، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٢٤٤؛ الباشا، حسن: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٣١٢.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج١، ص٣٠٢.

(٤) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١٧.

(٥) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١٧.

ثانيا: النظام الإداري:

ارتبطت الأندلس إداريًّا منذٌ فتحها ما بين الشمال الإفريقي، والإشراف المباشر لمركز الخلافة الأموية في دمشق(١)، فعندما تكون تابعة لولاية إفريقيّة يعين والي القيروان(٢) ولاة الأندلس وذلك بعد مصادقة الخليفة في دمشق، مثل تعيين الحر بن عبد الرحمن الثقفي، وعنبسة بن سحيم الكلبي(٣)، وتارة تتبع مركز الخلافة في دمشق، وذلك في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) الذي أسند ولايتها إلى السمح بن مالك الخولاني(٤)؛ لما اشتهر من النزاهة والتقوى(٥)؛ وتارة ثالثة تفرضها الظروف في الأندلس فيتفق أهلها على شخص معين يختار لإدارة البلاد حتى يأتي غيره من الخليفة أو والي إفريقيَّة، وممن تولى ذلك أيوب بن حبيب اللخمي وذلك بعد مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير(٦).

---

(١) عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٦٨٠.

(٢) مدينة في بلاد المغرب، بنيت على يد القائد العربي عقبة بن نافع لتكون قاعدة للمسلمين، وتعدُّ أم القرى المغربية، وعاصمة الحضارة العربية. المنجم: آكام المرجان، ص٩٨.

(٣) هو عنبسة بن سحيم الكلبي تولى ولاية الأندلس سنة ١٠٣هـ، من والي إفريقية يزيد بن أبي مسلم، واستمر والياً عليها حتى قتل في إحدى غزواته ضد الفرنجة سنة ١٠٧هـ، فكانت ولايته أربع سنين وثمانية أشهر. ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ج٢، ص٣٧-٣٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٢٧؛ الزركلي، خير الدين بن محمود بن فارس الدمشقي: الأعلام، ط١٥، ج٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٩١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٧، ص١٢٩.

(٤) هو السمح بن مالك الخولاني أمير بني خولان، استعمله الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز على الأندلس، وأمره أن يميز أراضيها، وأن يخرج ما كان فتحه عنوة فيأخذ منها الخمس، وأن يكتب إليه صفة الأندلس، فقدمها سنة ١٠٠هـ، توفى في احدى معاركه مع الروم سنة ١٠٣هـ. الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص٢٣٧؛ الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٣٩.

(٥) ابن أمير المؤمنين: تاريخ الأندلس،ص١١،ح٥.

(٦) المراكشي: المعجب، ج١، ص١٨-١٩؛ ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله: فتوح مصر والمغرب، ج١، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٤١٥هـ، ص٢٤٤- ٢٤٥؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص٤٧؛ ج٢، ص٢٥؛ المقري: نفح الطيب، ج٣، ص١٤.

واستمر الأمر في الأندلس تارة يعين الوالي من الخلافة في دمشق، وأخرى من والي إفريقيَّة، وتارة تفرضها ظروف المنطقة وبعدها عن المركز فيعين والٍ من دون الرجوع إلى المركز وذلك نتيجة الصراع القائم بين القبائل، واستمر ذلك إلى أن اختير يوسف بن عبد الرحمن الفهري سنة ١٢٩هـ بموافقة الأطراف جميعًا من دون مصادقة الخليفة أو والي إفريقيَّة، والذي استطاع أن يقضي بعض الشيء على الصراعات القبلية، واستمر والياً على الأندلس نحو عشرة أعوام، وانتهى به المسار على يد عبد الرحمن الداخل سنة ١٣٨هـ، بعد هزيمته في معركة المسارة، وبذلك قامت دولة بني أمية في الأندلس(١).

وقد استفاد عرب الأندلس من النظام الذي كان سائداً في إسبانيا قبل الفتح، فعدلوا منه بعض الشيء في عصر الولاة (٩٥-١٣٢هـ)، وذلك بحسب ما اقتبسوه من المشرق، ومال أهل الأندلس في التنظيم الإداري نحو الأقسام الإدارية الصغيرة؛ وذلك مما يسهل عملية التنظيم وحصر الأمور المالية في كل إقليم(٢).

كما أن النظام الإداري في الأندلس اتجه إلى التقسيمات الإدارية الصغيرة ؛ تيسيراً لضبط الأمن وحصر المال، واكتفى المسلمون بالكور، كل واحدة منها يتبعها عدد من المدن والتي يتبعها من الأقاليم، وهذا يؤدي إلى ضبط المناطق الخاضعة للدولة، فالإدارة المركزية يتبعها عمال الكور، وعمال الكور يتبعهم عمال المدينة الذين تقع على عاتقهم المسؤولية عن زمامات المدن وأقاليمها(٣).

---

(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج٢، ص٣٧-٥١؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص ٣٤٧-٣٤٨؛ ابن أمير المؤمنين: تاريخ فتح الأندلس، ص١٠-١٩.

(٢) الحميدي: جذوة المقتبس ،ج١، ص٨؛ مؤنس: فجر الأندلس، ص٥٥٤-٥٧٧.

(٣) مؤنس: فجر الأندلس، ص٥٧١-٥٧٢.

وقد عرفت الأندلس نظام الأجناد(١) أو الكور المجندة، وهو النظام الذي أخذه المسلمون من الروم في بلاد الشام(٢)، ودخل إلى الأندلس في أيام أبي الخطار الكلبي(٣)، مع وجود اختلاف في ذلك بأن الجند في الشام يضم كورًا كثيرة، وبالعكس من ذلك في الأندلس(٤)، وأهم المناصب الإدارية التي برزت في عهد بني أمية في الأندلس ما يأتي:

١-الوالي:

لم تذكر المصادر التاريخية أي وجود للولاة في الأندلس في أثناء وصول الأمير عبد الرحمن الداخل، وإنما كانت الزعامات القبلية هي المسيطرة على المناطق أو الكور.

لأجل هذا نجد عبد الرحمن الداخل بعد قيام دولته في الأندلس يعمل جاهداً على إحلال سلطة الدولة مكان سلطة القبيلة، وبدأ بهذه الخطوة بعد معركة المسارة مباشرة؛ إذ إنه لم ينكل بمعارضيه على الرغم من انتصاره عليهم(٥)، وبعد أن استتب الوضع له وقضى على حركات التمرد بدأ في تعيين الولاة على الكور، واختص بذلك الزعماء القبليين ليكونوا في مناطق

---

(١) المراد بها ولايات عسكرية ينزلها الجند، ويسميها العرب بند وجمعها بنود، وهي تقابل الثغور ويحكمها قائد عسكري. مؤنس: فجر الأندلس، ص٥٧٢.

(٢) السلومي، عبد العزيز عبدالله: ديوان الجند(نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون)، ط١، مكتبة الطالب الجامعي، مكة، ١٤٠٦هـ، ص٢٣٦- ٢٣٨.

(٣) أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي، دمشقي من خيار أهل الشام، شاعر فارس، تولى إمارة الأندلس سنة ١٢٥هـ، وعلى يديه خمدت الفتنة بين المسلمين في الأندلس، وهو الذي فرق العرب الشاميين الذين دخلوا مع بلج بن بشر على الكور، وعلى الرغم أن أبي الخطار كان مقبولًا ممن الشاميين والبلديين، انحرف لعصبيته اليمانية، وهو الأمر الذي أدى إلى فراره ونهايته بعد معركة دارت بينهما إذ انهزم وقبض عليه وقتل سنة ١٣٠هـ. الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص٥-٦.

(٤) مؤنس: فجر الأندلس، ص٥٧٢.

(٥) مجهول: أخبار مجموعة، ص٨٣- ٩٠؛ لين -بول: قصة العرب في إسبانيا، ص٥٧.

سيادتهم، فعين أبا الصباح يحيى بن يحيى اليحصبي(١) والياً على إشبيلية، وسليمان بن يقظان(٢) على برشلونة(٣)، وكان الهدف من ذلك هو كسب الوقت لفرض سيطرة الدولة من جهة، ويحد من تمرد تلك الزعامات عليه من جهة أخرى، ويتبين ذلك من إصدار أمر بعزل أبي الصباح عن ولايته وذلك لتمرده، وهو الأمر الذي جعل عبد الرحمن الداخل يستدرجه إلى قرطبة وأمر بقتله سنة ١٤٩هـ(٤)، ثم بعد ذلك عزل الزعامات القبلية جميعًا الذين لم ينصاعوا للحكم الجديد، وأقر على الكور والأقاليم أمراء من البيت الأموي، أو الموالي أبناء البيوت المساندة، فقد ولى أخاه عبد الملك بن عمر على إشبيليه، وابنه عبد الله على مورور(٥)، وكذلك حبيب بن عبدالملك على طليطلة (٦)، وعلى نهجه سار من جاء بعده.

---

(١) أبو الصباح يحيى بن يحيى اليحصبي، زعيم العرب اليمانية في إشبيلية، كان فارساً شجاعاً، لبى دعوة عبد الرحمن وبايعه، واشترك معه في معركة المصارة، إلا أن عبد الرحمن أظهر له العداء بسبب مؤامرة كان أبو الصباح يدبرها. ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٥٣-٥٤.

(٢) سليمان بن يقظان الكلبي أحد وجوه العرب في الأندلس، كان من الزعماء ذوي الطموح إلى السلطة، أعلن تمرده على عبد الرحمن الداخل سنة ١٥٧هـ، فهزم جيشه وأسر قائده سنة ١٥٨هـ، ومن ثم تواطأ مع شارلمان، وأرسل إليه بخطة مع ثقاته، مقابل تسليمه بعض المواقع في شمال إسبانيا، على الرغم من الحملة الكبيرة التي قادها شارلمان ضد الأندلس، فقد هزم وسحقت مؤخرة جيشه، وعاد سليمان إلى سرقسطة بعد إنقاذه من أسر شارلمان، وأعلن التمرد مرة أخرى ضد الأمير عبد الرحمن الداخل إلا أنه دبر اغتياله قبل ذلك سنة ١٦٤هـ. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٩١.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٦٠؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص٦٤.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٥٣؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص٩٦-٩٧.

(٥) مورور: تقع على سفح جبل يحمل الاسم نفسه، كانت في بداية الأمر كورة قاعدتها تحمل الاسم نف، إلا أن المعتمد بن عباد ضمها إلى إشبيلية سنة ٤٣٨هـ، ومنذ ذلك الحين أصبحت مورور وأقاليمها من توابع إشبيلية، وقد سقطت مورور في يد فرناندو الثالث سنة ٦٤٦هـ. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٣٧١، ح١.

(٦) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٥٦، ٥٩؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص٨٩.

أما فيما يخص مناطق الثغور فقد حرص الأمويون على اختيار أصحاب الكفاءة العسكرية والإدارية، كالرماحس بن عبد العزيز(١) الذي عينه الأمير عبد الرحمن الداخل على الجزيرة الخضراء(٢)، وتأكيداً لاختيار الأنسب لإدارة المناطق المهمة ولى الأمير عبد الرحمن بن الحكم محمد بن عبد السلام بن بسيل(٣) على إشبيلية وشذونة ومورور، والجزيرة(٤)، وكذلك القائد عبد الرحمن الرماحس الذي تولى قيادة البحر في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، وولده الحكم المستنصر بن الناصر(٥).

وكان الغرض من منصب الوالي في الكور والأقاليم والثغور، القيام بإدارتها وتصريف شؤونها الادارية والمالية والعسكرية، نيابة عن الأمير أو الخليفة، وتمثيله في المناسبات جميعًا التي تجرى فيها.

ونجد أن الشروط التي يجب أن يتحلى بها الوالي، ذكرها ابن الأثير(٦) بقوله:" إنه لا يصح لهذا الأمر إلا رجلاً قد تكاملت فيه خصال عدة: حزم يتقي به عند موارد الأمور حقائق مصدرها، وحلم يحجزه عن التهور والتغرير في الأشياء إلا مع إمكان فرصتها وشجاعة لا تفضلها الملمات مع تواتر حوائجها، ووجود يهون بتبذير الأموال عند سؤالها،

---

(١) الرماحس بن عبد العزيز الكناني، كان على شرطة الخليفة الأموي مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ)، وبعد سقوطها هرب الرماحس إلى الأندلس، فولاه الأمير عبد الرحمن الداخل على الجزيرة الخضراء، إلا أنه لم يلبث أن أعلن تمرده، فقدم عليه الأمير عبد الرحمن الداخل، فأخذ أهله وهرب إلى سبته ومنها إلى المشرق. ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٥٦.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٥٦.

(٣) هو محمد بن عبد السلام بن بسيل المعروف بالشيخ، ولد لأبيه عبد السلام بالأندلس بعد دخوله إليها مع ابنيه يحيى وعبد الواحد أيام عبد الرحمن الداخل، وبسيل مولى الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ)، فأصبح أبناء بن بسيل من والولاة والعمال للأمويين في الأندلس، وتقلدوا عديد من المناصب الإدارية الأخرى. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ٣٧١-٣٧٢.

(٤) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ٣٧١-٣٧٢.

(٥) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٨٤.

(٦) الكامل في التاريخ، ج٨، ص١١٢-١١٣.

وشرعة مكافأة الإحسان إلى صالح الأعوان، وثقل الوطأة على أهل الزيغ والعدوان، والاستعداد للحوادث إذ لا تؤمن حوادث الزمان".

وكان الأمويون لا يسندون منصب الولاية، إلا للأشخاص الذين يتميزون بالتواضع وحسن الخلق سواءً كانوا من أبناء المنطقة نفسها أم من خارجها(١).

في حين نجد في عهد الإمارة غالبًا ما كان يسند ولاية الكور المهمة إلى أبناء البيت الأموي، والقرشيين القادمين من المشرق أو الموجدين منذُ أيام الفتح(٢)، وفي مدة الخلافة اعتمد على ولاة من الموالي الصقالبة(٣)، والسبب في ذلك يعود إلى كثرة التمردات التي قام بها العرب، وهو الأمر الذي أدى إلى عدم ثقة الأمويين بهم أو الاعتماد عليهم(٤).

ثم أصبح تعيين الولاة في تلك من الآونة طريقاً للثراء السريع؛ ولاسيما في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٧-٢٢٣هـ)، عندما أُوكل تعيين الولاة إلى وزيره هاشم(٥) الذي كان يعين أصحابه وندماءه ويشاطرهم أرباحهم، وكانوا يسمون (بالمناصفين)(٦).

أما تعيين الوالي في الكور فكان يتولاه الحاكم في قرطبة سواءً أكان في عهد الإمارة أم الخلافة، وذلك بموجب مرسوم يباشر به المعين مهامه كواليًا، ويحدد ذلك السجل بناء على طلب الوالي وولائه للحاكم، ومعظم

---

(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج٢، ص٨٤.

(٢) ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٤٧، ١٤٨، ١٥٨؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص٩٦-٩٧؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص٣٦٧، ٣٧٠؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج٢، ص١٢٣.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٥٩، ١٦٠، ١٦٣،٢٥٩؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٣٧، ١٤٣؛ عنان: دولة الإسلام، ص٦٨٢.

(٤) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٣٣؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص١٣٨.

(٥) هاشم بن عبد العزيز بن هاشم أبو خالد، كان وزير الأمير محمد بن عبد الرحمن الأموي سلطان الأندلس، يؤثره بالوزارة، تمت نكبته في عهد الأمير المنذر بن محمد، وذلك لأمور حقد عليه، فسجنه وعذبه ثم قتله. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٣٧؛ الزركلي: الأعلام، ج٨، ص٦٦.

(٦) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج٢، ص٨٦؛ الزركلي: الأعلام، ج٦، ص١٨٩.

العمال يتم التسجيل لهم بعد وفاة آبائهم، وعندما سيطر الحاجب المنصور بن أبي عامر على شؤون الخلافة في عهد هشام المؤيد الأول، أصبح هو الذي يعين الولاة ويعزلهم، وكذلك فعل ولداه من بعده(١).

ويكون مقر إقامة الوالي في عاصمة الكورة أو الثغر، التي كانت تعرف باسم القاعدة، أو حاضرة، ومنها تدار المناطق التابعة لها جميعًا(٢).

لقد امتازت بعض ولايات الثغور بأن يكون ولاتها أفرادًا من أسر معينة، كما هو الحال في ولاية سرقسطة الثغر الأعلى؛ فقد كان ولاتها من الأسرة التجيبية(٣)، فقد عين محمد بن هاشم التجيبي على سرقسطة سنة ٣١٩هـ، وظل فيها حتى سنة ٣٢٢هـ، واستمرت إدارة هذه الولاية متوارثة في هذه الأسرة(٤).

أما عن الطرق التي بموجبها يصبح الوالي حاكماً في إحدى كور الأندلس أو ثغوره في ظل دولة الأمويين، فقد أخذت أوجهًا عديدة، فهناك ولاة يفرضون أنفسهم بالقوة في مناطق سيطرتهم، ولاسيما في مناطق الثغور، وهذا النمط برز بوضوح في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٧٢،٣٧٤، ٢٧٦؛ العذري، أحمد محمد عمر: ترصيع الأخبار وتنوع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك (نصوص عن الأندلس)، تح: عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥م، ص٤٢-٥٤.

(٢) الحميري: الروض المعطار، ص ١،١٢، ٢٨؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص١٧؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص١٦٢.

(٣) أول من ملك سرقسطة من بني تجيب، هو محمد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز من بني يحيى التجيبي، وكان قبل ذلك مع أبيه في قلعة أيوب، وطمعا معاً في امتلاك سرقسطة، فأظهر محمد أنه على خلاف مع أبيه، وشاع هذا عنهما وهما متواطئان، فذهب محمد إلى والي سرقسطة من الأمويين، مستجيراً به من والده، فأجاره وقربه إليه، فلحق به جماعة من التجيبيين على سبيل الهرب، ولاحظ محمد غيرة من الوالي أحمد بن البراء القرشي، فقتله سنة ٢٧٦هـ، وملك سرقسطة، وأطاعه أهلها، وعندما قدم والده إليه آملاً في حكمها، أغلق أبوابها أمامه، وخوّف أهل البلد منه، ونصب الحرب له، فانصرف ولده عنه، وكتب محمد إلى أمير قرطبة عبد الله بن محمد يعرض طاعته، ويذم والي سرقسطة المقتول، فأقره على ذلك، واستمر في ولايتها إلى أن تُوفيّ. الزركلي: الأعلام، ج٦، ص١٩٠.

(٤) العذري: نصوص عن الأندلس، ص٤٥-٤٧.

الذي خاض عددًا من الحروب المتتابعة ضد صاحب تطيلة(١) موسى بن موسى إلى أن صالحه سنة ٢٢٩هـ(٢)، وكذلك في عهد الأمير عبد الله ابن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ) وذلك عندما عين لب بن محمد القسوي(٣)على تطيلة، وطرسونة(٤) وأعمالها اتقاءً لشره وتجنب الصدام معه(٥)، إلا أن هذا الأمر كان يظهر بوضوح في فترات ضعف الدولة الأموية، بينما نجد في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، فقد قضى على هذه التمردات وعين ولاة من قبله وذلك عندما أرسل وزيره وقائده عبد الحميد بن بسيل والياً على الثغر الأقصى (سرقسطة وتطيلة)سنة ٣١٠هـ، وللقضاء على عبد الله بن محمد بن لب المتمرد عليه، واستطاع القضاء عليه ودخل تطيلة وملكها، وقتل من اشترك معه في هذا التمرد(٦).

وكانت قرطبة تفرض على بعض الولاة الذين لم تثق بولائهم لها، ويكون لهم مكانة أو وجاهة في المنطقة التي يديرونها ولاسيما الذين يعلنون التمرد ثم يعلنون الطاعة بعد إعلان قرطبة الحرب عليهم، تقديم رهائن من أقربائهم لديها تأكيداً للولاء واستمرار الوالي في إدارة ولايته، وهذا ما تم عندما أعلن موسى بن موسى القسوي التمرد على الأمير عبد الرحمن بن الحكم، فأرسل إليه جيشاً للقضاء على تمرده، فأعلن استسلامه وعودته إلى الطاعة، فاشترط عليه تقديم رهائن مقابل إبقائه في ولايته،

---

(١) مدينة بالأندلس تقع شرق قرطبة تتصل بأعمال أشقنة، تقع قرب جبل، يوجد فيها التمور بكثرة لا حصر لها بحيث تنقل إلى مناطق أخرى. مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ج١، ص٨٢؛ الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٣.

(٢) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٤٩.

(٣) النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٢٢٤.

(٤) مدينة بالأندلس بينها وبين تطيلة أربعة فراسخ(والفرسخ ثلاثة أميال وهو يساوى اثني عشر ميلاً) معدودة من أعمال تطيلة، كان يسكنها العمال والمقاتلون االمسلمون. ابن شمائل، عبد المؤمن عبد الحق البغدادي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، ج٢، دار الجيل الجديد، بيروت، ١٤١٢هـ، ص٨٨٤؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣٨٩؛ الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٩.

(٥) العذري: نصوص عن الأندلس، ص٢٩-٣٠.

(٦) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٨٤؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص٣١.

فوافق على ذلك وقدمت الرهائن ومن ضمنهم ابنه إسماعيل بن موسى إلى قرطبة، فأعاد الأمير القبول منه، والاستظهار عليه، وأخرج بيعته وقبض الرهائن وتوثق من عهده، فجدد له الأمير الولاية على تطيلة(١).

كما وجد ولاة يفرض وجودهم أهل المنطقة نفسها على قرطبة، وهو ما يضطر حاكم قرطبة الموافقة إلى ذلك تجنباً إلى احتكاك معها، وذلك مثل اتفاق أهل بجاية والمرية سنة ٣٠٣هـ على تقديم مسعود بن علي مكان أخيه قاسم بن علي المعين من حاكم قرطبة، فوافقهم الخليفة عبد الرحمن الناصر على ذلك وعينه والياً عليهم، وأصبحت بذلك أسرة التجيبي تتداول حكم الولاية، وتقدم خدماتها لقرطبة كلما طلب منها(٢).

ولعلَ مما يلاحظ هنا أن موافقة الناصر على تعيين مسعود بن علي(٣) والياً على بجاية والمرية بدلاً من أخيه المعين من قرطبة، تنفيذاً لطلب سكان تلك المناطق، كان في إطار سياسة الإصلاح التي انتهجها منذُ بداية حكمه، والقضاء على العمال الفاسدين غير المرغوبين من سكان المناطق التي يديرونها، وليس ضعفاً من الناصر والدليل على ذلك قضاؤه على كل حركات التمرد، واستعادة المناطق جميعًا التي خرجت عن الدولة في عهد جده الأمير عبدالله .

أما مايخص الولاة الذين كانوا يعينون في المناطق التي سيطر عليها الأمويون في المغرب ولا سيما في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، يتزن حالهم بالوضع القائم في المنطقة المتولي عليها، والتطورات السياسية فيها، وكان نفوذ الأمويين في المغرب يقتصر على المناطق الساحلية من جهة، ودعم الشخصيات الثائرة ضد النفوذ الفاطمي من جهة أخرى، لذلك كان يعين واليًا من أبناء المنطقة نفسها تارة، وولاة من غير أبناء المغرب

---

(١) ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٤٦.

(٢) العذري: نصوص عن الأندلس، ص٤٤.

(٣) لم أعثر على ترجمة له.

تارة أخرى، مثل تعيين حاكم قرطبة الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٥هـ) يحيى بن محمد التجيبي والياً على سبتة سنة ٣٦٣هـ(١).

ومن جهة أخرى كان يبقى كل من استقل عن الدولة الفاطمية في المغرب، مثل الأدارسة(٢) الذين كانت كتبهم ورسائلهم تصل إلى قرطبة ويعلنون ولاءهم وطاعتهم لحاكم قرطبة الذي يضفي عليهم الخلع ويبقيهم على مناطقهم(٣)، ويتقاضى العامل راتبه من الأموال التي يجمعها من المنطقة أو الكور المتولي عليها، مائة دينار في كل شهر؛ أي ألف ومئتان دينار في السنة(٤).

وقد كان الحاكم الأموي يفرض رقابة صارمة على العمال جميعًا في كل منطقة، وذلك بأن يبعث مراقبين عدول من قرطبة لكي يأتونا بأخبار الوالي وسير عمله تجاه الرعية(٥)؛ بل وصل الأمر إلى إرسال خطاب من حاكم قرطبة للعمال والولاة يحذرهم من ظلم الرعية أو التعدي على أملاكهم، ويتوعد من يخالف ذلك بالعقاب، مثل قبض الأمير الحكم الربضي سنة ٢٠٧هـ، على عامل الثغر(مدينة إلبيرة) ربيع، وصلبه حيًّا لما بلغه ظلم أبناء أهل الذمة(٦)، وكذلك ما خاطب الخليفة المستنصر سنة ٣٥٦هـ العمال في كور الأندلس، يعنفهم على جرأتهم ويحذرهم من سطوته وعقوبته، إذا وصل إليه بأن بعضهم يتمادى على ظلم الرعية(٧).

ومن المهام التي كان يمارسها الوالي ما يأتي:

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٢وما بعدها؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٣٩٠.

(٢) هم بني إدريس الذي بنا مدينة فاس قاعدة المغرب الأقصى آنذاك. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح: إبراهيم االيباري، ط٢، ج١، دار الكتب المصرية، ١٩٨٢م، ص١٦٠.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٠.

(٤) ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٤٧.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٩؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٣٧.

(٦) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص١٦٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٧٥.

(٧) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٩؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٣٧.

- إمامة المسلمين في صلاة الجمعة نيابة عن الأمير أو الخليفة في قاعدة الولاية، أما المناطق الأخرى في الولاية فإن الوالي يولي نواباً عنه(١).

- إعمار المدن وتحصينها لكي يتمكن من الدفاع عنها من أي هجوم مباغت ولاسيما في مناطق الثغور، وذلك لكي يضمن وصول الإمدادات من العاصمة لنصرته، كبناء هاشم بن عبد العزيز(٢) أُبذة(٣) وأكثر معاقلها المنيعة، عندما تولى كور جيان(٤) في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن(٥).
- حشد المقاتلين وإخراج العدد المطلوب، والتوجه بهم إلى مناطق الثغور في حملات الصوائف؛ تنفيذاً لأوامر حاكم قرطبة(٦).
- جمع الخراج من الكور وأقاليمها وإرساله إلى قرطبة، ويطلق على متولي جمع الأموال في الكور اسم الأمين، يساعده في ذلك المحصلون، ومثمن المحصول، ومن هذه الأموال المجموعة يصرف أرزاق موظفي الكور، والفائض يُرسل إلى قرطبة(٧).

٢-صاحب المدينة:

تعدُّ وظيفة صاحب المدينة من الوظائف الكبرى في عهد دولة بني أمية في الأندلس وذلك لما تملكه من سلطات واسعة في إدارة الدولة،

---

(١) أحمد فكري: قرطبة في العصر الإسلامي، ص٢٨٦.

(٢) هو هاشم بن عبد العزيز، أبو خالد، كان خاصًّا بخدمة الأمير محمد بن عبد الرحمن، وكان يؤثره بالوزارة ويرشحه مع ولديه، وهو أحد رجال الدولة المروانية من الموالي، نكبه الأمير المنذر بن محمد بعد أشهر من خلافته لأمور كان يحقدها عليه من أيام والده. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٣٧.

(٣) مدينة صغيرة في الأندلس، على مقربة من النهر الكبير. الحميري: الروض المعطار، ص١٥.

(٤) مدينة من مدن الأندلس، كثيرة الخصب رخيصة الأسعار، وبها جنات ومزارع وبساتين وغلات القمح والشعير والبقلات وسائر الحبوب. الحميري: الروض المعطار، ص٧١.

(٥) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٣٧؛ العذري: نصوص عن الأندلس، مج٢، ص٦.

(٦) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الاندلس، مج٢، ص٦٦، ٧٩؛ ابن عذاري: المقتبس، ج٢، ص٢٣٥.

(٧) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٢٤١، ح١؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص٤٤؛ ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٤٧.

ويتبين ذلك من الراتب الذي يتقاضاه وهو مائة دينار(١)، وذلك يوازي راتب الوالي الذي كان يتقاضى مائة دينار في الشهر(٢).

لم يبرز منصب صاحب المدينة في الأندلس بوضوح إلا في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط الذي نظم الجهاز الإداري للدولة الأموية في الأندلس(٣)، وكثيراً ما يجمع صاحب المدينة بين وظيفته ووظيفة صاحب الشرطة؛ بل إن بعض المصادر تجعل من صاحب الشرطة وصاحب المدينة وظيفة واحدة بسبب تداخل اختصاصاتهم(٤)، ومن المهام التي توكل إلى صاحب المدينة ما يأتي:

- تنفيذ أمر السلطان في جمع قاضي الجماعة، والقضاة، والفقهاء وذلك في للبت في القضايا العاجلة والمهمة، وكذلك تنفيذ أمر العزل إذا أصدره الحاكم بحق أحد القضاة(٥).
- الإشراف على ديوان بيت المال بعد وفاة قاضي الجماعة، إلى حين اختيار الشخص المناسب لخطة القضاء التي يتولى الإشراف عليها(٦).
- أداء مهام الخليفة في أثناء غيابه عن قرطبة، مثل تعيين الخليفة عبد الرحمن الناصر في أثناء خروجه لغزو كور جيان سنة ٣٠٠هـ محمد بن حدير صاحب المدينة؛ ليؤدي مهامه إلى حين عودته(٧).
- معاونة الحاكم من أصحاب المظالم وأصحاب الدواوين في حبس من أمروه بحبسه، وإطلاق من أمروه بإطلاقه، وإشخاص من كاتبوه بإشخاصه، وإخراج الإبري مما دخلت فيه وإقرارها، وذلك مثل إطلاق

---

(١) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٤٦؛ أحمد فكري: قرطبة في العصر الإسلامي، ص٣٠٠-٣٠١.

(٢) ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٤٧.

(٣) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٤٦.

(٤) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١٨.

(٥) الخشني: قضاة قرطبة، ص٩٠، ١١٩.

(٦) المصدر نفسه، ص١٤٨.

(٧) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٤٦، ١٦٠، ١٦٤.

جعفر المصحفي في عهد الحكم أبا الأحوص من سجن المطبق مع أصحابه الذين صفح عنهم الحَكَم(١).

- قيادة جيش الصائفة(٢)، مثل قيادة صاحب المدينة وليد بن عبد الرحمن ابن غانم(٣)جيش الصائفة للأمير عبد الرحمن الأوسط(٤).
- تقديم المشورة للحاكم، فيأتناء تعرض البلاد للمحن والقحط، في وضع الخطط المناسبة لمواجهة مثل هذه الأحداث(٥).
- القيام بوضع الاستعدادات لاستقبال الوفود القادمة إلى قرطبة، مثل احتفال صاحب المدينة جعفر المصحفي الذي أقيم في أثناء زيارة جعفر ويحيى ابني علي بن حمدون وعرضهم على الخليفة الحكم المستنصر بالله سنة ٣٦٠هـ(٦).
- تنفيذ أوامر السلطان باستنفار الناس للجهاد(٧).
- القضاء على أهل الشر والرذيلة(٨).

٣-صاحب الشرطة:

الشرطة وظيفة مرؤوسة لصاحب السيف في الدولة، وحكمه نافذ في صاحبها في بعض الأحيان(٩).

---

(١) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٨٠؛ ج٢، ص١٦٠؛ ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٨١-١٨٢؛ الموسوعة الفقهية الكويتية: ط٢، ج٤، وزارة الأوقاف الإسلامية، الكويت، ١٤٢٧هـ، ص١٥٤.

(٢) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٣٧.

(٣) هو وليد بن عبد الرحمن بن غانم أحد قواد موالي بني أمية في الأندلس، كان ذا قدر كبير في دولة بني أمية، تولى عددًا من المناصب الإدارية، وكانت وفاته سنة ٢٧٢هـ. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص٣٧٥.

(٤) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص٣٧٥.

(٥) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج٢، ص١٠٠.

(٦) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٦٢.

(٧) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٦؛ ابن حيان: المقتبس، ج٢، ص٢٣٥.

(٨) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج٢، ص٨٥؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٦٧.

(٩) ابن خلدون: العبر، ج١، ص٣١١؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١٨.

ويسمى صاحبها في المغرب قديماً بالحاكم، وفي المدينة(مدينة الرسولﷺ) بصاحب العسس، والأندلس بصاحب الشرطة، وعند العامة بصاحب المدينة وصاحب الليل، وبإفريقية العريف(١).

من التعريف بوظيفة صاحب الشرطة في الأندلس، يتبين أنها المنصب نفسه والمهام التي يمارسها صاحب المدينة، وكان الهدف من تعدد الخطط المتشابهة في مهامها كثرة ما تعانيه الأندلس من اللصوص والقتلة، وقطاع الطرق لذلك نجد الأمويين يفردون خطة ثالثة تعرف بخطة الطواف في الليل(يعرفون في الأندلس باسم الدرابين) والتي كان من أولى مهامها مراقبة الأزقة والدروب، وكان لديهم سراج وكلاب وسلاح، يسهرون لحمايتها من اللصوص، الذين كان لديهم مهارة في اقتحام البيوت ونهب محتواها(٢).

واختص منصب الشرطة بكبار القواد، وعظماء الخاصة من مواليهم ومن يثقون بهم(٣)، وبدأت ولاية الشرطة في الأندلس منذ عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، وذلك بعد معركة المسارة، بعدما شعر بخطر اليمانية، عندما منعهم من نهب قصور قرطبة، وأبرز من تولاها في عهده الحصين بن الدجن(٤) فارس أهل الشام(٥).

---

(١) الخزاعي، أبو الحسن علي بن محمد: تخريج الدلالات السمعية، تح: إحسان عباس، ط٣، ج١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٩هـ، ص٣١١؛ الأصبحي، محمد بن علي بن محمد الأندلسي: بدائع السلك في طبائع الملك، تح: علي سالم النشار، ط١، ج١، وزارة االإعلام، بغداد، د.ت، ص٢٨٩؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٢١٨؛

(٢) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١٩؛ أحمد فكري: قرطبة في العصر الإسلامي، ص١٧٧.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٣١١-٣١٢؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص٣٥٥.

(٤) الحصين بن الدجن بن عبد الله العقيلي، كان ممن استجاب لدعوة عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس، وخاض معه عدة حروب ضد خصومه. ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص٣٥٤-٣٥٥.

(٥) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص٣٥٥.

ويعين الأميرُ أو الخليفةُ صاحب الشرطة(١) ويصدر بذلك سجل التعيين، الذي بموجبه يباشر في منصبه(٢).

وفي عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، فصلت وظيفة السوق (الحسبة) عن اختصاص صاحب الشرطة، وصار لواليها راتب هو ثلاثون ديناراً شهرياً(٣)، وكانت الشرطة تنقسم على قسمين:

أ) الشرطة الكبرى: وكان مجال اختصاصها في الخاصة والدهماء(٤)، وجعل له الحكم على أهل المراتب السلطانية، والضرب على أيديهم في الظلامات، وعلى أيدي أقاربهم ومن إليهم من أهل الجاه.

ب) الشرطة الصغرى: ومن اختصاص صاحبها العامة، وقد نصب لصاحب الشرطة الكبرى كرسي بباب دار السلطان، ورجال يبيئون المقاعد بين يديه، فلا يبرحون عنها إلا في تصريفه(٥).

و في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر استحدث نوع ثالث من الشرطة أطلق عليها الشرطة الوسطى سنة ٣١٧هـ(٦)، وتنحصر مهامها في متابعة الأوضاع في الأعمال والكور، وأصبحت أوامر صاحب هذه الوظيفة نافذة في كل المناطق(٧)، وقد رتب رزق الوسطى وسطاً بين

---

(١) ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحمدي، ج٢، دار التراث للطباعة، القاهرة، د.ت.، ص١٦٣؛ ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج١، ص١٦؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص٨٤؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٢٥٨.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٥.

(٣) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٤٦.

(٤) الدهماء العدد الكثير. ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل: المخصص، تح: خليل إبراهيم، ط١، ج١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ص٣١٦؛ وقيل الفتنة المظلمة. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو: الفائق في غريب الحديث والأثر ، تح: علي محمد البجاوي، ط٢، ج١، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ص٤٩٩.

(٥) ابن خلدون: العبر، ج١، ص٣١٢.

(٦) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٠٢.

(٧) المصدر نفسه والجزء، ص٢٥١، ٢٥٤.

العليا والصغرى، وأول من تولاها سعيد بن سعيد بن حدير(١). ومن المهام التي يؤديها صاحب الشرطة ما يأتي:

- حفظ الأمن، ونشر الاستقرار والضرب على أيدي المجرمين والمفسدين.
- تنفيذ الأحكام القضائية، وإقامة الحدود(٢).
- القبض على كل من يُحرّف القرآن، أو يقرؤه بصورة غير صحيحة(٣).
- إقامة الحد على الزاني، وشارب الخمر، وغيرها من الحدود الشرعية(٤).
- ارتقاب يوم العيد، وتحديد الجامع الذي سوف تؤدي فيه الصلاة، وإشعار الناس بذلك(٥).
- سد باب الشفاعات، وإنزال العقوبة على مرتكبي الجرائم، حتى لو كان من أقرب الناس إليه(٦).
- أخذ التوقيعات من الوزراء والقادة والوجهاء وكل من التزم البيعة من الحاضرين، بعد أخذ البيعة لولي العهد(٧).
- قيادة الأسطول البحري في بعض العمليات العسكرية(٨).
- من المهام التي أوكلت إلى صاحب الشرطة خارج مجال تخصصه، تولى منصب قاضي القضاة، مثل إسناد الخليفة الحكم سنة ٣٦١هـ، منصب الشرطة وقاضي القضاة، إلى محمد بن أبي عامر(٩).

---

(١) المصدر نفسه والجزء، ص٢٠٢.

(٢) الماتردي: تفسير الماتردي، ج١، ص٤٩.

(٣) الداووي، محمد بن علي بن أحمد: طبقات المفسرين للداووي، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص٢١٦.

(٤) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١٨.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٧.

(٦) المصدر نفسه والجزء، ص٢٦٦.

(٧) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٩؛ أحمد عبد العال كمال: الطريق إلى المدائن، ط١، القاهرة، ١٩٨٦م، ص١٤٤.

(٨) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٢١.

(٩) المصدر نفسه والجزء، ص٢٥١.

٤-صاحب البريد:

البريد كلمة فارسية أصلها(بريد دم)؛ أي: محذوف الذَّنب، لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذناب علامة لها، وهو الرسول (١)، يُبْعَثُ به من بلد إلى أخرى ويكتب معه، وهو الفيج؛ (أي: رسول السلطان)، ويأمره أن ينضم في الطريق إلى رفقاء يكون معهم ويأنس بهم (٢)، والبريد أربع فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع(٣). وقيلَ إن البريد هي الدابة المرتبة في الرباط ثم سمي بها الرسول المحمول عليها ثم سميت به المسافة(٤)، والبريد دواب توقف على منازل مرتبة ويركب عليها الرسول واحداً بعد واحد، وذلك لإسراع السير(٥). ومن الشروط التي يجب أن تتوفر في صاحب البريد ما يأتي:

- أن يكون ثقة عند الحاكم، وهو قائم بالأمر في وقته(٦).
- أن يكون ذا معرفة واسعة في مسالك الطرق، أو يكون معه من يعرف ذلك، فلا يحتاج إلى غيرهم(٧).

---

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٩، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠١م، ص٣١٨؛ المباركفوري، أبو العلا محمد بن عبد الرحمن: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ج٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م، ص١١٤.

(٢) الدينوري، أبو محمد عبد الله بن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، ط٢، ج١، المكتب الإسلامي، مؤسسةالأإشراق، القاهرة ، ١٩٩٩م، ص٢٤٣.

(٣) الحسني، أبو ابراهيم محمد بن إسماعيل: التنوير شرح الجامع الصغير، تح: محمد إسحاق، ط١، ج١١، مكتبة دار الإسلام، الرياض، ٢٠١١م، ص١٠٢.

(٤) ابن حجر، أبو الفضل أحمد العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، صح: محب الدين الخطيب، ج١، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ص٣٣٦.

(٥) العامري، عبد الرؤوف زين الدين محمد: فتح القدير شرح الجامع الصغير، ج١، المكتبة الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ، ص٢٣٧.

(٦) ابن قدامة، أبو الفرج بن جعفر الكاتب البغدادي: نبذة من كتاب الخراج وصفة الكتابة، مطبعة دي غويه، لندن، ١٨٨٩م، ص١٨٤- ١٨٥.

(٧) ابن قدامة: نبذة من كتاب الخراج، ص١٨٤-١٨٥.

- سرعة تنفيذ أوامر الحاكم في ما يحتاجه إليه(١).

لقد كان البريد من أهم الخطط الإدارية في الدولة الأموية في الأندلس، ذات الصلة في تسيير أمورها ومعرفة ما يحدث في أرجائها؛ لذلك حرص الأمير عبدالرحمن الداخل بعد أن تمكن من إقامة دولته، على أن يكون للبريد دوره الفعال فيما وصل إليه، من الرسائل التي كان يرسلها إلى زعماء القبائل لنصرته، وكان صاحب بريده آنذاك مولاه بدر؛ بل وصل الأمر إلى تسليم خاتم عبد الرحمن الداخل إلى بدر لينفذ المكاتبات بنفسه من دون الرجوع إليه؛ لذلك اهتم بتنظيم هذا المرفق الإداري ببناء دار خاص به في صدر السوق على الجانب الغربي لقصر إمارة قرطبة(٢).

ومما يؤكد مدى التطوير الذي أحدثه الأمير عبد الرحمن الداخل في خطة البريد هو: سرعة وصول الأخبار إلى قرطبة قبل حدوثها، مثل: القضاء على ثورة أبي الصباح قبل قيامها، وذلك باستدراجه إلى قرطبة وقتله سنة ١٤٦هـ؛ وكذلك الرماحس الذي كان والياً على الجزيرة الخضراء والذي أعلن عصيانه سنة ١٦٤هـ، فكانت ثورته يوم الاثنين ووصل الخبر إلى قرطبة يوم الجمعة، وتم القضاء عليه، وهذا يدلُّ على نمط التنظيم الذي حظيت به هذ الإدارة، وهو ما يضمن سرعة وصول الخبر وكيفية معالجته قبل وقوعه(٣).

وعلى نهجه سار من خلفه في الحكم في تنظيم البريد والعمل على تطوير الخدمات التي يقدمها وتحسينها، فنجد الأمير الحكم الربضي قد استثمر هذا التنظيم، وذلك من سرعة تصديه لحركات التمرد والقضاء عليها(٤)، وفي هذا الصدد يذكر ابن الخطيب(٥) أنه كان لديه ألف فرس

---

(١) المصدر نفسه والصفحة.

(٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص٦٦-٦٧، ١٠٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٩٦- ٩٧، ١٠١، ١٠٢.

(٤) مجهول: أخبار مجموعة، ص١١٧-١٢٠؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص١٦.

(٥) أعمال الأعلام، مج ٢، ص١٥-١٦.

باريـــة مرتبطـــة بجانـــب القصـــر، فكلمـــا أتـــى إليـــه البريـــد خبـــر داخلـــي أو خارجي عاجله قبل أن يشعر، فلا يعلم إلا وقد أحيط به.

كمـــا أن البريـــد كـــان خاصًّـــا بأعمـــال الدولـــة، مـــن مراقبـــة العمـــال وســـير عملهـــم فـــي إدارة المنـــاطق التـــي يـــديرونها، وإيصـــال تلـــك الأخبـــار إلـــى الأميـــر أو الخليفـــة، بـــل ومعرفـــة الشـــخص المناســـب لإدارة الكـــور أو الإقلـــيم إن لـــم يكـــن لـــه والٍ(١)، وكـــذلك متابعـــة ســـير أعمـــال القضـــاة وكيفيـــة ســـير عملهـــم، ورفع ذلك للحاكم الذي يستقدم البريد في التواصل مع القضاة لأمر ما(٢).

خلاصـــة القـــول، أن البريـــد مـــن أهـــم المرافـــق الإداريـــة ذات الصـــلة بـــأمن الدولـــة واســـتقر، والـــذي عـــن طريقـــه يتعـــرف علـــى مـــا يجـــري فـــي أرجائهـــا، وهومـــا يضـــمن وصـــول الأخبـــار إلـــى الحكّـــام الـــذي يبعملـــون علـــى إيجـــاد الحلـــول المناسبة لكل الأحداث الطارئه التي تصل أخبارها إليهم.

---

(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الاندلس، ص٦٦، ٦٨،٨٤، ٨٥،٩٧.

(٢) الخشني: قضاة قرطبة، ص١٢٢-١٢٣.

الفصل الثاني

المظاهر المالية والقضائية والعسكرية

أولاً: النظام المالي:

تعمل السياسة المالية لكل دولة من الدول على تحقيق التوازن بين مواردها ومصارفها وقد سارت دولة بني أمية في الأندلس على هذه السياسة منذُ ظهورها، فأنشأت الخزانة العامة، وقامت على صيانتها وحفظها والتصرف فيها لمصلحة الجماعة الإسلامية.

١-الدواوين المالية:

وجد في الدولة الأموية في الأندلس ثلاثة أنواع من خزائن المال هي: الخزانة العامة، وبيت المال، وخاصية بيت المال، ولكل نوع من هذه الخزائن موارد ومصروفات تبين في الآتي:

أ) **الخزانة العامة**

فيها تجمع الأموال والذخائر(١)، ومنها تدفع مرتبات موظفي الدولة، وتبنى المرافق المدنية والعسكرية، وعرفت الخزانة العامة في الأندلس في عهد الأمويين بخزانة المال أو الخزانة(٢) أو الخزانة الكبرى(٣).

ويعود تنظيمها إلى عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم، الذي جعلها جهازاً خاصاً بذاته، وأسند إدارتها إلى سفيان بن عبد ربه(٤)، وهو أول من استخزن في عهد بني أمية في الأندلس(٥).

---

(١) البيهقي، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد: تاريخ بيهق، ط١، ج١، دار اقرأ ، دمشق، ١٤٢٥هـ، ص٣٣٤؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٨٢.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٥٨؛١٦٤.

(٣) ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٦٥.

(٤) سفيان بن عبد ربه المصمودي، لم يكن من أسرة عريقة في تولي خطط الدولة الأموية في الأندلس، تولى الخزانة ثم ترقى عدداً من المناصب حتى نال الحجابة للأمير عبد الرحمن بن الحكم، ولم يزل في منصبة إلى أن تُوفيّ سنة ٢١١هـ.

(٥) ابن حيان: المقتبس، ج٢، ص١٦٥.

ويشرف عليها أحد كبار الموظفين ويسمى الخازن الأكبر أو شيخ الخزّان(١)، ويساعده عدد من الموظفين ذوي المهارة في الأعمال الحسابية يعرفون باسم الخزّان(٢).

وكانت تحصر الأموال القادمة من الكور أو الأقاليم من الأمير أو الخليفة للتأكد من قوائمها، ثم تورد إلى الخزانة العامة(٣)؛ وإذا أخل أحد الخزان شيئاً في الحسابات لم يؤاخذ مباشرة، وإنما يتم الرد عليه بالمراجعة، ولا بدَّ من الاعتراف بخطئه أمام الحاكم(٤).

ويذكر ابن خلدون(٥) أن متولي هذا المنصب يعدُّ جزءًا عظيمًا من الملك بل هو ثالث أركانه؛ لما يحتاجه السلطان من الأعوان من أصحاب السيف والقلم والمال؛ لذلك حرص الأمويون على اختيار من يتولى هذا المنصب.

وتعطى للخازن صلاحيات كاملة في إدارة هذا الديوان، لما فيه مصلحة المسلمين، ولو كان ذلك في معارضة أمر السلطان، مثل رفض شيخ الخزان موسى بن حدير تنفيذ أمر الأمير عبد الرحمن الأوسط بصرف ثلاثين ألف دينار للمغني زرياب، فكان رده لصاحب الرسائل الذي قدم بالأمر " نحن وإن كنا خزّان الأمير أبقاه الله، فنحن خزّان المسلمين، نجبي أموالهم وننفقها في مصالحهم، ولا والله ما ينفذها هذا، ولا منا من يرضى أن يرى هذا في صحيفته غداً، أن نأخذ ثلاثين ألفًا من أموال المسلمين وندفعها إلى مُغنٍ في صوت غناه، يدفع إليه الأمير أبقاه الله مما عنده"(٦).

---

(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧٥، ٧٨.

(٢) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٢٤١،ح١.

(٣) ابن حيان: المقتبس، ج١، ص٢٢٣؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص١٢٢.

(٤) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص٢٤.

(٥) العبر، ج١، ص٣٠٤.

(٦) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٣-٨٤.

وهذا يدل على استقلال سلطة صاحب الخزانة، ويتحمل القائمون عليها كل ما يترتب عليها من مسؤولية تجاه الحاكم.

إلا أن هذه الصلاحيات لا تستطيع أن تنقذ صاحبها من العزل لاسيما عندما يريد السلطان ترقية من يكون أهلاً لبعض المناصب المهمة، كعزل الخليفة عبدالرحمن الناصر سنة ٣١٦هـ خُزَّان المال جميعًا وعددهم أربعة، وعين بدلاً منهم(١).

ومن جهة أخرى نجد أموال الجباية التي كانت تعمر بها خزانة الأمويين في الأندلس تختلف من مدة إلى أخرى وذلك بحسب الأوضاع القائمة في كل فترة، ففي عهد عبد الرحمن الداخل بلغ مبلغ الجبايات ثلاثمائة ألف دينار، في حين بلغ في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ألف ألف دينار(مليونًا)، وكان قبل ذلك ستمائة ألف دينار(٢)، وهذا يدلُّ على أن أي دولة تنعم بالاستقرار السياسي والأمني يزيد ذلك في دخلها وتقدمها.

ويتبين ذلك في القرن الثالث الهجري الذي عانت منه الدولة الأموية في الأندلس بسبب الثورات، وقلة الجبايات التي تورد إلى الخزانة، وأصبحت سلطتها قاصرة على قرطبة، وهو الأمر الذي أدى إلى إفلاس الخزانة العامة وأصبحت غير قادرة على تسديد نفقات الدولة(٣)، وعندما بسط الخليفة عبد الرحمن الناصر سلطته على الأندلس وأعاد الاستقرار، توافدت الجبايات على قرطبة وعمرت الخزانة وارتفع مبلغ الجباية في عهده إلى خمسة ملايين وأربعمائة وثمانين ألف دينار(٤)، وبلغ قبل الفتنة في عهد هشام بن الحكم أربعة ألف ألف دينار؛ أي: ما يعادل ألف ألف

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٥٨.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٤٨،١٤٦.

(٣) النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٩٥-٣٩٦؛ لين- بول: قصة العرب في إسبانيا، ص٩٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج٦، ص٦٢٢؛ ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي: صورة الأرض، ج١، دار صادر، بيروت ، ١٩٣٨م، ص١٠٨.

مثقال وثلاثمائة ألف مثقال من الذهب، وفي أيام والده الخليفة المستنصر بلغ الضعف ما كان في عهد ولده(١).

١- موارد الخزانة:

اختلفت الموارد التي كانت تتغذى منها الخزانة العامة للدولة إلى ما يأتي:

أ) الموارد الشرعية:

- الجزية: الجزية على الرؤوس، واسمها مشتق من الجزاء إما جزاء على كفرهم لأخذها منهم صغارًا، وإما جزاء على الأمان لهم لأخذها منهم رفقًا(٢)، فقد قال الله تعالى فيها:﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾(٣).

وكان مقدار الجزية المفروضة على الذميين في الأندلس في عهد الأمويين، واحدًا وخمسين درهماً على الموسر، وعلى الوسط أربعة وثلاثون درهمًا، والعامل بيده سبعة عشر درهمًا، وتؤخذ منهم كل سنة(٤)، ويتولى أخذ الجزية منهم زعماؤهم الذين أطلق عليهم لقب قومس(٥)، والذي يسلمها إلى الحاكم في قرطبة(٦)، وتعدُّ الجزية مورداً مهمًّا من موارد الخزانة العامة، ويؤكد ذلك ما قاله المؤرخ الغربي ستانلي لين -بول:

---

(١) العذري: نصوص عن الأندلس، ص١٢١.

(٢) الما وردي: الأحكام السلطانية، ص٢٥٢.

(٣) سورة التوبة: آية١٩١.

(٤) سالم عبد الله خلف: نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ط١، ج١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ٢٠٠٣م، ص٣٧٩.

(٥) وأول من تولى هذا المنصب من النصارى في عهد الدولة الأموية، أرطباش الذي تعرضت ضياعه للمصادرة من الأمير الداخل، فقدم إلى قرطبة فقابل الأمير وطلب منه إعادة ضياعه، وبراءته من أي تهم ضده، فأمر الداخل بصرف عشرين ضيعة له وكساه ووصله، وولاه القماسة، فكان أول قومس في الأندلس. ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج٢، ص٥٧-٥٨.

(٦) ابن الخطيب: الإحاطة، مج١، ص١٠٣؛ أعمال الأعلام، مج٢، ص١٦.

(١)"إن الجزية التي كانت تدخل إلى خزانة الأمويين في الأندلس كبيرة جدّا، وذلك نتيجة للتسامح الديني الذي انتهجه الأمويون، الأمر الذي أدى إلى بقاء عددٍ كبير من اليهود والنصارى على ديانتهم"، وكذلك الجزية التي كانت تفرض على الروم وهي مناطق غير التي تحت سيطرة المسلمين، وذلك رهبة من الدولة الأموية في الأندلس(٢).

- الخراج: الخراج لغة يطلق على الأوزان بغراب بثر الواحدة خراجه واستخرجت الشيء(٣)؛ أي: الأجرة والغلة، والضريبة.

واصطلاحًا يعني موارد الدولة جميعًا من الزكاة والجزية والجباية بأنواعها جميعًا(٤).

والخراج ما وضع على الرقاب من حقوق تؤدى عنها وهي الأرض التي صولح عليها المشركون من أرضهم، وهي نوعان: أحدهما ما هرب عنه أصحابه، فخلص للمسلمين بغير قتال فتصبح الأرض وقفاً على مصالح المسلمين، ويضرب عليها الخراج ويكون أجرة إلى الأبد، والآخر ما أقام فيه أهله وصولحوا على إقراره بخراج تضرب عليهم، وينقسم على قسمين، أحدهما: أن ينزلوا عن ملك الأرض فتصبح ملكاً للمسلمين، ويكون الخراج المضروب عليهم أجره لا تسقط إلا بالإسلام. والأخرى أن يستبقوها على أملاكهم ولا ينزلوا عن رقابها ويصالحوا عنها بخراج(٥).

---

(١) قصة العرب في إسبانيا، ص٤٠.

(٢) النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٩٨.

(٣) الفيومي، أحمد بن محمد المقري: قاموس اللغة العربية، المسمى المصباح المنير، ج٢، د. ت. ن، ص٢٢٧.

(٤) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص٢٥٩؛ القلقشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تح: يوسف علي الطويل، ط١، ج٣، دار الفكر، دمشق ،١٩٨٩م، ص٤٥٢؛ فروخ، عمر: تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٠م، ص٢١٤. وفيه يقول الله تعالى : ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾. سورة المؤمنون، آية ٧٢.

(٥) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص٢٢٧-٢٣٠.

أما المدة التي تستهدفها هذه الدراسة فقد قسمت الأراضي فيها على المسلمين الفاتحين فأصبحت أرضا عشرية، ولم يبق الخراج إلا على أراضي غير المسلمين من اليهود والنصارى الموجودين داخل حدود الدولة الإسلامية في الأندلس، وكذلك الأراضي الجديدة التي سيطر عليها المسلمون في الممالك النصرانية شمال الأندلس(١)، وكانت تدر كثير من الأموال لخزانة الدولة؛ ويتولى أخذ الخراج منهم زعماؤهم الذين أطلق عليهم لقب قومس، والذي يسلمها إلى الحاكم في قرطبة(٢)، وبهذا الصدد يذكر العذري(٣) أن الجباية من أقاليم إشبيلية وحدها في عهد الأمير الحكم الربضي بلغ خمسة وثلاثين ألفاً وتسعة وتسعين ديناراً وخمسة دراهم سنويّا، وبلغ في كورة الجزيرة الخضراء سنوياً ثمانية عشر ألفاً وثمانمائة وثمانية وسبعين دينار، وستة دراهم بالوازنة(٤)، وهذا يبين الأموال الكثيرة التي كانت تستقبلها الخزانة العامة للأمويين في قرطبة، من المناطق المختلفة في الأندلس.

- القُطع: جمع قطيعة تتمثل فيما تتحصل عليه الدولة من أموال، من النواحي التي تخرج عن سيطرتها، فيتعهد سادة تلك النواحي بدفع مبالغ معينة من المال مقابل بقائهم عليها، ويتعهد القائم بالناحية بأداء القطيعة دون ثورة أو قطع الطاعة، لهذا الأمر أنشأت الحكومة خطة خاصة لاستقبال هذه الأموال عرفت بخطة القطع(٥). وذلك كالقطيعة التي التزم التزم بها أهل طليطلة للأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط في أثناء

---

(١) لمزيد من المعلومات ينظر الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قايماز: سير أعلام النبلاء، ج٧، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٢٨٨؛ مؤنس: فجر الأندلس، ص٦٢٤وما بعدها؛ لين –بول: قصة العرب في إسبانيا، ص٤٣.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة، مج١، ص١٠٣.

(٣) نصوص عن الأندلس، ص١٠٩.

(٤) العذري: نصوص عن الأندلس، ص١٢٠.

(٥) ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٤٦؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٢٣٣، ح١.

خروجه إليهم سنة ٢٥٩هـ(١)، وأيضًا القطيعة الذي ألتزم بها محمد بن هاشم التجيبي للخليفة عبدالرحمن الناصر سنة ٣١٩هـ عندما سجل له على سرقسطة(٢).

- الغنيمة: ما أُخذ من أموال المشركين بقتال(٣)، ويمثل ذلك كل ما أصابه المسلمون من عساكر أهل الشرك بالقتال، وتشمل أربعة أخماس هي: الأسرى، والسبي، والأراضون، والأموال ويقسم الغنيمة إلى خمسة أقسام: أربعة أخماس توزع للمقاتلين، والخمس يذهب إلى خزانة الدولة، وتعد الغنيمة مورداً مهماً من موارد الخزانة العامة للأمويين في الأندلس(٤).

نذكر منها على سبيل المثال الحملة التي قادها الحاجب عبد الملك بن مغيث ضد الفرنجة سنة ١٧٧هـ في عهد الأمير هشام الرضا الذي رجع من تلك الغزوة ومعه من الغنائم ما لا تحصى، فقد بلغ خمس الغنائم التي وردت للخزانة العامة خمسة وأربعين ألفاً من الذهب العين(٥)، وبلغت الغنائم درجة عالية من الأموال في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر الذي تميز عهده بكثرة الغزوات ضد النصارى(٦). وهذا يدلُّ على أن الغنيمة التي كان يحصل عليها الجيش الأموي من النصارى، كانت تمثل مورداً مهماً لخزانة الدولة الأموية.

- العشور: هي ضريبة تفرضها الدولة على البضائع المستوردة من الخارج فعلى المسلم ربع العشر، والذمي نصف العشر، والحربي العشر(هم التجار

---

(١) المقرى: البيان المغرب، ج٢، ص١٠١.

(٢) العذري: نصوص عن الأندلس، مج٢، ص٤٤.

(٣) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، ج١، دار العلم والثقافة، القاهرة، ١٩٩٠م، ص١٧٠.

(٤) ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٤٣-١٤٤.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٦٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٥٦.

(٦) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢،ص٣٠١.

غير المسلمين الذين يمرون من أراضي المسلمين لقاء حمايتهم)(١)، وكانت تدر كثيرًا من الأموال لخزانة الدولة الأموية في الأندلس.

ومن الأمثلة على ذلك، يذكر أن الخليفة المستنصر أمر بحصر ما يُباع من السمك المملح المجلوب من الساحل فقط في قرطبة في يوم واحد فبلغ عشرين ألف دينار، كما أحصى المنصور بن أبي عامر أحمال الحطب التي تصل إلى قرطبة في اليوم الواحد فبلغت ستة آلاف وستمائة حمل على اختلافها(٢ روافد خزانة الدولة.

- السكة: هي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور وكلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار والدرهم(٣). ومن مهام القائم عليها النظر في النقود المتعامل بها بين الناس وحفظها مما يداخلها من الغش أو النقص(٤)، وتعدُّ أحدى الموارد الرئيسة للخزانة في عهد الأمويين في الأندلس وقد أنشئت دارٍ للسكة في قرطبة في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط(٥)، وكانت تدر كثيرًا من الأموال على خزانة الدولة فبلغ دخلها في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر في كل سنة مائة ألف دينار(٦)، وهذا دليل على أن دار السكة كان يمثل مورداً مهماً لخزانة الدولة.

ب) الموارد غير شرعية:

تتمثل تلك الموارد فيما يفرضه الحكام على الرعية من دون أن يكون لها مسوغ شرعي، ومنها الآتي:

---

(١) الصلابي، علي محمد محمد: معاوية بن أبي سفيان شخصيته وعصره، ط١، دار الأندلس الجديدة، مصر، ٢٠٠٨م، ص٢٨٨.

(٢) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص٩٨.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج١، ص ٣٢٢.

(٤) المصدر نفسه والجزء، ص٢٨١.

(٥) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٤٦.

(٦) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١١.

- المصادرات: تعدُّ المصادرات التي يتعرض لها بعض كبار رجال الدولة في عهد الأمويين في الأندلس من الموارد غير الثابتة لخزانة الدولة، وهناك كثير من المصادرات التي تعرض لها كبار رجال الدولة في الأندلس، أبرزها مصادرة الأمير عبد الرحمن الداخل أموال قائده ووزيره بدر، وألزمه البقاء في داره؛ نتيجة لتجرئه عليه(١)، وكذلك المصادرة التي تعرض لها القائد هاشم بن عبد العزيز الوزير في عهد الأمير المنذر، وذلك لأمور حقدها عليه في خلافة والده ويذكر أنه كان يتجاهله، فقبض عليه وسجن ثم قتل، وصودرت أمواله، وهدم بيته وصودرت محتوياته، وسجن أولاده وغرموا مائتا ألف دينار(٢)، كما تعرض الحاجب جعفر المصحفي للمصادرة في عهد هشام المؤيد بعد عزله عن الحجابة، وحتى قصره الموجود في الرصافة بيع وصودرة محتوياته(٣).

ونلاحظ أن المصادرات التي كان يتعرض لها كبار رجال الدولة في عهد الأمويين في الأندلس كانت تخص جانب الحكّام الأمويين، وهو الأمر الذي يجعلهم يقدمون على القيام بمثل هذه الأعمال.

- الضرائب: هناك عديد من الضرائب غير الشرعية التي كان يفرضها حكّام بني أمية في الأندلس منها: ضريبة القبلة وهي ضريبة على الأسواق ورسوم النبيذ؛ وكذلك ضريبة التقوية، وهي ضريبة تفرض عند استنفار الجيوش للحرب ضد النصارى، فكان كل قادر منهم يكلف بتزويد جندي واحد بالمؤونة والسلاح(٤)، وكذلك ضريبة الزيوت التي كانت تؤخذ على

---

(١) المقري: نفح الطيب، ج٣، ص٤٤،٤٠.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١١٥-١١٦؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٣٩، ح٦.

(٣) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١١.

(٤) أحمد فكري: قرطبة في العصر الإسلامي، ص٢٩٧. أسقطت هذه الضريبة في عهد الأمير محمد بن بن عبد الرحمن بن هشام؛ إذ جعل المشاركة في جيش الصائفة يكون طواعية وليس اجباريًّا. ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٠٩.

الزيت من الناس كرهًا(١)، كل هذه الضرائب وغيرها تعدُّ مورداً من الموارد غير الشرعية التي تتغذى منها خزانة الدولة.

٢-مصروفات الخزانة العامة:

هناك عديد من الجهات التي تصرف فيها الأموال التي تم جُمعت من موارد الدولة تتمثل في الآتي:

- نفقات القصر: ويقصد بذلك الأموال التي تنفق في تزيين قصر الخلافة، بأنواع الزينة، وأصناف الستور، و تجميل السرير(٢) الخلافي بمقاعد الأبناء والأعمام والقرابة، فأثناء قدوم الوفود الخارجية(٣)، وكذلك ما ينفق من أموال على توفير الطعام لكل الموجودين في القصر، فيذكر أن في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، بلغ عدد النساء في قصر الزهراء، والخدم ستة آلاف وثلاثمائة امرأة وأربع عشرة (٤)، هذا إلى جانب ما يوجد من حراس، ووفود سواءً أكانت داخلية أم خارجية، وبهذا العدد الكبير يتبين أن الأموال التي تنفق على قصر الخلافة كبيرة جدًّا .
- الجامكيات: ويقصد بها كل ما يصرف من أموال للعاملين في مرافق الدولة، من وزراء ، وولاة، وكتاب، وعسكر، وغيرهم مقابل العمل الذي أوكل إليهم أو الوظيفة التي يديرونها، وكانت تلك الرواتب نقدية، ويختلف مقدارها من مدة إلى أخرى، فمثلاً يختلف راتب الوزير في عهد الإمارة عن عهد الخلافة، إذ بلغ راتب الوزير في عهد الإمارة ثلاثمائة دينار(٥)، في حين نجد ذلك في عهد الخلافة قد ارتفع إلى ثمانين ألف دينار(٦)،

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٥٩.

(٢) هي أعواد منصوبة أو أرائك منضدة لجلوس السلطان عليها مرتفعاً عن أهل مجلسه. ابن خلدون: العبر، ج١، ص٣٢٢.

(٣) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٦٤.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٠.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٨٠.

(٦) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٥٦. اختلفت كتابات المقري من كتاب لآخر، عن تحديد المبلغ الذي الذي من قبل الخليفة الناصر لوزيره؛ إذ نجده في كتابه أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض يختلف=

وكذلك كان الوالي يتسلم راتبًا مائة دينار في الشهر(١) وهذا يدلُّ على مستوى الرخاء الذي وصلت إليه دولة بني أمية في الأندلس، ومردود ذلك على خزانة الدولة.

- التعويضات: دفع الأموال لأصحاب الأراضي التي تم استغلت لمصلحة المسلمين، وذلك مثل التعويضات التي قدمها الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر لأصحاب الأراضي المجاورة للجامع الكبير بقرطبة عندما أراد توسيعه سنة ٣٧٧هـ(٢) .
- الوسايا: وهو المال الذي كان ينفق من الخزانة العامة للدولة في باب البر ومساعدة المحتاجين والفقراء(٣)، ومنها مال الدية الذي أمر به الأمير عبد الرحمن الداخل بأن يعطى للكناني(٤) من خزانة الدولة بعد ما قص عليه ما حل به من أهل القتيل(٥)، وكذلك الأموال التي كان يوزعها هشام بن عبد الرحمن الداخل في المساجد عن طريق البر(٦)، بالإضافة إلى تعويض الأيتام عن أموالهم المفقودة(٧).

=عمَّا ما ذكره في نفح الطيب، فقد حدد المبلغ بثمانين دينارًا في الشهر. ج٢، ص٢٦٢؛ ربما هناك خطأ في عملية الطباعة، الباحث يرجح الرأي الأول؛ لأن الوزير في ذلك الوقت كان يقدم الهدايا للسلطان، أكثير بكثير من الراتب اللي يعطى له، بالإضافة إلى التطور الذي عاشته الأندلس آنذاك.

(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ج٢، ص٨٧.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٨٧؛ العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٤٥.

(٣) ارتفاع الدولة المؤيدية: جباية بلاد اليمن في عهد السلطان المؤيد داود بن يوسف الرسولي المتوفى سنة ٧٢١هـ، تح : محمد عبد الرحيم جازم، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، المعهد الألماني للآثار، صنعاء، ط١، ٢٠٠٨م ، ص٦، ح٢.

(٤) الكناني من أهل مدينة جيان وكان صنيعاً لهشام بن عبد الرحمن، ويذكر أن رجلاً من أسرته قتل رجلاً ، فحكموا عليهم بدفع الدية، وكان كبير أسرة بني كنانة في جيان فطالبوه بدفع الدية الأمر الذي اضطره القدوم إلى قرطبة إلى عند الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل، الذي تعاطف مع قصته، وذهب إلى أبيه فأمر بدفعها من بيت المال. مجهول: أخبار مجموعة، ص١١١-١١٢.

(٥) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٣٥-٣٣٦.

(٦) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٦٦.

(٧) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ج٢، ص٨٧.

- نفقات الجيش: تتمثل بإعداد الحملات العسكرية، وتزويد الجيش بالأسلحة والمعدات الحربية كافة في أثناء إعدادها للغزو، وكذلك الطعام، وتعدُّ نفقات الجيش من أكبر المصروفات(١)، وما يؤكد ذلك التقسيم الذي قام به الخليفة الناصر لأموال الجباية؛ إذ جعله: ثلثًا للجند، وثلثًا للبناء، وثلثًا مدخرًا، والذي كان جيشة يتكون من مائة ألف مقاتل(٢).

وبهذا نتأكد أن إعداد الجيش وتجهيزه كان يستغرق كثيرًا من الأموال لكي يكون على مستوى عالٍ من الجاهزية لصد الجيوش المعادية وهزيمتها، وكان الجيش الأموي على درجة كبيرة من الإعداد والتدريب.

- مال الفدية: وهي عوض الأسير، وجمعها فدًى وفديات(٣)، ويتمثل في إفداء أسرى المسلمين الذين يقعون في أيدي النصارى، فيذكر أن الأمير هشام الرضا كان ينفق الأموال الطائلة في افتداء أسرى المسلمين، ويرتب في ديوانه أرزاقاً لأسر الجند المتوفيين في الجهاد(٤)، وكذلك ما ذكر عن مال الفدية الذي قدمه الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، ليفك أسر قائد جنده هاشم بن عبد العزيز من أيدي النصارى، فأثناء توجهه بحملة عسكرية إلى غرب الأندلس، فهزم وأسر(٥).
- العطايا: ما يقدمه الحكّام الأمويون من كسات وصلات لبعض الأشخاص، مقابل الأعمال التي يقدمونها سواءً أكانواقوادًا أم مغنيين، أم شعراء وغيرهم(٦).

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٩٦؛ ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٤٧.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٧٩.

(٣) البغدادي، عبد القادرِ بن عمر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: محمد نبيل، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ص٧٥.

(٤) مجهول: أخبار مجموعة، ص١٠٩.

(٥) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٩٤.

(٦) الخشني: قضاة قرطبة، ص٦٤-٦٧،٧١ ؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج٢،ص٥٧، ٨١؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، مج٢، ص٢٥؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٢٠.

- السفارات: هي الأخرى يصرف عليها من نفقات الخزانة العامة للدولة وما يتبعها من الجند الذين يبعثون من الحاكم إلى الداخل أو الخارج، وكان ينفق عليها كثير من الأموال(١)، وكذلك الهدايا التي كان يقدمها الحكام الأمويون للملوك المعاصرين لهم، وذلك ليؤكد المودة ويحسن الإجابة(٢)، وهذا كان حملاً ثقيلاً على خزانة الدولة.
- نفقات العمارة المدنية والدينية: ويقصد بها كل ما ينفقه الحكّام الأمويون في الأندلس، في بناء المرافق العامة كالقصور، وعمارة المساجد، والقناطر وغيرها، مثل قيام الأمير عبد الرحمن الداخل ببناء القصر، والجامع بقرطبة الذي أنفق فيه ثمانين ألف دينار، ومات قبل أن يتم ذلك فأتمها ابنه هشام(٣)، والأموال الكثيرة التي أنفقها الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل في بناء قنطرة قرطبة، والتي أشرف على بنائها بنفسه، وكان يعطي الأجرة بيديه(٤).

ومن العمارة التي كانت تكلف خزانة الدولة كثيرًا من الأموال بناء الخليفة عبد الرحمن الناصر مدينة الزهراء التي أنفق على بنائها ثلاثمائة ألف دينار سنوياً مدة خمسة وعشرين عاماً؛ أي سبعة ملايين ونصف مليون دينار في هذه المدة، بالإضافة إلى ما أنفقه ابنه الحكم المستنصر مدة خمسة عشرة عامًا(٥)، وبذلك نرى أن العمارة في عهد بني أمية في في الأندلس كانت تستهلك ثلث أموال الجبايات الموجودة في خزانة الدولة، وتشمل كل ما تقوم به الدولة من مشاريع عمرانية، من مساجد، ومدن،

---

(١) ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسمى تاريخ المستبصر اعتنى بتصحيحه: أوسكر لوفجرين، ط٢، دار التنوير، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص٨٩.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٦٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص٧٩؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٢٩.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٦٦.

(٥) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٥٦٥– ٥٦٩.

وحصون، ومرافئ بحرية وغيرها، وكل هذه المنشآت تبنى من خزانة الدولة.

ب) **ديوان بيت المال:**

ويقتصر دخله على ما يرد من الأحباس أو الأوقاف، وكان مقره الجامع الكبير في قرطبة(١)، ويعود وجود هذه النوع من الدواوين في عهد الأمويين بالأندلس إلى عهد الأمير المنذر بن محمد (٢٧٣-٢٧٥هـ)، الذي أمر بإنشائه لاستلام أموال الأوقاف وأطلق عليه اسم بيت المال(٢).

ويحافظ هذا الديوان بالمحافظة على المنشآت الدينية ويدفع أجور القائمين على المساجد، ويوزع الصدقات في أماكن خاصة؛ وكان يشرف عليها قاضي الجماعة أو من ينوب عنه (يسمون بالأمناء) بإشراف الأمير أو الخليفة، ويشبه وزارة الأوقاف والشؤون الاجتماعية في وقتنا الحالي(٣).

وتعدُّ الزكاة(٤) أحد الموارد لهذا الديوان؛ إذ يسلمها الناس للدولة لتتولى توزيعها على المحتاجين والفقراء، أو يوزعونها بأنفسهم، وما يؤيد ذلك ما قام به الأمير الحكم بن عبد الرحمن في بناء دار خاص بتوزيع الصدقات للفقراء والمساكين يقع غربي الجامع بقرطبة(٥).

---

(١) الخشني: قضاة قرطبة، ص١٣٦.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٠.

(٣) الخشني: تاريخ قضاة قرطبة، ص ١٣٦ ،١٦١؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٦،٢٣٠؛ حسين إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٥، ج٣، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠١م، ص٣١٣.

(٤) هي التطهير والنماء أي طهرها من الأدناس. الجزيري، عبد الرحمن بن محمد بن عوض: الفقه على المذاهب الأربعة، قسم العبادات، ط١، ج١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٤٥١.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٠.

وكانت الزكاة تؤخذ على الزروع والثمار، والنقد (الذهب والفضة)، والأنعام(١)، بالإضافة إلى عشور التجارة، وأنواع الزروع والثمار جميعًا التي تسقى بالأمطار والأنهار وتكون زكاة العشر، وما يسقى بالآلات تكون زكاته نصف العشر(٢)، وحددت الأنعام في الأبقار والإبل والأغنام(٣)، كما كانت الزكاة تؤخذ على الزبيب(٤).

ومن موارد بيت مال المسلمين أيضاً المواريث، فهي الأخرى تمثل رافداً رئيساً لهذه الخزانة، وعن طريقها تورد أموال كل من مات من اليهود والنصارى ذكراً أو أنثى، يحتاط عليه ديوان المواريث إلى أن يثبت ورثته ما يستحقونه بمقتضى الشرع الشريف، فإن استحق يعطونه بمقتضاه ويحمل البقية لبيت مال المسلمين، ومن مات فيهم ولا وارث له يحمل موجوده لبيت مال المسلمين، ويجرى على موتاهم الحوطة من ديوان المواريث ووكلاء بيت المال مجرى من يموت من المسلمين إلى أن يتبين موتاهم(٥).

وقد وجدت وظيفة في عهد الأمويين بالأندلس لها نسبة من الأموال التي ترفد بيت مال المسلمين، تسمى العقل أو الاعتقال؛ لأن اختصاصها الحفاظ على أموال المتوفين أو الغائبين أو من تطالبهم الدولة بأموال حتى يُفصل في أمرها(٦).

---

(١) الإمام مالك بن أنس: الموطأ، تح: محمد مصطفى الأعظمي، ج١، مؤسسة زايد، الإمارات، ٢٠٠٤م، ص١٩٢.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان، تح: رضوان محمد رضوان، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ، ص٨٤.

(٣) ابن ماجة، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد: السنن، تح: محمود فؤاد عبد الباقي، ج١، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤م، ص٥٨١.

(٤) القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس: الذخيرة، تح: محمد بو خبزة، ط١، ج٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٩٤م، ص٧٦.

(٥) المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر: السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، ط١، ج٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ص٢٠٢؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص٢٥.

(٦) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٢٤٣، ح٤.

وتأسيساً على ما سبق يمكن القول إن بيت المال كان يمثل أحد المرافق المهمة التي تخصصت في الحفاظ على الأموال التي تأتي إليها، وتصريفها في إعانة المساكين لقضاء حوائجهم، وترميم المساجد وتوسيعها، وتوفير الرواتب للقائمين عليها.

ج) **الديوان الخاص:**

يختص هذا الديوان بالأموال التي تركها الأمراء والخلفاء الأمويون لأبنائهم، وكانت الأخماس من أهم موارده، وكانت لا تحصى لضخامتها(١) وتتمثل فيما يجمعه القائمون على الأسواق من جراء أخذهم الضريبة من بائع الخضر والفواكه وغيرها، وهو ما يسمى بالمستخلص؛ فقد بلغ ما يصل إلى خاصية بيت المال في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر سبعمائة وخمسة وستين ألف دينار(٢)، ومن موارده أيضاً أراضي الأمراء والخلفاء التي يزرعها جماعة من المزارعين على أن يأخذوا جزاء لأنفسهم(٣).

ويعود المستخلص من الأسواق والأراضي التابعة للحكام الأمويين، بكثير من الأموال لخاصية بيت المال ويتبين ذلك من حبس الخليفة المستنصر ثلث ما ورثه عن والده الخليفة عبد الرحمن الناصر في كور الأندلس جميعًا من الضياع، وتوزيعها على الفقراء والمساكين عاماً بعد عام، إلا إذا حلت مجاعة فإنها كانت تقتصر على قرطبة(٤).

ومن هذه الأموال المستخلصة أيضاً يصرف لكل من يعارض حكم ولي العهد عن طريق الرضا، وذلك مثل قيام هشام بن عبد الرحمن الداخل

---

(١) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٧٩،٣٣٣.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٣١-٢٣٢؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١١.

(٣) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج٣، ص٣١٣-٣١٤.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٤.

بصرف ستين ألف دينار لأخيه سليمان من تركة أبيه عبد الرحمن الداخل، عن طريق المصالحة(١).

٣-العملات:

في أثناء قيام دولة الأمويين في الأندلس سنة ١٣٨هـ لم يكن لديهم عملة منتظمة أو دار خاص لسك العملة؛ بل كانت عملية سك النقود على نطاق محدود، وذلك لتعاملهم بالعملات القوطية المتداولة في الأندلس آنذاك، وكذلك العملة الوافدة عليهم من المشرق بوساطة التجار(٢)، واستمر ذلك إلى أن أنشأ الأمير عبد الرحمن الأوسط دارًا خاصًا للسكة بالقرب من الجامع بقرطبة وباب العطارين(٣)، واقتصر هذه الدار على ضرب الدراهم الفضية طول عهد الإمارة، والتي كان يعتمد عليها كنقود رئيسة، حتى أطلق عليها البعض دنانير(٤)، وفي عهد الخليفة الناصر بدأ دار السكة بضرب الدنانير الذهبية، والدراهم الفضية، وبذلك أصبحت الدنانير هي العملة الرئيسة(٥)، واشهر الدنانير التي ضربت في مدة الخلافة هي الدينار الجعفري في عهد الخليفة المستنصر(٦).

أما فيما يخص وزن العملة، فيذكر ابن خلدون(٧) أن الدنانير والدراهم والدراهم لهما وزن معلوم، ومقدار معين تجري عليهما أحكام الشرع الخاصة بالزكاة والأنكحة والحدود، ثم ذكر أن الدرهم الشرعي هو الذي

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج٥، ص٢٨٣؛ النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد القرشي: نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، ج٢٣ ،دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ص٣٥٤.

(٢) العمري: مسالك الأبصار، ج٢٤، ص٤٦٧؛ أحمد فكري: قرطبة في العصر الإسلامي، ص٢٥٧.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص٤٦؛ ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد الهمداني: البلدان، تح: يوسف الهاوي، ط١، ج١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م، ص١٣٨.

(٤) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١١.

(٥) خايمة لويس نایاس بروس: ملاحظات حول سكة النقود الإسلامية في الأندلس، ملخصات، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، مج٤، ع١، ٢، مدريد، ١٩٥٦م، ص٢٤٣.

(٦) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص١٨٧.

(٧) العبر، ج١، ص٣٢٤-٣٢٥.

تزن العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب، والأوقية منه أربعون درهمًا، وبذلك فهو يساوي سبعة أعشار الدينار، والمثقال من الذهب يزن اثنتين وسبعين حبة من الشعير، والدرهم خمسة وخمسون حبة من الشعير.

والعملة تعدُّ من أهم الأعمال السيادية للدولة، وبها تهاب بين الدول، وتستقر أوضاعها، وعن طريقها يكون التعامل مع غيرها؛ لذلك حرص الأمويون في الأندلس على ضرب عمله خاصة بهم، وأهم هذه العملات ما يأتي:

أ) الدينار: هو قطعة من الذهب سواءً أكان مضروباً أم لم يضرب(١)، وبدأت تضرب الدنانير في الأندلس منذُ عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، الذي أمر بسك الدنانير والدراهم من خالص الذهب والفضة، وكان صرف الدينار بسبعة عشر درهماً(٢)، فأصبح هناك متولٍّ لدار السكة للإشراف على عملية الضرب، والعاملين فيها يعرف بصاحب السكة، ومن الدنانير التي ضربت في هذه المدة دينار يعود إلى عهد الخليفة الناصر في سنة ٣٣١هـ(٣) وعليه كتب ما يأتي:

... وجه القطعة ... ظهر القطعة

المركز :...لا إله إلا الله ... الإمام الناصر

...لا شريك له ... أمير المؤمنين

... قاسم ...

الطوق:... محمد رسول الله أرسله ... بسم الله ضرب هذا

... بالهدى ودين الحق ليظهره ... الدينار سنة إحدى

---

(١) المازندراني، السيد موسى الحسيني: تاريخ النقود الإسلامية، ط٣، دار العلوم، بيروت، ١٩٨٨م، ص٣.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١١.

(٣) لمعرفة شكل الدينار ينظر ملحق رقم(٣).

... على الدين كله ولو كره ... وثلاثين وثلاثمائة

... المشركون ...

وهناك دينار ضرب في عهد الخليفة هشام المؤيد سنة ٣٩٨هـ: المركز وجه القطعة ... ظهر القطعة

هلال صغير في أعلاه "لا شريك له "... الحاجب

... الإمام هشام

... أمير المؤمنين

... المؤيد بالله

... عبد الملك

الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، الوزن ٣,٢٥٠غم، القطر ٢٤سم(١).

من المعلومات الواردة على العملة المضروبة في عهد الخلافة الأموية في الأندلس، تبين وضع اسم الخليفة والقائم على دار السكة في المرحلة الأولى من مرحلة الخلافة، في حين نجده في مرحلة تسلط الحاجب يذكر اسمه إلى جانب الخليفة.

وقد ذكر اسم ولي العهد على العملة إلى جانب الخليفة، ومثل هذا الأمر كان في عهد الخليفة المستعين بالله، التي ضربت عملته سنة ٤٠٠هـ(٢). واستمر الأمر كذلك في عصر الفتنة (٣٩٩-٤٢٢هـ)، في ضرب العملة بأسماء الخلفاء إلى نهاية الدولة الأموية في الأندلس.

---

(١) النقشبندي، ناصر: نقود أندلسية، مجلة سومر، ج١، مج٧، مديرية الآثار القديمة العامة، بغداد، ١٩٥١م، ص٨٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٨١ .

ب) الدراهم: هي قطعة من الفضة(١)، ظلَّت هذه العملة هي المتداولة منذ قيام دولة بني أمية في الأندلس، واختلفت في حجمها من مدة إلى أخرى؛ بل في كل ضرب عملة جديدة، ومنها الدراهم التي ضربت في عهد الإمارة قبل إنشاء دار السكة، فهناك دراهم تعود إلى عبد الرحمن الداخل ضربت في سنتي ١٥٣هـ، و ١٧٠هـ، وهي تحوي زخرفة من الأعلى وفي مركز الظهر، وزنها ٢,٧٠٠غم، والقطر ٣٢مم، والأمر نفسه في عهد الأمير الحكم الربضي، فقد ضربت دراهم في سنة ١٨٧هـ، بالشكل نفسه، إلا أن وزنها أصبح ٢,٤٥٠غم، وقطرها ٢٧مم؛ وفي عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ضربت في كل من سنة٢٢٩هـ، ووزنها ٢,٥٠٠غم، والقطر ٢٥مم، وسنة ٢٣٧هـ، ووزنها ٢,٢٠٠غم، والقطر ٢٦مم، بمعنى أن أحجامها تختلف من ضرب لآخر، وذلك لعدم القدرة على التدقيق في ذلك، مع القدرة على توحيد الشكل(٢)، وهو الأمر نفسه في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، الذي ضرب دراهم في سنة ٢٥٥هـ، ووزنها ٢,٦٥غم، والقطر ٢٧مم، وكذلك سنة ٢٦٠هـ، الوزن ٢,٧٠٠غم، والقطر ٣٠مم(٣).

ج) الفلس: هي العملة المساعدة، وستون فلساً منها يعادل درهماً واحدً(٤)، ضرب الفلس في عهد الأمير عبد الله بن محمد سنة ٢٨٢هـ، ثم اختفى تداوله بعد ذلك(٥).

---

(١) المازندراني: تاريخ النقود الإسلامية، ص٣.

(٢) النقشبندي: نقود أندلسية، ص٨١.

(٣) المرجع نفسه، ص٨٤.

(٤) ابن الفقيه: البلدان، ج١، ص١٣٨.

(٥) ينظر ملحق رقم (٣).

ثالثاً: النظام القضائي:

يعد القضاء في عهد الأمويين في الأندلس من أهم وظائف الدولة كونه يسهم في تنظيم حياة الناس، وتطبيق الأحكام الشرعية(١)، وكان الأمويون في الأندلس لا يستقضون إلا من يثقون بعفافه، وصلاحه، وفهمه وعلمه بالسُّنَّة والآثار ووجه الفقه(٢)، ويذكر أن الحكّام الأمويين في الأندلس كانوا يكثرون السؤال عن أخبار الناس، والكشف عن أهل الخير والعلم منهم، والتعرف عن أماكنهم، سواءً أكانوا من قرطبة أم غيرها، فإذا احتاجوا لرجل لخطة من خططهم استجلبوه(٣).

ويشترط في تعيين القضاء الذكورية، والبلوغ، والعقل، والعدالة، والحرية، والسلامة في السمع والبصر والحواس ليصلح بها إثبات الحق والتفريق بين الطالب والمطلوب، وتمييز الحق من الباطل، والإسلام، وأن يكون عالما بالأحكام الشرعية(٤)، وأن يكون متعمقاً في أصول الفقه مشهود له بالنزاهة، ولا يشترط أن يكون عربياً خالصاً، وقد تولى هذا المنصب الموالي والبربر.

١-مراتب القضاء:

كان القضاء في الأندلس على مراتب ودرجات فهناك قاضي الجماعة والذي كان مقره قرطبة العاصمة، وقضاة الكور الذي يعينهم حاكم قرطبة، بمشورة قاضي الجماعة، وقضاة القرى الصغيرة الذين كان يطلق عليهم لقب مسدَّد(٥)، والتفصيل في هذه المراتب فيما يأتي:

---

(١) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص١٧.

(٢) االنباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص٣٧،٧٥؛ اليحصبي: ترتيب المدارك، ج٣، ص٣٢٩.

(٣) الخشني: قضاة قرطبة، ص٣٩.

(٤) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص١٢٨-١٣٤؛ ابن الفراء، أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف: الأحكام السلطانية للفراء، صح: محمد حامد الفقيه، ط٢، ج١، دار الكتاب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٦٠؛ النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص١٩-٢٠.

(٥) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١٧-٢١٨.

أ) **قاضي الجماعة:** تعدُّ وظيفة قاضي الجماعة من أكبر وظائف القضاء بصفة خاصة ووظائف الدولة بصفة عامة، وكانت أعظم الخطط عند الخاصة والعامة إذ كان صاحبها هو الوالي الشرعي في مدينة قرطبة(١)، وأول من أطلق عليه هذا اللقب في عهد الأمويين في الأندلس يحيى بن يزيد(٢)، الذي كان يشغل منصب قاضي الجند قبل وصول عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس، وعندما دخل الأخير قرطبة وقامت دولة بني أمية في الأندلس، أبقاه في منصبه وأُطلق عليه قاضي الجماعة(٣)، وربما تأتي تسميته نتيجة للظروف التي كان يواجهها عبد الرحمن الداخل في تثبيت ملكه، وكذلك انعزال القاضي يحيى عن الحرب، وسرعة مبايعة الأمير الداخل، وكونه كاتب العهد الذي أبرم بين الأمير الداخل وآخر ولاة الأندلس عبد الرحمن بن حبيب الفهري، فأطلق عليه لقب قاضي الجماعة وهو اللقب الجديد الذي أثبت في الأندلس(٤)، وعليه سار من خلفه في الحكم.

وفي القرن الرابع الهجري ظهر لقب جديد وهو (قاضي القضاة)، الذي حل مكان لقب قاضي الجماعة، وأول من تلقب بهذا اللقب منذر بن سعيد البلوطي(٥) سنة ٣٣٠هـ، وذلك بعد أن ولاه الخليفة عبد الرحمن الناصر

---

(١) أحمد فكري: قرطبة في العصر الإسلامي، ص٣٠٣.

(٢) يحيى بن يزيد التجيبي من عرب الشام الساكنين في إفريقية، ويقال إنه قدم الأندلس مع أبي الخطار الكلبي، وتولىَّ قضاء الجند بقرطبة، وكان رجلاً صالحاً اعتزل الحرب عند دخول الأمير عبد الرحمن الداخل، وطال به الأمر إلى أن مات سنة ١٤٢هـ . الخشني: قضاة قرطبة، ص٢٨؛ الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن عثمان: تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام، تح: بشار عواد معروف، ط١، ج٣، دار الغرب الإسلامي ،٢٠٠٣م، ص١٠١٣.

(٣) الخشني: قضاة قرطبة، ص٢٨.

(٤) النباهي: تاريخ قضاة قرطبة، ص٣٨؛ الخشني: قضاة قرطبة، ص٢٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٢٤٦.

(٥) هو أبو الحكم الأندلسي قاضي الجماعة في عهد الناصر وابنه الحكم المستنصر، ينتسب إلى قبيلة يقال لها كنزة وهو موضع قريب من قرطبة يقال لها فحص البلوط، كان فقيها محقّقاً وخطيباً بليغاً، توفى في عهد الحكم المستنصر سنة ٣٥٥هـ. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٢٣٣-٢٣٩.

الناصر قضاء كورة ماردة، ثم قضاء الثغور الشرقية كلها، ثم جعله على قضاء القضاة بقرطبة، والصلاة بجامع الزهراء(١)، واستمر هذا اللقب طيلة القرنين الثالث والرابع الهجريين من عمر الدولة الأموية، وممن لقب بهذا اللقب أيضاً في عهد الخلافة القاضي أحمد بن ذكوان الذي يعدُّ أول من أسند إليه الوزارة إلى جانب خطة القضاء في عهد الدولة الأموية في الأندلس(٢). وبعد زوال الأسرة العامرية وتولي محمد المهدي الخلافة أول خلفاء الفتنة، أزال اسم قاضي القضاة، واقتصر على قاضي الجماعة وبهذا سمي ابن ذكوان بقاضي الجماعة، وظل القضاة يتسمون بذلك حتى سقوط دولة بني أمية بالأندلس(٣).

أما عن كيفية تعيين قاضي القضاة فقد كانت تتم على وفق خطة مرسومة يعدها حكّام بني أمية في عملية الاختيار سواءً في عهد الإمارة أم الخلافة؛ إذ يستدعي الحاكم قبل توليته القضاء، ويعظه ويحدد له الحدود ويرسم له الرسوم، وما يقف عليه من أسباب القضاء ووجوه الأحكام(٤)، ويصدر بذلك مرسوم التعيين، وقد حفظ لنا المؤرخ النباهي(٥) صيغة من هذا المرسوم يعود إلى عهد الخليفة المستنصر في في شعبان سنة ٣٥٣هـ يقضي بتعيين محمد بن السليم قاضي الجماعة وذكر فيه "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب أمر به أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله، محمد بن السليم ؛ولاّه خطّة القضاء، واختاره للحكم بين جميع المسلمين، ورفعه إلى أعلى المراتب عنده في تنفيذ الأحكام، غير مطلق يده إلا بالحق، ولسانه إلاّ بالعدل ".كما أن الخليفة أمره بالاقتداء

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٨٢٣.

(٢) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص١١٢.

(٣) اليحصبي، أبو الفضل القضي عياض بن موسى: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح: سعيد أحمد أعراب، ط١، ج٧، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، ١٩٨٣م، ص١٧١؛ النباهي: تاريخ قضاة قرطبة، ص١١٣-١١٤.

(٤) النباهي: تاريخ قضاة الاندلس، ص٦٦.

(٥) تاريخ قضاة الاندلس، ص١٠١.

بسنة رسول الله ﷺ وأن يصلح سريرته، ويبرأ من الهوى ليكون الناس أمامه سواسية، كما نصحه بعدم الغرور بمنصبه، وأطلعه بكل شيء يعارض دينه ومهامه كقاضي للجماعة.

وهذا يؤكد أن منصب قاضي الجماعة في عهد الأمويين بالأندلس كان له أهمية كبيرة، وسلطات واسعة، لذلك حرص حكام بني أمية على حسن اختيار القضاة لإدارة هذه الخطة، وايضاً التعرف إليهم واختبارهم قبل التعيين، للتأكد من قدراتهم، وسعة علمهم وفهمهم، وهو ما يؤهلهم لإدارة هذا المنصب(١).

ومن المهام التي كان يمارسها قاضي الجماعة ما يأتي:

- قطع التشاجر والخصام بين المتنازعين، إما بصلح عن تراض يراد به الجواز، وإما حكم بآية يعدُّ فيه الوجوب.
- استيفاء الحق لمن طلبه، وتوصيله إلى يده إما بإقرار أو بينة.
- النظر في الأحباس، والوقوف والتفقد لأحوالها وأحوال الناظر فيها.
- تنفيذ الوصايا على شروط الموصين إذا وافقت الشرع؛ ففي المعنيين يكون التنفيذ بالأقباض، وفي المجهولين يتعين المستحق لها بالاجتهاد.
- تزويج الأيامى من الأكفاء، إذا عدم الأولياء وأردن التزوج.
- إقامة الحدود في القضايا المعروضة عليه.
- النظر في المصالح العامة، من كف التعدي في الطرقات والأقنية.
- تصنيف الشهود، وتفقد الأمناء، واختيار من يرتضيه ذلك.
- وجوب التسوية بين القوي والضعيف، وتوخي العدل بين الشريف والمشروف(٢).
- النظر في الشكاوى التي ترفع ضد قضاة الكور؛ وذلك بأمر من الأمير أو الخليفة، والبت فيها(٣).

---

(١) الخشني: قضاة قرطبة، ص١٥٩.

(٢) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص٢١؛ الخشني: قضاة قرطبة وعلماء إفريقيا، ص١٢.

(٣) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص٣٩.

- الفتيا(١).
- النظر في أموال النصارى الأموات، وتوزيعها على ورثتهم الذين لم يدخلوا الإسلام(٢).
- الصلاة بالناس صلاة الاستسقاء في أثناء القحط وانعدام نزول المطر.
- الإشراف على أموال اليتامى وتعيين الأوصياء عليهم(٣).
- محاربة أصحاب الأهواء والبدع؛ وذلك مثل أمر قاضي الجماعة أسلم بن عبدالعزيز(٤) بضرب أحد النصارى لأنه دعا لنفسه الإتيان بمعجزات لم تكن إلا لعيسى عليه السلام(٥).
- ومن المهام التي كان يقوم بها قاضي الجماعة إلى جانب القضاء، تولى سفارة الخليفة إلى كبار الأمراء، والأمانات إلى الثغور والأطراف للإشراف عليها، والإعلام بمصالحها، والبنيان لحصونها، وترتيب مغازيها، وإدخال جيوشها إلى بلد الحرب(٦).
- المشورة في تدبير الملك وسائر شؤون الدولة مع الحكّام الأمويين، وذلك لما يمتلكون من علم ومكانة، وكذلك مشاركتهم في حملات جيش الصائفة(٧).

---

(١) الخشني: قضاة قرطبة، ص٧٧، ١٠٦.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص١٥، ٩٥ ، ٩٩؛ الخشني: تاريخ قضاة قرطبة، ص١٠٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٣٤٧.

(٤) هو أبو الجعد أسلم بن عبد العزيز، كان قاضي الجماعة في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر، تُوفيّ سنة ٣١٩هـ، وكان له أدب وشعر، وشهر بتأليفه في أغاني زرياب. ينظر الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص١٣٧؛ الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص٥٤٩؛ ابن خلدون: ديوان المبتدأ، ج٢، ص٤؛ وكثيراً ما كان الخليفة الناصر يستخلفه على القصر في أثناء خروجه للغزوات، وذلك لثقته به وبعلمه، وقدرته على تصريف الأمور. النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص٨٦.

(٥) الخشني: قضاة قرطبة، ص١٥٨-١٥٩.

(٦) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص٨٢.

(٧) اليحصبي: ترتيب المدارك، ج٧، ص١٦٨-١٦٩. المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١٧-٢١٨.

- ينوب عن الحاكم في القصر في أثناء خروجه في الغزوات(١).

وبهذه المهام التي تُناط بمن يتولى القضاء تتضح أهميته، ومدى السلطات التي يتمتع بها، لذلك حرص حُكَّام بني أمية على اختيار الشخص المناسب لتولي هذه الخطة.

أما الراتب الذي كان يتقاضاه قاضي الجماعة فلم تذكره المصادر التي اطلعنا عليها، إلا أنه يبدو كبيرًا جداً، ويتبين ذلك من كلام قاضي الجماعة عمر بن صالح للأمير عبد الرحمن الداخل الذي استخدم نظام المداولة(٢) في القضاء، ثم يعيده إلى منصبه بعد انقضاء العام، كونه بحاجة إلى المال، وكونه قد اقتات رزق العام بعامين؛ (أي: العام الذي تولى فيه وفي أثناء توقفه)، وكانوا يتسلمون الأرزاق يومياً باستثناء الأيام التي لم يحضروا فيها مجلس القضاء(٣).

ب) **قضاة المدن والبلدان:** يقرر هؤلاء القضاء في المدن الكبرى كإشبيلية، والمرية، وماردة، وغرناطة، وبجاية وغيرها من الكور في الأندلس وكان يطلق عليهم لقب قاضي كورة كذا؛ أما القرى التي تتبع الكور فكان القائم بمهام القضاء يدعى مسدّد(٤)، وكانوا يلتزمون الصرامة في تنفيذ الحقوق، وإقامة الحدود، والكشف عن الشهود(٥).

ومن المهام التي توكل إليهم حل الخلافات والمنازعات، وإصدار الأحكام في القضايا التي تصل إليهم على وفق الشريعة الإسلامية منها الزواج،

---

(١) الخشني: قضاة قرطبة، ص١٧٣-١٧٤؛ النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص٨٦.

(٢) هو أن يتولى اثنان من القضاة منفردين قضاء إحدى الكور، كل واحد منهم يتولى عامًا. الخشني: قضاة قرطبة، ص٣٩.

(٣) الخشني: قضاة قرطبة، ص٣٩.

(٤) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج١، ص٧٤، رقم ١٩٩؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١٧-ص٢١٧-٢١٨.

(٥) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص٨٢.

والطلاق، والميراث، وجرائم الزنا، والوصايا، والتوكيلات، وغيرها من القضايا المتصلة بالمجتمع(١).

ويعيين القضاة ويعزلون في الكور والقرى بأمر الأمير أو الخليفة مباشرة، واقتصر دور قاضي الجماعة على المشاورة في اختيار الأشخاص أو النظر في الشكاوى المقدمة من الأهالي ضد قضاة الكور أو القرى(٢).

٢-علاقة الحكّام بالقضاء:

القضاء سلطة مستقلة بحد ذاتها، تعتمد في أحكامها على الكتاب والسنة، على مذهب الإمام مالك، واتسمت علاقة الحكّام بالقضاة، بالاحترام المتبادل، ومناقشتهم في مجالسهم والتقرب منهم، والتشاور معهم في مجمل الأمور، والانصياع للأحكام الصادرة عن القضاء مهما كانت نتائجها، وكانوا يؤيدونهم في أحكامهم، ويجيزون لهم أفعالهم، ويتبين ذلك ممَّا فعله قاضي الجماعة مصعب بن عمران(٣) في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل وذلك أنه كان لأحد رجال الأمير هشام خصومة في دار عند القاضي؛ فسجل عليه القاضي فيها وأخرجه منها؛ فنهض الرجل إلى الأمير هشام وقال له: "إن القاضي سجل عليّ في دار كنت أسكنها وأخرجني عنها فرد عليه الأمير: وماذا تريد مني ؟ والله لو سجل عليّ القاضي في مقعدي هذا لخرجت عنه انقياداً للحق"(٤)؛ وبلغ من تواضع الحكام الأمويين اتجاه القضاة اعطاؤهم الثقة الكاملة في عملية

---

(١) الخشني: قضاة قرطبة، ص١٢؛ بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبدا لله: تاريخ ثغر عدن، تح: أوسكر لوفجرين، ط٢، ج٢، دار التنوير، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص٢٤٢.

(٢) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص١٨، ٢٧، ٣٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٨٠.

(٣) مصعب بن عمران دخل الأندلس في مدة عبد الرحمن الداخل، وكان راوية عن الأوزاعي، تولى خطة القضاء في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل، وكذلك أبقاه الحكم في القضاء إلى أن تُوفيّ سنة ٢٣٠هـ. ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص١٤٤؛ اليحصبي: ترتيب المدارك، ج٣، ص١١٥.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٦٦؛ الخشني: قضاة قرطبة، ص٤٣.

تسيير القضاء، فيذكر أن الأمير هشام الرضا قال للقاضي مصعب بن عمران عند استدعائه ليوليه قضاء الجماعة في قرطبة في سياق حديثه "ونفسي طيبة عليك لصلاح أمور المسلمين، ولو وضعت المئشار على رأسي لم أعترضك"(١).

كما أن سلطة القضاء في الأندلس في مدة الدراسة كانت مستقلة في الرأي والأحكام بمعنى أنها لا تقع تحت تأثير سلطة سياسية أو شخص من شأنه أن ينحرف بها عن هدفها الأسمى في تحري العدالة، ويتبين ذلك مما قام به قاضي الجماعة في عهد الحكم بن هشام مصعب بن عمران من تنفيذ حكمه في أرض لرجل من كور جيان، وذلك بعد النظر فيها واثبات الشهود، كان قد اغتصبها عليه العباس بن عبد الله المرواني الذي طلب من الأمير الحكم أن يأمر القاضي بترك القضية، وأن يبت هو فيها، إلا أن القاضي أمر برد تلك الضيعة، وأصدر حكمه على الرغم من إنذار الأمير له بتركها، فما كان على الأمير إلا أن ينصاع للحكم، ورد على العباس المرواني عندما جاء إليه شاكياً " ما أشقاه من لطمه قلم القاضي ثم رجع إلى ما كان فيه، ولم يعرض للقاضي، ونفذ له حكمه"(٢)، وكذلك في عهد الخلافة نجد الخليفة عبد الرحمن الناصر يرضخ لحكم قاضي الجماعة منذر بن سعيد البلوطي، فيذكر أن الخليفة رغب في شراء دار أيتام زكريا أخي بخدة الحيري، لحظية من نسائه، وكان أولئك الأيتام في حجر القاضي، فوقف القاضي ضد هذا البيع وذلك لبطلانه في الشرع؛ لأن الأيتام في حوزته ووصايته، وكذلك كان المبلغ المدفوع في الدار زهيدًا جدًّا فما كان من الخليفة إلا أن رضخ لقاضي الجماعة وقال له " نحن أولى من الانقياد إلى الحق، فجزاك الله عنا وعن أمانتك خيراً، وعن الدين والمسلمين أجلّ جزائه! وكثّر في الناس أمثالك

---

(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج٢، ص٦٣.

(٢) الخشني: قضاة قرطبة، ص٤٤-٤٥؛ دوزي، رينهات بيتر آن: تكملة المعاجم العربية، تر: محمد سليم، ط١، ج٧، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ٢٠٠٠م، ص١٢٤.

!فالـذي قلتـه هـو الحـق"(١)، وكـذلك الأمـر فـي مـدة تسـلط بنـي عـامر علـى الخلافـة؛ فقـد فسـخ قاضـي الجماعـة أحمـد بـن ذكـوان شـراء ضـيعة اشـتراها الـوزير عيسـى بـن سـعيد وزيـر المظفـر بـن المنصـور بـن أبـي عـامر مـن ولـد ابـن السـليم السـفيه – صـغير السـن – فقضـى ابـن ذكـوان بردهـا إلـى ولـد ابـن السـليم السـفيه، وفسـخ البيعـة(٢)، وهـذا مـا يؤكـد أن سـلطة القضـاء وصـلاحياته كانـت مسـتقلة، وحـرص حكـام بنـي أميـة فـي الأنـدلس علـى ذلـك للحفـاظ علـى علاقـتهم مـع القضـاة، وأيضـاً سـمعة دولـتهم بـين نظيراتهـا مـن الدول الإسلامية القائمة آنذاك.

ومـن جهـة أخـرى نجـد الحكّـام الأمـويين فـي الأنـدلس لا يتهـاونون فـي اتخـاذ الإجـراءات الرادعـة ضـد بعـض القضـاة لقيـامهم بـأمور غيـر متصـلة بالمهـام المنوطـة بهـم، أو ظهـور أسـاليب لا تليـق بالقـائمين علـى القضـاء، أو شـكاوى تصـدر مـن الرعيـة ضـدهم، أو تسـرعهم فـي إصـدار الأحكـام فـي القضـايا المعروضـة علـيهم، فهنـاك أمثلـة كثيـرة، أهمهـا عـزل قاضـي الجماعـة محمـد زيـاد اللخمـي، مـن الأميـر عبـد الـرحمن بـن الحكـم، وذلـك بسـبب الألفـاظ التـي أطلقهـا فـي أثنـاء المطـر الـذي شـهد عليـه حظيـة الأميـر، فـاتهم بالزندقـة، وعـزل(٣)، وكـذلك عـزل قاضـي الجماعـة معـاذ بـن عثمـان الشـعباني سـنة ٢٢٩هـ، وذلـك بسـبب سـرعة تنفيـذ الأحكـام، وكثـرة القضـايا التـي أسـرع النظـر فيهـا بوقـت قصـير ، فيـذكر أن عـدد القضـايا التـي أنفـذها فـي سـبعة أشـهر، قـد بلـغ سـبعين قضـية، فاسـتكثرت منـه، وخيـف عليـه الزلـل فعجـل عزلـه(٤)، ومـن الأمثلـة علـى عـدم تهـاون الحكّـام الأمـويين فـي أمـر القضـاء عـزل القاضـي أحمـد بـن ذكـوان فـي عهـد الخليفـة هشـام المؤيـد وذلـك

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام ومشاهير الأعلام، ج٧، ص٨٩١.

(٢) الخشني: قضاة قرطبة وعلماء أفريقيا، ص١١٣-١١٤.

(٣) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص٧٧.

(٤) ابـن حيـان: المقتـبس، ج١، ص٢٠٤؛ الخشـني: قضـاة قرطبـة، ص٨٥؛ النبـاهي: تـاريخ قضـاة الأنـدلس، ص٧٦-٧٧.

لاتهامه بالميل إلى البربر فتمت نكبتة وظل في بيته إلى أن تُوفيّ سنة ٤١٣هـ(١)؛ والأمر نفسه طبق على قضاة الكور والقرى.

خلاصة القول، اتخذ الحكّام الأمويون في الأندلس صيغة واحدة للتعامل مع القضاة، وهي الوقوف إلى جانبهم وتشجيعهم في تنفيذ مهامهم إذا رأوا فيهم ما يفيد المسلمين ويحقق مطالبهم، أو إعلان العزل ضد كل من يخالف شروط ومهام القضاء؛ حرصاً على مصالح المسلمين، وغياب وجه العدالة التي هي أساس بنيان الدولة، وهذا الأمر ينطبق على كل القضاة سواءً أكان قاضي الجماعة في قرطبة، أم قضاة الكور في أرجاء الأندلس المختلفة.

٣-مجلس القضاء:

يعقد مجلس القضاء علناً في المسجد، ويتكون عادة من جماعة الفقهاء والمشاورين، والكاتب، وكذلك المتخاصمين، والشهود والعدول، والشرطة والأعوان(٢)، ولا ينظر القاضي في قضية ما إلا في الجامع، ومن اعترض له في طريقه لم يستجب له سواءً أكان ذاهباً إلى المسجد أم عائداً إلى بيته؛ بل وصل الأمر إلى أمره بسجنه، مثل قاضي الجماعة أحمد بن زياد اللخمي الذي كان يرفض أن ينظر في أمر الخصوم إلا في مجلس نظره، ومن ألح عليه أمر بسجنه(٣).

وكان يرافق القاضي عادةً في أثناء ذهابه إلى المسجد شيخ؛ لكي يبعد كل من يدنو منه أو يقترب، وذلك ما طبقه قاضي الجماعة عمرو بن عبد الله بن الليث، الذي كان له شيخا يرافقه في أثناء مسيره إلى الجامع، ليبعد عنه الناس ويقول لهم " اذهب حتى يجلس القاضي في مجلسه"(٤)،

---

(١) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص ١١٤-١١٥.

(٢) الخشني: قضاة قرطبة، ص٥٠، ٩٤،٩٨، ١٠٦،

(٣) الخشني: قضاة قرطبة، ص٩٨؛ المقري: نفح الطيب، ج٢، ص١٤٦؛ اليحصبي: ترتيب المدارك، ج٣، ص٣٣٢.

(٤) الخشني: قضاة قرطبة، ص١٠٣.

الأمر الذي يؤكد وجود مجلس القضاء بكل اختصاصاته، والتزام القاضي في النظر في القضايا في مجلسه.

أما كيفية عرض القضايا في المجلس، فكان قاضي الجماعة في أثناء وصوله إلى الجامع، يأمر الخصوم ومن عنده خصومه أن يكتب اسمه في رقعة، ثم يأمر بجمع الرقاع، ويخلطها بين يديه، ويدعو أصحابها الأول فالأول على ما يخرج من يده من الرقاع، ويلتزم المتخاصمون الوقار وغض الصوت(١).

كما أن قاضي الجماعة يستشير الفقهاء الموجودين في المجلس وكانوا من أجل الفقهاء وأعلمهم، وذلك في بعض المسائل الخاصة بالقضاء، ولا يصدر حكماً إلا بعد موافقة الفقهاء، وإذا وجد معارضة يتوقف إصدار الحكم(٢)، بل وصل الأمر إلى إلزام الفقهاء بضبط فتياهم، وكتابة رأيهم بخط أيديهم، وأول من ألزمهم بذلك القاضي الحبيب بن محمد بن زياد الذي تولى خطة القضاء سنة ٢٩١هـ في عهد الأمير عبد الله بن محمد الذي ضم أهل الفقه المشيرين عليه في أقضيته، وأمرهم بضبط فتياهم وزمام رأيهم بخط أيديهم، ثم تكلف بعد ذلك ضبط تلك الأقضية، وجمع تلك الأحكام، فجعلها أجزاء يستفيد منها من نظر أو اطلاع عليها(٣)، ولا يقتصر الأمر في استشارة الفقهاء في الأندلس، بل وصل الأمر إلى استشارة نظرائهم من القضاة في الأقطار الإسلامية الأخرى، مثل قيام قاضي الجماعة يحيى بن معمر في عهد الأمير عبدالرحمن الداخل، الذي كان إذا أشكل عليه أمر من أحكامه، كتب فيه إلى أصبغ(٤) ونظرائه في مصر، فكشفهم عن وجه ما يريد علمه؛ فيحقق عليه فقهاء

---

(١) الخشني: قضاة قرطبة، ص١٠٣؛ اليحصبي: ترتيب المدارك، ج٧، ص١٧١.

(٢) الشاطبي، ابراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي: الموافقات، تح: أبو عبيدة مشهور، ط١، ج٥، دار ابن عثمان، ١٩٩٧م، ص٨٦؛ خلاف، عبد الوهاب: السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية، ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٨٨م، ص٥٣.

(٣) الخشني: قضاة قرطبة، ص١٤٩-١٥٠؛ الزركلي: الأعلام، ج١، ص٢٠٦.

(٤) أحد الأطباء المصريين آنذاك. لم أعثر على ترجمة له.

الأندلس(١)، أما عن إعلان الأحكام، فكان يتم في مجلس القضاء، وذلك بحضور الكاتب، والفقهاء، والأعيان، والشهود(٢).

وكانت مواعيد جلسة القاضي تبدأ من الصباح حتى قبل الظهر بساعة في مدة أولى، وتبدأ المدة الثانية من بعد الظهر حتى العصر، لا يكون نظره غير السماع من البينات، ولا يسمع من بينة غير ذلك الوقت، ولا يخاليه أحد في مجلس نظره، ولا في داره، ولا يقرأ سبب أحد في سبب من أسباب الخصومة(٣).

وكانت الشرطة والأعوان من ضمن ما يحوي مجلس القضاء، فبهم يفرض الهيبة على مجلس القضاء، وبهم يرهب المبطل، ويعاقب المجرم.

أما بخصوص الزي الذي كان يرتديه قاضي القضاة، لم تحدد المصادر الموجودة أي نوع من الزي للقضاة الذين تولوا هذه الخطة، سوى بعض المعلومات التي تناولت بعض القضاة في لباسهم الشخصي وهو يختلف من شخص لآخر، فيذكر أن قاضي الجماعة محمد بن بشير كان يلبس العمامة وعليها قلنسوة من الخز(٤)، ويذكر أيضاً أنه كان يلبس رداء معصفرًا، وفي رجليه حذاء يصرُّ، وعليه جمُّة(٥) مفرقة؛ ثم يقوم: فيخطب ويقضي وهو في هذا الزي(٦)، وكذلك قاضي الجماعة عمرو بن بن عبد الله في عهد الخليفة الناصر، يجلس للحكم في المسجد وعليه

---

(١) النباهي: تاريخ قضاة قرطبة، ص٦٩.

(٢) الخشني: قضاة قرطبة، ص٥٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٠.

(٤) اليحصبي: ترتيب المدارك، ج٣، ص٣٢٨. الخز: هي ثياب منسوجة من صوف وإبرسيم أو المنسوجة من إبرسيم. ينظر أبو السعادات، مجد الدين بن محمد بن محمد: النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي، ج٢، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م، ص٢٨.

(٥) جمة: تعني شعر الرأس. دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج٢، ص٢٦٢.

(٦) الخشني: قضاة قرطبة، ص٥٠؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٧٩.

أحياناً ثوب شركاب(١)، إلا أن العمامة هي السمة الوحيدة التي كان يتميز بها الفقهاء والقضاة في الأندلس(٢).

من عرض ما سبق تبيَّن أن مجلس القضاء في الأندلس كان ذا سمات عالية، سواءً أكان في مجلس القضاء، أم طريقة تنظيمه، وكذلك إصدار الأحكام وتنفيذها.

٤-أنواع العقوبات:

هناك مجموعة من العقوبات التي حددها الشرع، واجتهاد العلماء لمعالجة القضايا التي تعرض عليهم، ومعاقبة المخالفين ومرتكبي الجرائم، وتنقسم العقوبات في الشريعة الإسلامية على نوعين:

أ) عقوبة مقدّرة، وهي التي أوجبت حقًّا لله وحقاً للعباد، مثل حد الزنا، وشرب الخمر والسرقة، والقصاص وغيرها.

ب) عقوبة غير مقدرة، وهو ما يسمى بالتعزير، فإنه يكون في كل معصية لا حد فيها ولا كفارة، أو سقط أحد الشروط الموجبة لإقامة الحد، أو التي لم تأت فيه الشريعة بنوع معين، ولا قُدِّر فيه من العقوبات، وإنما ترك أمره إلى أمر الحاكم يحسب المصلحة التي يراها(٣).

٥-خطة الرد:

هي من وظائف الحكام التي تجري على أيديهم الأحكام، ومتوليها يسمى صاحب الرد، بما رد عليه من الأحكام فيما استرابه الحكام وردود عن أنفسهم(٤).

---

(١) الخشني: قضاة قرطبة، ص١٠٣-١٠٤.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢٢٢.

(٣) د. وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، ط٤، ج٧، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م، ص٤٩٠؛ عودة، عبد القادر: التشريع الجنائي الإسلامي، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م، ص١٥٧-١٥٨؛ ج٢، ص١٧١.

(٤) ابن جلجل: طبقات الأطباء، ص١٠٩، ح٣.

٦-المظالم:

أولى الحكّام الأمويون في الأندلس اهتماماً كبيراً للنظر في المظالم، والوقوف عليها ومباشرتها بأنفسهم، وكانوا يتولون الكتابة على عرائض المظالم بخطهم بما فيها إنصاف المظلوم، وتعدُّ المظالم إحدى الخطط المهمة في الأندلس(١)، فهي ممتزجة في سطوة السلطان وإنصاف القضاء، وتحتاج إلى علو اليد، وعظيم الرهبة لقطع المظالم بين المتخاصمين، وتزجر المعتدي، كأنه يمضي ما عجز عنه القضاء(٢).

وكانت أهم القضايا التي نظروا فيها، تعدي الولاة على الرعية، وجور العمال فيما يجبونه من أموال، وكُتَّاب الدواوين لأنهم أمناء على أموال المسلمين، والأوقاف، وتظلم المسترزقة في نقص أرزاقهم أو تأخرها، والنظر بين المتخاصمين، ورد المغصوب، وتنفيذ ما عجز القاضي عن تنفيذه(٣).

وعلى الرغم من عدم هذه الخطة في بداية العهد الأموي في الأندلس، فالحكّام كانوا يتولونها ويفصلون بين الشكاوى المعروضة عليهم فهناك أمثلة كثيرة تخص هذا الجانب سواءً أكانت في عهد الإمارة أم الخلافة، فيذكر أن الأمير عبدالرحمن الداخل كان يجلس مع العامة، ويستمع منهم، وينظر فيما بينهم، ويصل إليهم لمن أراد من العامة، فيصل الضعيف إلى رفع ظلامته من دون مشقة، وينصف المظلوم منهم(٤)، وكان يكثر من الخروج بين الناس ومشاركتهم أفراحهم واحزانهم، مثل القضية التي أطلع عليها أثناء عودته من مشاركته في إحدى الجنائز إذ اعترض له أحد

---

(١) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص٧٠؛ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج٢، ص٦٢.

(٢) الماوردي: الأحكام السلطانية، ج١، ص١٣٠؛ الكاساني، علاء الدين أبي بكر بن مسعود: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط٢، ج٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م، ص٤١٠.

(٣) الماوردي: الأحكام السلطانية، ج١، ص١٣٤-١٣٧.

(٤) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٣٢؛ مجهول: أخبار مجموعة، ص١١٠؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٥٣.

العوام، وخاطبه بصوت عالٍ أن ينصفه ممن ظلمه، فوقف الأمير ودعا القاضي المرافق له فأنصفه(١)، وعلى نهجه سار من خلفه من الأمراء الأمويين، في إنصاف المظلوم وإعادة المظالم لأصحابها، فيذكر أن الأمير هشام الرضا- وهو حريص في العدل وإنصاف المظلوم- أن اعترضه رجل يستغيث من جور أحد العمال، فحاول مرافقو الأمير إرضاء هذا الرجل خوفاً من سخطه على الوالي، إلا أن الأمير استدعى هذا الرجل وقال له:" احلف على كل من ظلمك فيه، فإن كان ضربك فاضربه، أو هتك لك ستراً فاهتك سترته، أو أخذ لك مالاً فخذ منه ماله مثله، إلا أن يكون أصاب منك حداً من حدود الله، فجعل الرجل لا يحلف على شيء إلا قيد منه، فكان زجره هكذا لعماله أبلغ فيهم النكال والأدب"(٢). ويذكر ابن عذارى(٣) أن الأمير عبد الله بن محمد قد خصص يوماً في الأسبوع يعقد فيه على باب قصره للنظر في الظلامات.

وكان يخصص لهذه الشكاوى مكانًا خاصً بها، وتصل إلى الحاكم الأموي على باب حديد قد صنع لذلك، فلا يتعذر على ضعيف ممن إيصال بطاقته بيده، فيهاب أصحاب المكانات وذوي المنازل والأقدار(٤).

إذًا فقد حرص حكّام بني أمية على النظر في مظالم الناس وإنصافهم، واستمر هذا الاهتمام بهذا الجانب إلى أن أُسست خطة خاصة بها في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر، وربما يعود ذلك إلى كثرة الشكاوى المقدمة إليه، مع كثرة انشغاله بأمور أخرى أكثر أهمية، وهو الأمر الذي جعله يأمر بإنشاء جهاز خاص بالمظالم سنة ٣٢٥هـ، ويكون النظر فيها إلى صاحب المظالم المعين من الخليفة(٥)، وأصبح القائم عليها ينفذ

---

(١) المقري: نفح الطيب، ج٣، ص٣٧.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٦٦.

(٣) البيان المغرب، ج٢، ص١٥٣.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٥٣.

(٥) أحمد فكري: قرطبة في العصر الإسلامي، ص٣٠٧.

الأحكام على طبقات أهل البلاد(١) واستمر هذا الأمر حتى نهاية الدولة الأموية.

والخلاصة مما سبق أن خطة المظالم لم تأخذ تنظيمها النهائي إلا في عهد الخلافة، على الرغم من وجودها منذ تأسيس الدولة الأموية في الأندلس إلا فهي لم تكن خطة بذاتها بل كانت مضافة إلى غيرها من الخطط، وعندما أمر الخليفة الناصر بإنشائها، أصبحت خطة مستقلة ذات مهام، واستمر ذلك إلى نهاية الحكم الأموي في الأندلس.

٧- صاحب السوق (المحتسب):

هذه الوظيفة من الوظائف التي تعدُّ جزءًا من القضاء، ويذكر الماوردي(٢) أن الحسبة واسطة بين القضاء وأحكام المظالم، ويوكل إلى صاحبها القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٣).

سميت هذه الوظيفة في الأندلس بصاحب السوق، اقتراناً بالعمل المنوط بصاحبها، بخلاف المشرق الذي كان يسمى صاحب هذه الوظيفة بالمُحْتَسِب.

وهي منوطة بأهل العلم، وكان متوليها قاضيًا، ومن مهام المحتسب النزول إلى الأسواق لتفقد أحوالها، فكان صاحب السوق في الأندلس ينزل بنفسه إلى الأسواق ومعه الميزان الذي يزن به الخبز بيد أحد أعوانه المرافقين له، وكانت الأوزان في الأندلس معلومة، كما كانوا يراقبون الروسيين(أي: الجزارين) والشوايين في غسل المذابح من الرؤوس قبل أن يجز شعرها، ويأخذ الخبازون بتنقية الحنطة، وتمييز المسكر منها ويجعل في العجينة خميرة لينضج الخبز، وكذلك مراقبة خبز الأرز ويأمرهم أن

---

(١) ابن حيان: المقتبس، ج٢، ص١٦٦.

(٢) الأحكام السلطانية، ج١، ص٣٥٢، ٣٤٩.

(٣) سورة آل عمران، آية رقم ١٠٤.

ينضجوه وينقوه، ويحرص على ألا يبيعوه إلا بالأرطال، وأن يوضع على موازينهم، ويتعاهدوا للمحتسب القيام بذلك، ويقوم المحتسب بمراقبة الطحانين من أن يطحنوا إلا بالأجر المعلوم، ومنعهم من الغش في الطعام والشعير وغيرها من الأشياء، كذلك يظهر المحتسب الطعام إذا كانوا محتاجين إليه، ويمنع المحتسب من الحلف في أثناء البيع، ويأمر الناس بأن لا يبيع الحاضر للبادي إلا بطلب البادي ذلك، ويأمر السماسرة إذا شتروا سلعة في السوق بدنانير أن لا يدفعوا للبائع دراهم إلا برضاه، ولا يزيدوا في البيع على أمنانهم وأرطالهم، ومنع الناس من القصص(أي: الروايات) وتجنبهم المساجد ولا يسمح للناس بالتجمع عند القصاصين، ويمنع المحتسب اختلاط الرجال بالنساء في الأسواق والطرقات، ويمنع من البناء على جانب الأسواق، وربط الدواب في الطرقات العامة، وكذلك الإسراف بالماء أو اللعب فيه، كذلك يمنع المحتسب ربط الدواب في المقابر أو الرعي فيها، ومن أعمال المحتسب أيضًا حشد الناس لصلاة الجمعة والأعياد(١)، وكذلك استقبال معتنقي الإسلام وإعلان اسلامهم أمامه(٢).

ويعين الأميرُ أو الخليفةُ المحتسب، ويتقاضى صاحب هذه الوظيفة مرتبه من بيت المال، وكان مقداره شهرياً ثلاثين دينارًا(٣).

وكان صاحب السوق صارماً في أحكامه، متفانياً في مهامه لا يخاف لومة لائم فيهاب عند الخاصة والعامة(٤)، وهناك أمثلة كثيرة تؤكد ذلك،

---

(١) الأطروشي، الإمام الناصر للحق الحسن بن علي: الاحتساب، تح: عبد الكريم أحمد جدبان، ط١، مكتبة التراث الإسلامي، صعدة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٣٨،٤٢،٤٤،٤٨،٤٩،٥٠،٥٢؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١٨-٢١٩؛ ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدمة، تح: عبد السلام الشدادي، ط١، بيت العلوم والفنون والآداب، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م، ص١٨٠-١٨١.

(٢) البغدادي، عبد القادر بن عمر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: محمد نبيل، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ص٧٥.

(٣) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٦٦-١٦٧.

(٤) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢١٨.

فيذكر أن صاحب السوق الفقيه محمد بن خالد بن مرتنل(١) في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، كان صلباً في أحكامه لا تأخذه لومة لائم، ولا يهاب أحد من جلاس الأمير، وكان ينفذ عليهم من الحقوق ما ينفذه على السوقة والعوام، وقد ضرب رجلاً من أصحاب الأمير يعرف بالتمار أصاب منكراً، أربعمائة سوط ثم حبسه، فضج فيه أصحاب الأمير وأكثروا عليه عنده، وزين له عزله، ولكنه أبى أمرهم بالتحفظ منه، وحدث أن عزله الأمير عشية، لكنه رده صباحاً لما رأى من سداده(٢)، وكل هذا ما يؤكد سلطة صاحب السوق وصرامته في إنفاذ العقوبات حتى لو كان ذلك يؤثر في منصبه.

كذلك يوجد تقارب بين صاحب السوق والشرطة؛ وذلك لاتصالهما بشرائح المجتمع جميعًا، والقضايا المتصلة به، فكل واحدة مكملة للأخرى، وممن جمع بينهما الفقيه محمد بن الحارث، الذي كان يلي السوق والشرطة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن(٣).

---

(١) هو محمد خالد بن مرتنل من أهل قرطبة المعروف بالأشجع، كان عبداً مملوكاً للإمام عبد الرحمن بن معاوية، توفيّ سنة ٢٢٢هـ. ابن حيان: المقتبس، ج١، ص٢١٦؛ الخشني، محمد بن حارث: أخبار الفقهاء والمحدثين، تح: ماريا لويس، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد ١٩٩١م، ص١١١؛ ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد: التحرير والتنوير، ج٤، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م، ص٤٢.

(٢) اليعمري، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحمدي، ج٢، دار التراث، القاهرة، ١٩٩٠م، ص١٦٣؛ الخشني: أخبار الفقهاء والمحدثين، ص١١١؛ اليحصبي: ترتيب المدارك، ج٤، ص١١٧.

(٣) الخشني: أخبار الفقهاء والمحدثين، ص١٤٠.

رابعاً: النظام العسكري:

كان النظام العسكري في الأندلس في عهد الدولة الأموية، يمثل أولى اهتمامات الحكّام من حيث القيادة، والترتيب، والتنظيم، والتسليح، كون الجيش عدد المُلك وحصونه وأوتاده، والدافعون عن العورة، وهم جفن الثغور وحراس الأبواب، والعدد للحوادث، وإمداد المسلمين، وهو عماد الدولة والمدافع عنها(١).

١-القيادة:

حرص حكّام بني أمية في الأندلس على تولي قيادة معظم الحملات العسكرية بأنفسهم؛ حرصاً منهم على الإشراف المباشر على سير العمليات العسكرية ونجاحها، وكذلك إعطاء الحماس للمقاتلين، ولاسيما التي يوجهونها نحو النصارى في شمال إسبانيا أو ضد الثوار العرب، وهناك عديد من الأمثلة على ذلك سواءً أكانت في عهد الإمارة أم الخلافة، مثل قيادة الأمير عبد الرحمن الداخل عديد من الحملات العسكرية ضد رؤساء العرب في الأندلس، أو غزو بلاد الفرنج والبشكنس(٢) ومن ورائهم وعاد بالظفر، وعلى نهجه سار من جاء من بعده فابنه هشام قاد عديدًا من الحملات ضد النصارى وكان يظفر بها، أهمها فتح أربونة(٣)، وكذلك الأمير الحكم بن هشام الذي قاد حملة ضد الفرنج سنة ٢٩٦هـ، فافتتح الثغور والحصون، وخرب النواحي، وأثخن القتل والسبي وعاد إلى قرطبة ظافراً(٤)، وكذلك الأمير محمد بن عبد

---

(١) الطرطوشي، أبو بكر محمد بن محمد المالكي: سراج الملوك، أوائل المطبوعات العربية، مصر، ١٨٧٢م، ص١٢٢.

(٢) البشكنس: هم الشعب الذي يسمى اليوم بشعب الباسك، وإقليم البشكنس: هو إقليم الباسك، وهو إقليم يمتد عبر جبال البرتات الغربية على الحدود ما بين فرنسا وإسبانيا تصل مساحته نحو ٢٠ ألف كم، وتعدُّ مدينة بلباو عاصمة له. ابن أمير المؤمنين: تاريخ الأندلس، ص١٧، ح٢.

(٣) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٣٢-٣٣٣،٣٣٧. وأربونة أخر مناطق الأندلس من ناحية الفرنجة. الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٤٠.

(٤) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٤٠.

الرحمن بن الحكم الذي قاد الحملة بنفسه ضد الجلالقة(١) سنة ٢٥١هـ فأثخن فيهم الخراب والدمار وعاد ظافراً(٢).

والأمر نفسه في عهد الخلافة، إذ نجد الخليفة عبد الرحمن الناصر كثير الجهاد بنفسه في بلاد العدو فيذكر أنه غزا الروم اثنتي عشرة غزوة حتى دوخ بلادهم، وفرض عليهم الجزية(٣)، واستمر في ذلك إلى أن هزم في معركة الخندق سنة ٣٢٧هـ، إلا أن ذلك لم يمنعه من إنفاذ الصوائف في كل سنة(٤)، وكذلك ابنه الخليفة الحكم المستنصر الذي سار غازياً إلى بلاد الروم سنة ٣٥١هـ، وفتح فيها حصوناً كثيرة ومدناً جليلة، وسبى وغنم، وانصرف غانماً ظافراً(٥)، والأمر نفسه أيضًا في خلافة هشام المؤيد، في أثناء تسلط بني عامر على الحكم، حيث بلغت غزوات المنصور بن أبي عامر في بلاد الفرنج سبعًا وخمسين غزوة لم يهزم فيها أبدًا(٦).

إلا أن تحكم الأمويين في توجيه الجيوش إلى بلاد العدو لا يعني عدم وجود قائد عسكري عام يتولى هذه الخطة، فقد كان هناك عدد من القادة الذين تولوا هذا المنصب وكان لهم خبرة في القيادة، وكيفية التكتيك، إلا أن صلاحياتهم كانت تقتصر على تنفيذ أوامر الحاكم، وتنتهي بوصوله قرطبة، ففي عصر الإمارة اعتمد على قادة عسكريين مشهورين ينتمون إلى أسر معينة، كان لهم دور كبير في القضاء على الفتن الداخلية،

---

(١) أمة من أمم النصارى، وهم أشد من الفرنج، ويغلب عليهم الجهل والجفاء، ومن زيهم أنهم لا يغسلون ثيابهم، بل يتركونها عليهم إلى أن تبلى، ويدخل أحدهم دار الآخر دون استئذان، وهم كالبهائم، ولهم بلاد كثيرة في شمال الأندلس. الملك المؤيد، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي: المختصر في أخبار البشر، ط١، ج١، المطبعة الحسينية المصرية، ١٩٨٥م، ص٩٣.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٥١.

(٣) النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٢٣٣.

(٤) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٥٣-٣٦٣،٣٥٤.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٤.

(٦) العذري: نصوص عن الأندلس، مج٢، ص٧٤-٨٠.

وكذلك الحروب الخارجية كمحاربة الممالك الإسبانية، مثل اسرة أبي عبدة التي شارك أبناؤها في القضاء على حركة ابن حفصون في عهد الأمير عبد الله (٢٧٥-٣٠٠هـ)(١)، كما شارك أفراد هذه الأسرة في كثير من المعارك ضد الممالك الإسبانية(٢).

وفي عهد الخلافة اعتمدوا على الصقالبة في قيادة الجيش، وبدأ هذا في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، واستمر الأمر كذلك في عهد ابنه الحكم المستنصر، اللذين أسندا لهم قيادة الجيش وأبرز المناصب في الدولة، وأهملوا الجانب العربي(٣).

في حين نرى في مدة تسلط العامريين على الخلافة(٣٦٦-٣٩٩هـ)، أنهم اعتمدوا على عناصر جديدة في جيش الأندلس، وهم البربر، وقضوا على القيادات العربية، ومعظم الصقالبة، وأعادوا تنظيم الجيش الأندلسي، وأعفوا الناس من المشاركة الإجبارية في الغزوات وهو ما كان سائداً في عهد الإمارة والخلافة وكان ذلك سنة ٣٨٨هـ عندما صدر مرسوم بذلك، وكان المنصور بن أبي عامر يتولى قيادة الجيش في الغزوات جميعًا التي خاضها ضد النصارى(٤)، ويذكر بروكلمان(٥) أن الاسم الذي اشتهر به به في مدونات إسبانيا المسيحية، وأغانيها الرقيقة، هو رجل التوسع الأموي بلا مراء، وأعظم إبطال.

وفي المدة التي تلت تسلط بني عامر، والتي سميت بعصر الفتنة(٣٩٩-٤٢٢هـ)، فقد بدأ الصراع بين القادة البربر والصقالبة في السيطرة على مراكز النفوذ الأمر الذي أدى تدريجيًّا إلى ضعف الدولة الأموية وسقوطها.

---

(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج ٢، ص١١٦.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢،ص٩٨-٩٩.

(٣) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص٥١٤.

(٤) المرجع نفسه ،ص٥٣١.

(٥) تاريخ الحضارة العربية في إسبانيا، ص٢٧.

أما فيما يخص زي الجند سواءً أكان في الحاميات العسكرية أم جند السلطان، فقد قلدوا أمم الجلالقة في ملابسهم وشاراتهم الكثيرة(١).

٢-اللواء:

اللواء يعني الراية، وهو العلم الذي يحمل في الحروب، يعرف به موضع صاحب الجيش، وقد يحمله أمير الجيش، أو يدفعه إلى مقدم العسكر، وكان لواء الرسولﷺ أبيض ورايته سوداء، مكتوب على لوائه: لا إله إلا الله محمد رسول الله(٢).

ويعدُّ اللواء رمزاً للقيادة والإمارة، فأول لواء عقده الأمويون في الأندلس، لواء الأمير عبد الرحمن الداخل عند دخوله الأندلس وفي أثناء توجهه من إشبيلية إلى قرطبة، وتوافد ألوية الأجناد ورياتها لمساندته، لم تكن له راية آنذاك، الأمر الذي جعله يقدم على اتخاذ راية خاصة بالجيش الذي سيكون تحت إمرته، فجيء بقناتين(أي: برايتين) إحداها لأبي الصباح اليحصبي، والأخرى لجعفر بن يزيد جد بني سليم الشذوني، وعقد بين شجرتين من الزيتون متجاورتين، وكان ذلك في قرية بلة من كور إشبيلية(٣).

وكان الأمويون في الأندلس يتفاءلون بعقد هذ اللواء وذلك من الانتصارات التي جاءت بعد تشكيله، وظل هذا اللواء من دون تجديد في عهد كل من الأمير هشام الرضى، والأمير الحكم بن هشام، إلى أن جدد في عهد عبد الرحمن الأوسط، فجدد الأخلاق البالية التي كانت تكوّن اللواء القديم، وهو الأمر الذي أنكره الوزير جهور بن يوسف بن بخت،

---

(١) ابن الأزرق: بدائع السلك، ج٢، ص٢٨٦.

(٢) ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، تح: زهير الشاويش، ط١، ج١، المكتبة الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٢م، ص١٠٣.

(٣) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج٢، ص٤٩، المقري: نفح الطيب، ج٣، ص٥٠-٥١.

وطلب إعادتها، إلا أنه ج تجاهله(١)، واستمر وجود اللواء في ظل دولة الأمويين في الأندلس حتى سقوط دولتهم.

٣-العرض:

وظيفة من وظائف التنظيم العسكري، وهي استعراض الجنود المقيدين في الديوان في أوقات منتظمة للتأكد من وجودهم والتحقق من سلامتهم، وخيل الفرسان منهم وحالتها، وما إلى ذلك؛ ويتم هذا العرض في ميدان كبير خارج العاصمة، ويتم جمعهم بوساطة بوق جهير(٢).

٤-عناصر الجيش:

اعتمد الأمويون في الأندلس على عديد من العناصر في تكوين جيوشهم، والتي بها تصدوا لكل القوى الطامعة في السيطرة على الأندلس، وأهم هذه العناصر ما يلي:

أ) **العرب:** هم أحد المكونات الرئيسة في تكوين الجيش الأموي في الأندلس، فكانوا متخصصين في الحروب والقيادة، ويتكونون من الجند الشاميين والبلديين(٣)، وكانوا يشكلون لواءين لكل منهما، واحد يغزو والآخر يقيم، ويتبادلون كل ستة أشهر، وكان اللواء الغازي من الشاميين يتقاضون العطاء مائة دينار، وكذلك كل من يشارك معهم من أقاربهم عشرة دنانير إكرامًا لهم، وكذلك من غير بيوت العقد خمسة دنانير، في حين اللواء المقيم لم يعطَ له عطاء؛ كما نجد لواء البلديين الغازي يتقاضون مائة دينار أيضاً، أما غير المعقود لهم فلا يجب لهم شيء، ولا لأهل البيوت الذين يغزون منهم، وكانوا يدفعون ضريبة العشر، في حين االشاميون

---

(١) مجهول: أخبار مجموعة، ص٧٩؛ المقري: نفح الطيب، ج٣، ص٣٣، ٥٠-٥١.

(٢) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٤٦، ح٣.

(٣) البلديين: هم العرب الذين استوطنوا الأندلس منذ الفتح واستقروا فيها. أما الشاميون فقد أطلق هذا المصطلح على الجند الذي دخل بقيادة بلج بن بشر إلى الأندلس من المغرب في عهد الخليفة الأموي في دمشق هشام بن عبد الملك بن مروان سنة ١٢٤هـ. لمزيد من المعلومات ينظر السامرائي: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٦٤-٧٤وما بعدها.

معفيين منها، والسبب في هذا التمييز يعود إلى أن الشاميين هم الكتبة في الديوان والمسؤولون عن إدارته، وكذلك المقربين من الحكام الأمويين(١).

إلا أن هذا العنصر من الجيش بدأ الاستغناء عن قياداته تدريجياً منذُ الوهلة الأولى من تأسيس الدولة الأموية في الأندلس، ولاسيما عندما شاهد الحكّام الأمويون كثرة ثورات العرب ومعارضتهم، فاستبدلوها بقيادات أخرى تكون تحت إدارتهم وأوامرهم(٢).

ب) **المماليك (الصقالبة)**(٣): هم الآخرون أحد العناصر التي ضمها جيش الأندلس في ظل دولة الأمويين، فبدأ استجلابهم منذ المدة الأولى من قيام الدولة الأموية، ولاسيما عندما أظهر الأمير عبد الرحمن الداخل نفوره من العرب لكثرة الثورات التي قامت ضده، بعد قيام دولته، ولاسيما الثورة التي قامت بها اليمانية؛ انتقاماً لمقتل سيدهم أبي الصباح اليحصبي، فاتجه الأمير إلى اتخاذ المماليك، فوضع يده في الابتياع، فابتاع موالي الناس بكل ناحية(٤)، ويتبين ذلك من العدد الكبير من المماليك الصقالبة الذي كان يمتلكه حفيده الحكم الربضي،

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة، ج١، ص١٠٣، ١٠٤،١٠٥.

(٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص٨٣-٩٥؛ ابن عذارى: البيان المغرب،ج٢، ص٤٩-٥٦؛ ابن الخطيب: نفح الطيب، ج١، ص٣٣٣ ؛ ج٣، ص٣٦؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص٦٨٢.

(٣) كانوا يجلبون عن طريق التجار إلى الأندلس، ويبيعونهم صغاراً للخليفة، ليهذبهم وينشئهم في الإسلام، وكثير منهم من أصبح كامل الثقافة شديد الإخلاص لمولاه، وهم يشبهون في نواح كثيرة مماليك مصر، فيمن تولى بعد صلاح الدين الأيوبي، الذي اختارهم لحراستهم، وكان الخليفة الأموي في الأندلس يقطعهم ضياعاً يقوم على زراعتها العبيد، ويستجيبون لدعوة سيدهم إذا دعاهم للحرب، فيقبلون مسرعين على رأس اتباعهم وعبيدهم، وتدرج الكثير منهم في مناصب الدولة، حتى وصولوا في فترة من الفترات وخاصة في عهد الخلافة إلى قمة السيطرة والنفوذ، فاغتنموا ذبول الدولة الأموية وتدهورها خاصة بعد وفاة الخليفة الناصر، وأصبحوا ذوو سلطة ونفوذ، هذا بدوره ظهر في المدة الأخيرة من حياة هذه الدولة في أثناء صراعهم مع البربر، يعدُّ سبباً من أسباب سقوط الدولة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢هـ. لين – بول: قصة العرب في إسبانيا، ص١٠٣-١٠٤.

(٤) مجهول: أخبار مجموعة، ص٨٣-٩٥؛ ابن عذارى: البيان المغرب،ج٢، ص٤٩-٥٦؛ ابن الخطيب: نفح الطيب، ج١، ص٣٣٣ ؛ ج٣، ص٣٦؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص٦٨٢.

إذ يذكر أنه كان يمتلك فرقة قوامها خمسة آلاف من الحرس ثلاثة ألف منهم من المماليك الذين كان يطلق عليه الخرس لعجمة ألسنتهم(١)، وفضلاً عن هذا العدد من الحرس، فقد كان للأمير الحكم ألف فرس على شاطئ النهر بإزاء القصر تجمعها داران، على كل دار عشرة عرفاء، وتحت يد كل عريف مائة فرس، والعرفاء يشرفون عليها وتعلف بين أيديهم، لتكون معدة وجاهزة للأمور الطارئة(٢)، ويذكر النويري(٣) أن الأمير الحكم الربضي هو أول من جند الجنود المرتزقة، وجند الأجناد في الأندلس.

وعلى نهجه سار من خلفه في الحكم في الاعتماد على الصقالبة فيذكر أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم قد اصطفى المماليك الصقالبة، واشترى أنصبة إخوانه من مماليك أبيه، وكانوا خمسة آلاف مملوك، ثلاثة آلاف فارس يرابطون إزاء باب القصر، فوق الرصيف، وألف رجل على أبواب القصر(٤)؛ بل والإكثار من استجلابهم وتدريبهم، حتى أصبح أكابرهم يعرفون بالخلفاء، أو الفتيان الأكابر(٥).

والأمر نفسه صار في مدة الخلافة، فعندما تُوفيّ الخليفة عبد الرحمن الناصر، كان لديه من المماليك الصقالبة في مدينة الزهراء ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسون رجلًا(٦)، وكان يكثر من استجلابهم وتجميعهم، وسار على نهجه ابنه الحكم المستنصر في الاستكثار منهم، وبعد وفاته زاد خطر هؤلاء فأصبحوا أكثر تجمعاً، والمسيطرون على القصر الخلافي وأصبح الملك بأيديهم، بل وصل بهم الأمر إلى إخفاء وفاة الخليفة الحكم المستنصر، ومحاولة نقل الحكم إلى المغيرة

---

(١) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٣٩؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٢١٩.

(٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص١١٧-١١٨.

(٣) نهاية الأرب، ج٢٣، ص٢١٩.

(٤) عنان دولة الإسلام في الأندلس، ص٢٧٧.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٥٩؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، مج٢، ص٦٣.

(٦) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، مج٢، ص٤١.

ابن الناصر أخي مولاهم الحكم؛ خوفاً من خروج السلطة من أيديهم(١).

إلا أن ذلك التسلط الذي أظهره الصقالبة، وقوة الاستحواذ على مرافق القصر، انتهى بعد أخذ البيعة للخليفة هشام المؤيد، وأُخرجوا من القصر، وتمكن الحاجب المنصور بن أبي عامر من كسبهم إلى جانبه، من إغداق الأموال عليه، فولى بعضهم قيادة الجيش الذي كان تحت إمرته(٢)، والنهج نفسه سار عليه أبنائه من بعده.

والصقالبة لم تقتصر مهامهم على إدارة القصر بقرطبة؛ بل كانت ترسل فرقة منهم مع العمال بعد تعيينهم، للقيام بالمهام العسكرية، وحماية المناطق من أي هجوم(٣).

خلاصة القول، أن الصقالبة كانوا من ضمن الجيش المرتزق الذي سعى حكّام بني أمية إلى تجميعهم وتدريبهم؛ لكي يكونوا لهم عوناً وسنداً في أثناء الأزمات، وهم أيضاً من ضمن العناصر التي كانت أحد الأسباب الرئيسة في سقوط الدولة الأموية؛ نتيجة الصراع على السلطة والنفوذ.

ج) **البربر**(٤): إلى جانب العرب والصقالبة الذين كانوا يمثلون عماد الجيش الأندلسي، حوى جيش الأندلس في عهد الأمويين أيضاً المرتزقة من البربر والذين كانوا يتميزون بالفروسية والقيادة؛ إذ بدأ استجلابهم والاعتماد عليهم من الأمير عبد الرحمن الداخل منذ الوهلة الأولى لقيام الدولة الأموية، ونتيجة عدم ثقته، وكثرة الثورات التي قامت ضده، وأيضاً امتثالاً لنصيحة

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٦٠.

(٢) المصدر نفسه والجزء، ص٢٦٣-٢٦٤.

(٣) ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٤٧.

(٤) هو اسم لقبائل كثيرة ليست من أصل عربي؛ تسكن على الشريط الساحلي للبحر الأبيض المتوسط، يمتد من الجزائر حتى يشرف على المحيط الأطلسي. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري: الطبقات الكبرى، تح: زياد محمد منصور، ط٢، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ، ص٢٥١.

مستشاره وعمه بشر بن عبد الملك بن مروان، في الاعتماد على البربر بدلاً من العرب ويكون ولاؤهم عادة للأمير فقط(١)، إذ يذكر أنه كان يزيد في طلبهم، ويحسن لمن وفد عليه إحسانًا رغبة من خلفه في المتابعة، حتى بلغ عدد جيشه منهم ومن العبيد أربعين ألف رجل واستطاع بهم أن يغلب كل من يعارضه في الأندلس من العرب، وبهم توطدت دولته(٢).

وعلى نهجه سار من خلفه في الحكم في الاعتماد على البربر واستجلابهم، فمثلاً كان الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ)، يبعث من رجاله إلى طنجة، لإقناع من يمكن إقناعه من البربر في الانخراط في جيش الإمارة(٣). إلا أن مشاركة البربر الكبيرة، وتعيينهم في معظم المناصب العسكرية المهمة، جعلهم يشكلون معظم الجيش الأندلسي، وفي عهد الخليفة هشام المؤيد، لا سيما في أثناء تسلط العامرين على مصدر القرار ورأس السلطة التنفيذية في هذه العصر، نجد المنصور بن أبي عامر يعمل على زيادة البربر في جيشه من استدعائهم من المغرب ومراسلة رؤسائهم وشجعان فرسانهم، فأتت إليه قبائل زناتة ومغراوة وصنهاجة وغيرها من قبائل البربر، وأغدق الأموال عليهم لكسب ولائهم، فقويت شوكته بهم، فقضى على كل من يعارض أهدافه وطموحاته(٤).

وعلى الرغم من الولاء الذي قدمه البرابرة لأسيادهم الأمويين وكذلك العامريين في أثناء تسلطهم على الحكم، فقد انتهجوا السياسة التي اتبعها المماليك الصقالبة في محاولة السيطرة على مصدر القرار، والتفرد في اعتلاء المناصب المهمة، وكذلك كانوا كغيرهم من العناصر المرتزقة،

---

(١) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٦٠.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج٣، ص٣٦-٣٧.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج٧، ص٧٣.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٧٤-٢٧٩؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، مج٢، ص٦٧-٦٨؛ ابن خلدون: العبر: ج٤، ص١٨٩؛ السلاوي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن خالد الناصري: الأستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، ج١، الدار البيضاء، تونس، ١٩٩٧م، ص٢٦٤.

السبب الرئيس في الفتنة التي أدت إلى سقوط الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢هـ(١).

٤-الوحدات العسكرية:

هناك عدد من الوحدات العسكرية التي شكلها الجيش الأموي في الأندلس، وتتمثل في الآتي:

أ) **الفرسان:** تعدُّ هذه الوحدة من أهم الوحدات مهارة وخبرة في المهام العسكرية، والقضاء على التمردات، وقد برز ذلك من الدور الذي تقوم به في بدء المعارك، وسرعة الانسحاب، والمطاردة والاستطلاع والحصار(٢)؛ فقد بلغ عدد المرابطين في قصر قرطبة في عهد الأمير الحكم بن هشام خمسة آلاف فارس(٣)، وعلى نهجه سار من خلفه في الحكم.

هذا عدا الفرسان الذين تُقدمهم الأجناد تلبية لنداء الحاكم للمشاركة في جيش الصائفة، وفي هذا الصدد يذكر ابن عذارى(٤) أن عدد المستنفرين من الفرسان في الصائفة المجردة لجليقية في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن لكل كور، من ":جيان ألف ومائتان؛ قبرة : ألف وثمانمائة؛ باغة تسعمائة؛ تاكرنا مائتان وتسعة وتسعون؛ الجزيرة: مائتان وتسعون؛ إسنجة: ألف ومائتان؛ قرمونة: مائة وخمسة وثمانون؛ شذونة: ستة ألف وسبعمائة وتسعون؛ ريه: ألف وستمائة؛ فحص البلوط: أربعمائة؛ مرور: ألف واربعمائة؛ تدمير: مائة وستة وخمسون؛ رينة: مائة وستة؛ قلعة رباح وأوربط: ثلاثمائة وسبعة وثمانون"، وهذا يؤكد العدد الكبير الذي كان

---

(١) بروكلمان: تاريخ الحضارة العربية في إسبانيا، ص٣٧.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٠٩؛ السروري، محمد عبده: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدول المستقلة من سنة (٤٢٩-٦٢٦هـ)، ط١، الأهرام، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٤٧٦.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٧٨-٢٧٩.

(٤) المصدر نفسه والجزء، ص١٠٩.

يشارك به فرق الفرسان في المعارك التي يخوضها الأمويون ضد النصارى.

والمظاهر نفسها وجدت في عهد الخلافة، فقد بلغ عدد فرسان المنصور بن أبي عامر، مما وجد مسجلًا في ديوانه من الغرباء(المرتزقة) ثلاثة آلاف فارس(١)، ويذكر ابن عذارى(٢) أن عدد الفرسان بحضرته ونواحيها، والذي خاض بهم الحروب، عشرة آلاف وخمسمائة، وأجناد الثغور قريباً من ذلك؛ في حين يذكر ابن الخطيب(٣) أن عدد الفرسان في إحدى صوائفه بلغ –بعد أن جمع لها – أربعين ألف فارس.

أما السلاح الذي كان يستخدمه الفرسان فيتمثل في السيوف الإفرنجية، والدروع، والتروس والقناة ولبس الجوشن الذي يغطي بها صدره، ووضع على الفرس تجفاف يحميه أثناء القتال، وكذلك الخوذ(٤).

ومن المهام التي كانت تسند إلى الفرسان القضاء على االتمردا؛ وذلك لما يمتلكونه من سرعة الوصول إلى مكان العصيان وسرعة القضاء عليه، وكذلك الخبرة التي يمتلكونها في إدارة المعارك وكيفية التخطيط لها(٥)، كذلك تُرسل فرقة منهم إلى مناطق الثغور ليكونوا عوناً للوالي في الدفاع عن الثغر والاحتماء بهم(٦)، وكذلك متابعة فلول(الفارين بعد هزيمتهم) في المعركة، في القرى، وتدمير الزروع، وتخريب عمائرهم في أثناء ذلك(٧).

ب) **المشاة(الرجالة):** تعدُّ من إحدى وحدات الجيش الذين يقاتلون وهم راجلون، ويشكلون معظم الجيش الأندلسي في الحملات العسكرية التي

---

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، مج ٢، ص٩٣،٩٦.

(٢) البيان المغرب، ج٢، ص٣٠١.

(٣) أعمال الأعلام، مج٢، ص٩٣.

(٤) العمري: مسالك الأبصار، ج٥، ص١٩٠؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٨٢.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٧٧.

(٦) ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٤٧.

(٧) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٦٤.

كانت تخرج للمهام المنوط بها، وكانت هذه الوحدة تتقدم الجيش في أثناء المعركة ومعهم دروعهم ورماحهم الطوال، سواءً أكانت لمواجهة النصارى أم للقضاء على تمرد في الداخل، فيذكر أن الأمير عبد الرحمن الداخل كان لديه أربعون ألف رجل معظمهم من المشاة غلب بهم أعداءه واستقرت مملكته(١)، وكان المشاة يشكلون أكبر وحدات الجيش الأندلسي سواءً أكانت في عهد الإمارة أم الخلافة، ويزداد أعداد هذه الوحدات بما ينضم إليها من المتطوعين في حملات الصوائف، فيذكر أن عدد الرجال المرابطين في الثغور من المشاة في عهد المنصور بن أبي عامر بلغ ستة وعشرين ألف مقاتل عدا ما ينضم إليه من المتطوعين(٢)، هذا خلاف ما يوجد في قرطبة العاصمة، وبقية كور الأندلس.

ج) **الرماة:** من الوحدات المهمة في الجيش الأموي، تلي وحدة المشاة في سير المعارك، وهم نوعان: الأول: رماة السهام، والرماح، والدبابيس والحجارة، واستخدمت مثل هذه الأسلحة في المعركة التي خاضها الجيش الأندلسي مع النصارى في أرون(٣) سنة ٢٠٠هـ بقيادة الوزير عبد الكريم بن مغيث(٤)؛ والآخر: يتمثل في القائمين على الأسلحة الثقيلة وهو جماعي كالمنجنيق الآلة التدميرية للحصون والقلاع التي لم تعلن خضوعها(٥)، وقد استفاد الأمويون من هذه الوحدة المتخصصة في فرض الحصار على المدن، والقلاع، والحصون وتدميرها، مثل الحملة الذي قادها عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث ضد الفرنجة في عهد الأمير هشام الرضا سنة ١٧٧هـ، فاستخدم المنجنيق في هدم الحصون وتدمير أسوار المدن، وحقق انتصارات ساحقة على الفرنجة(٦).

---

(١) المقري: نفح الطيب، ج٣، ص٣٧.

(٢) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص٦٨٨.

(٣) أرون: ناحية بالأندلس من أعمال باجة. ابن شمائل: مراصد الاطلاع، ج١، ص٦٢.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٧٥.

(٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، مج٢، ص٩٦.

(٦) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٦٣.

د) **الحشـــم**(١): مـــن ضـــمن الوحـــدات التياحواهـــا الجـــيش الأمـــوي، ويســـمى القـــائم علـــى هـــذه الفرقـــة باســـم النـــاظر فـــي الحشـــم(٢)، وأول مـــن اســـتكثر مـــنهم الأميـــر الحكـــم بـــن هشـــام(٣)، والـــذي كـــان يجعـــل مـــنهم أولـــى طلائـــع جيشـــه أثنـــاء قيامـــه للقضـــاء علـــى أي تمـــرد، كقضـــائه علـــى تمـــرد تطليلـــة حـــين خالفـــت عليـــه ســـنة ١٩٩هـــ، فـــأمر الحشـــم بالتقـــدم ودخلهـــا لـــيلاً مـــن دون أن يعلـــم أهلهـــا، وهـــذا مـــا يؤكـــد أن الحشـــم تمثـــل فرقـــة مـــن الجـــيش الأندلســـي ذات التـــدريب والمهـــارة الفائقـــة(٤)، فـــي القضـــاء علـــى التمـــردات الداخليـــة، ومثـــل حشـــد الأميـــر محمـــد ابـــن عبـــد الـــرحمن حشـــوداً مـــن الحشـــم والعـــدة للقضـــاء علـــى تمـــرد صـــاحب وشـــقة ســـنة ٢٥٦هـــ(٥)، وكـــان تمركـــز هـــذه الوحـــدة وإقامتهـــا فـــي قاعـــدة المدينـــة، ســـواء سواء كان في قرطبة أم غيرها(٦).

ومـــن المهـــام التـــي تُنـــاط بهـــذه الوحـــدة الحفـــاظ علـــى المدينـــة بعـــد الســـيطرة عليهـــا، ومحاصـــرة الحصـــون المتبقيـــة حتـــى إخضـــاعها(٧)، وكـــذلك الاقتحـــام، وحـــرب الشـــوارع وهـــذا النـــوع مـــن المهـــام قـــاموا بـــه فـــي مدينـــة بطليمـــوس ســـنة ٣١٧ هـ عندما غزاها الخليفة الناصر لمخالفة أهلها عليه(٨).

ولـــم تـــذكر المصـــادر الأعـــداد المشـــاركة فـــي تلـــك الحمـــلات؛ وإنمـــا اكتفـــت بكلمـــة حشـــود، أو ضـــروب مـــن الحشـــم؛ وهـــذا يـــدلُّ علـــى أن هـــذه الوحـــدة كانـــت تشـــارك بأعـــداد كبيـــرة، والتـــي تحقـــق انتصـــارات كبيـــرة فـــي عهـــدي الإمـــارة

---

(١) الحشم: تعني المماليك والأتباع، مماليك كانوا أم أحراراً. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٨، ص١٤٥.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٤.

(٣) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٣٩.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٧٤،٩٤.

(٥) ابن الخطيب: أعمال الاعلام، مج٢، ص٩٣.

(٦) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج٢، ص٦٥.

(٧) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٧٨-٢٧٩.

(٨) المصدر نفسه والجزء، ص١٩٩-٢٠٠.

والخلافة، سوى ما ذكره عنان(١) أن الخليفة الناصر عندما أرسل أسطولاً للاستيلاء على مدينة سبتة سنة ٣١٩ هـ، كان من ضمن عناصر هذا الأسطول ألفاً من الحشم.

هـ) **الطبالون:**

يمثلون إحدى وحدات الجيش الأندلسي، وهي من الفرق المتخصصة في رفع معنويات المقاتلين وإرهاب العدو، ولديها أبواق متعددة وزمر، تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص، وتكون صحبة الطلب في الحروب والأسفار، وهي من الآلات العامة لجميع الملوك(٢)، وتضرب عند تحرك الجيش، وفي أثناء بدء المعركة، تنفيذاً لأمر قيادة الجيش(٣)،كذلك يُرسل مجموعة منها، برفقة القيادات التي تعلن ولاءها لقرطبة، مثل توجيه الخليفة الحكم المستنصر سنة ٣٦٥هـ، جعفر ويحيى أبني علي بن حمدون قائدين إلى عدوة المغرب، وبين أيديهم الألوية والطبول، والتي بموجبها يتم الاعتراف بوجود الدولة في المناطق التي يسلمونها(٤)، أما فيما يخص العدد الذي كان تمثله هذه الوحدة، فيذكر أن أن عدد الطبالين في عهد المنصور بن أبي عامر بلغ مائة وثلاثين فارساً(٥).

٦- **الأسطول:**

لم تبرز عناية الحكّام الأمويين في الأندلس بالأسطول البحري إلا في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم، بعد تعرض البلاد لهجوم النورمانديين؛(أي: المجوس) البحريين سنة ٢٢٩هـ، فأمر ببناء دار الصناعة بإشبيلية، وأنشأ المراكب، واستمد برجال البحر من سواحل

---

(١) دولة الاسلام في الأندلس، ص٤٢٥.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٧-٨.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٥٠.

(٤) المصدر نفسه والجزء، ص٢٤٩.

(٥) المقري: نفح الطيب، ج٣، ص٣٧.

الأندلس، فألحقهم، وأغدق عليهم الأموال، فاستعد بالآلات والنفط لمواجهة أي هجوم بحري جديد، وتبين هذا الاستعداد والتطوير في البحرية الأندلسية في أيام الأمير محمد عندما قدم النورمانديون للمرة الثانية سنة ٢٤٤هـ، فتصدت لهم البحرية الأندلسية عند مدخل نهر إشبيلية في البحر فهزموهم، فحرقت لهم مراكب فانصرفوا مهزومين(١).

إلا أن ذلك لا يعني عدم اهتمام الحكّام الأمويين بحماية ثغورهم منذ قيام دولتهم في الأندلس، فيذكر أن الأمير عبد الرحمن الداخل اهتم بثغر الجزيرة الخضراء، واسند إدارتها إلى إحدى الشخصيات المتمرسة على القيادة والحروب يعرف بالرماحس(٢)، والذي اشتهر أفراد أسرته فيما بعد بقيادة الأسطول الأموي في الأندلس(٣)، واعتمد الأمويون أيضاً على اليمنيين القضاعين في الشئون البحرية، وأنزلوهم في المناطق الساحلية الشرقية، وعهدوا إليهم بحراستها، فسمي هذا الإقليم بـ(أرش اليمن؛ أي: أعطيتهم من الأرض)، وتعد بجانة أهم قاعدة لهم في هذا الثغر(٤).

استمرت عملية الاهتمام والتطوير بالبحرية الأندلسية، ولاسيما في عهد الخلافة، وذلك لما تمثله من خط الدفاع الأول لحماية دولتهم المحاطة بالبحر من كلِ الاتجاهات، ووزيادة خطر النورمان في الشمال، والفاطميين من الجنوب، ولاسيما في المناطق التي توجد فيها قواعد لقطع الأسطول أو دور للصناعة، مثل بجانة والمرية، وإشبيلية، والجزيرة الخضراء، ومالقة، وطرطوشة وغيرها من مناطق الثغور(٥).

لذلك نجد الخليفة الناصر(٣٠٠-٣٥٠هـ)، يعتني بتقوية الأسطول البحري وتجهيزه بكثير من المعدات الحربية والآلات، لاسيما أن الأندلس

---

(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج٢، ص٧٦-٨٢.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٥٦

(٣) العذري: نصوص عن الأندلس، مج٢، ص٨١.

(٤) الحميري: الروض المعطار، ص٣٧.

(٥) السيد عبد العزيز سالم، والعبادي، أحمد مختار: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩م، ص١٧٥.

تعرضت لاضطرابات كثيرة، واعتداءات متكررة قبل توليه الحكم، نتيجة التمردات الداخلية التي سبقت حكمه، فأنشأ للأسطول وحدات جديدة، وجعل مركزه الرئيس ثغر المرية الذي أخذ يبرز بوصفه مقرًّا رئيسًا للأسطول الأندلسي في عهد الخلافة، وأنشأ فيها دار الصناعة، فبلغ عدد قطع الأسطول في عهده مائتي سفينة مختلفة الأحجام(١)، في حين يذكر ابن الخطيب(٢) أن عدد الأسطول البحري في عهده بلغ ثلاثمائة قطعة، هذا عدا ما يوجد من مراكب في المناطق الأخرى.

واستمرت عملية الاهتمام بالأسطول البحري في عهد الخلافة؛ إذ يذكر أن عدد قطع الأسطول في عهد الخليفة الحكم المستنصر بلغ ستمائة جفن(٣) ما بين غزوي وغيره(٤). والأمر نفسه في مدة تسلط العامريين على الخلافة؛ إذ اعتنى المنصور بن أبي عامر بتقوية الأسطول الأندلسي، من أجل تثبيت الحكم الأموي في الأندلس، ويتبين ذلك من الحملات العسكرية التي كان يقودها بحرية وبرية في آن واحد، وتمثل ذلك في الحملة التي قادها إلى برشلونة سنة ٣٧٤هـ، بإشراك الأسطول البحري الذي كان يسير بمحاذاة الساحل، والذي وصل إلى المدينة وحاصرها قبل وصول المنصور(٥).

كل هذا الاهتمام الذي حظي به الأسطول الأندلسي من القائمين عليه، جعله قادراً على حماية الثغور الأندلسية، وكذلك الهجوم على مناطق العدو والسيطرة عليها سواءً أكانت ضد النصارى أم الفاطميين في بلاد المغرب، وهناك عدد من الأمثلة التي توضح ذلك أهمها توجه الأسطول الحربي المكون من ثلاثمائة مركب الذي قادة الأمير عبد الرحمن الأوسط

---

(١) العذري: نصوص عن الأندلس، مج٢، ص٨١؛ عنان: دولة الإسلام، ص٦٨٨.

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص٤٧٩.

(٣) السفينة الحربية. دوزى: تكملة المعاجم العربية، ج٢، ص٢٣١-٢٣٢.

(٤) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، مج٢، ص٤٢.

(٥) العذري: نصوص عن الأندلس، مج٢، ص٨٠.

سنة ٢٤٤هـ، ضد جزيرتي ميورقة ومنورقة(١) لنقضهم العهد، والإضرار بمن يمر من المسلمين، فانتصر المسلمون في هذه الحملة، وأصابوا سباياهم، وافتتحوا كثيراً من جزائرهم(٢)، وكذلك الغزوة التي قام بها قائد الأسطول البحري للخليفة الناصر، محمد الرماحس، وغالب بن عبد الرحمن إلى بلاد الفرنجة، والتي كانت تشمل ثلاثين مركباً وستة شواني، إلا أن هذه الغزوة تعرضت لعاصفة في البحر حالت دون تحقيق أهدافها، ومع ذلك نزل القائدان إلى ساحل منبسط، فغنما به ثم عادا إلى المرية(٣)، وهذا ما يؤكد وصول البحرية الأندلسية إلى درجة كبيرة من التطور، وتحقيق عديد من الانتصارات في الغزوات البحرية.

كما أن مهام الأسطول الأندلسي لم تقتصر على تأديب الخارجين عن الطاعة؛ بل كان يلبي نداء كل من يعترف بسلطة الأمويين خارج الأندلس، وهذا ما قام به الخليفة عبد الرحمن الناصر، بناء على طلب موسى بن أبي العافية لنصرته ضد الحسين بن عيسى بن أبي الجوشن الذي سيطر على جزيرة أرشقول(٤)، فأمر الخليفة أهل بجانة وغيرها من المناطق الساحلية بتجهيز المراكب بالسلاح، والعتاد، والمؤن والتي بلغ عددها خمسة عشر مركبًا؛ فحاصرت الجزيرة، وقتلوا كثيرًا ممن كانوا فيها، واستمر ذلك حتى كادوا يموتون عطشًا، حتى تداركهم الغيث، وهو الأمر الذي جعل الأسطول ينهي الحصار ويعود إلى الأندلس، فوصلوا إلى المرية في شهر رمضان سنة ٣٢٠هـ(٥).

---

(١) هي جزر عامرة تقع شرق الأندلس، مطلة على البحر المتوسط. الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢١٦؛ ابن شمائل: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ص١٣٤٦.

(٢) ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٤٤.

(٣) العذري: نصوص عن الأندلس، ص٨١.

(٤) مدينة في ساحل تلمسان من أرض المغرب. الحميري: الروض المعطار، ص٢٦.

(٥) البكري: المسلك والممالك، ج٢، ص٧٤٨.

وكذلك نجاحات الأسطول الأندلسي في السيطرة على ممر مضيق جبل طارق، ومدينة مليلة سنة ٣١٤هـ، وسبتة(١) وطنجة(٢) سنة ٣١٩هـ في بلاد المغرب في عهد الخليفة الناصر، وكان الهدف منها ردع التوسع الفاطمي في بلاد المغرب(٣).

خلاصة القول، برز اهتمام الأمويين بالقوة البحرية وأسطولهم منذ الوهلة الأولى لقيام دولتهم في الأندلس، إلا أن مدة التأسيس من المرحلة الأولى لقيام دولتهم تركزت على الاهتمام بالقوة البرية، مع الحفاظ على مناطق الثغور، وحراستها من أي عدوان، وفي أثناء تطور الدولة وتقدمها وكثرة مواردها ودخلها، ترافقاً مع تعرض ثغورهم لبعض الهجمات البحرية من النصارى، ألزمهم ذلك تطوير البحرية الأندلسية، فأصبحوا قوة تخشاها كل الدول المعاصرة لها آنذاك، وأصبح الأسطول يحوى كثيرًا من القطع البحرية.

---

(١) بلدة مشهورة من بلاد المغرب، وبها مرسى، وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البر والجزيرة. الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٨٢.

(٢) من مد المغرب المشهورة، تقع على ساحل البحر، قريبة من سبتة. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٤.

(٣) العبادي: دراسات، ص٢٧٦.

الفصل الثالث

مظاهر الحياة الاقتصادية

أولاً: الزراعة:

تعدُّ الزراعة من الموارد الرئيسة التي أولى الحكام الأمويون اهتمامهم بها منذ قيام دولتهم في الأندلس؛ لأنها كانت تمثل المورد الرئيس لخزانة الدولة ،لذلك أعادوا توزيع الأراضي ونظموا طرق الري، وحددوا نوعية الجبايات فيها، وهوالأمر الذي أدى إلى زيادة الإنتاج؛ ومردود ذلك على خزانة الدولة من الجبايات المتحصلة منها.

١-مقومات الزراعة:

هناك مجموعة من المقومات التي كان لها الدور الكبير في ازدهار الجانب الزراعي في الأندلس في ظل دولة الأمويين، تتمثل في الأرض الخصبة التي اشتهرت بها الأندلس، وهي أرض زراعية؛ إذ يذكر أن سميد الأندلس أطيب من غيرها من المناطق الإسلامية في المشرق، وأن الصحاري تكاد تكون معدومة لكثرة المياه الجارية فيها، والأنهار العذبة، وما يوجد فيها من أشجار وثمار ومنتجات، وما صاحب ذلك من رخص وسعة في جميعها(١)، وكان للتضاريس، والمناخ الملائم، والعامل البشري الدور الإيجابي في هذه النهضة الزراعية وتطورها في بلاد الأندلس(٢). وكما هو معروف فإن الزراعة وليدة التفاعل بين الظروف المناخية، الأمر الذي أدى إلى تنوع المحاصيل الزراعية، فكانت المحاصيل في المناطق الساحلية في الأندلس تزرع باستمرار نتيجة اعتدال الجو، في حين نجد في المناطق الجبلية الباردة تتأخر فيها المحاصيل الزراعية، وتزرع في أوقاتها المحددة(٣).

---

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، مج٢، ص٥؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ج٢، ص١٠٨؛ الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي: المسالك والممالك، دار صادر بيروت، ٢٠٠٤م، ص٣٥؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢٠٥.

(٢) مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ج١، ص١٨٢.

(٣) المقري: نفح الطيب، ج١، ص١٤٠.

بالإضافة إلى مياه الأمطار التي كانت تعدُّ أحد مقومات الزراعة في الأندلس، والتي منها تتغذى الأنهار، والعيون، ويختلف هطولها من جهة إلى أخرى باختلاف هبوب الرياح، ففي الجانب الغربي ما جرت أوديته إلى البحر والمحيط الغربي، يمطر بالرياح الغربية؛ والجانب الشرقي وتجري أوديته إلى الشرق في البحر المتوسط، وأمطاره بالرياح الشرقية(١).

وكذلك الأنهار والعيون الجارية، والوديان الخصبة التي كانت تحاط بها معظم مدن الأندلس، والتي كانت تعدّ من أهم مقومات الزراعة، وأهم هذه الأنهار: نهر تاجة، ونهر الوادي الكبير، ونهر الوادي اليانع، ونهر أبروا وغيرها، ومجملها كانت تجرى في عدد من المدن(٢).

ويضاف إلى ذلك تعلق المسلمين بالزراعة، فقد جلبوا إلى الأندلس أنواعاً من المزروعات والفواكه المشرقية كالموز والنخيل، والفستق، واللوز، وقصب السكر والخضار، حتى أصبحت الأندلس مع مرور الزمن بستانًا واحدًا متصلًا، كثير الثمار والزراعة(٣).

٢-نظم الري ومراحل الزراعة:

استفاد عرب الأندلس في نشاطهم الزراعي من القنوات التي بناها الرومان، لكنهم زادوا عليها وأصلحوا القديم منها وحسّنوا وشقّوا قنوات

---

(١) المقري: نفح الطيب، ج١، ص١٣١-١٣٢.

(٢) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر: البلدان، ط١، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، ص١٩٣؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٥٦؛ لين - بول: قصة العرب في اسبانيا، ص٣٧.

(٣) إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي، ص١٨؛ محمد منير مرسي: التربية الإسلامية وأصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتاب، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٢٧٥؛ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ط١، دار السلام القاهرة، ١٤٢٨هـ، ص٣٥٢.

جديدة، وأسهمت الأنهار والعيون(١)، والآبار الكثيرة في بلاد الأندلس في تنظيم عملية الري وتسهيلها، وضخ المياه إلى الأراضي الزراعية، بوساطة النواعير(٢)(السواقي)، كما استخدموا السدود التي أقامهاالمزارعون، والدولة لحجز مياه الأمطار(٣)، وكذلك استخدامهم للآبار في ري الأراضي الزراعية، بوساطة السواني(٤) والدواليب، ومثل هذا طبق في منطقة أرجونة التي تبعد عن قرطبة ثمانية عشر ميلاً(٥)، وكذلك في قرطبة نفسها وغيرها من مناطق الأندلس، كما وجد في منطقة مرسية التي تكثر فيها العيون والأنهار(٦)، وكانت النواعير تستخدم أيضاً لتوجيه مياه الأمطار إلى المزارع، ووجد مثل هذا النظام في منطقة أرجونة(٧)، لاسيما لاسيما أراضي زراعة الحبوب(٨)، وكذلك الجَدْوَلُ الذي يوزع مياه الأنهار على الأراضي الزراعية، نذكر منها جدول مرسية التي كان يقسمها جدولان لري أراضيها، الأول يسقي قبلي مرسية، والآخر يسقي

---

(١) فيذكر أن مدينة جيان كثيرة الأعين، وأن بها اثنتي عشرة عينًا، يستفاد منها في الشرب، وسقي المزارع والبساتين. المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، ج١، مطبعة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م، ص٢٢٤.

(٢) لمعرفة شكل هذه النواعير المستخدمة في عملية ري الأراضي الزراعية في الأندلس. ينظر ملحق رقم(٤).

(٣) العذري: نصوص عن الأندلس، مج٢، ص١؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٨٩؛ الحميري: الروض المعطار، ص١٢.

(٤) هي الإبل التي يستسقى عليها من الآبار وهي النواضح بأعيانها. الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام: غريب الحديث، تح: محمد عبد المعيد خان، ط١، ج١، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٦٤م، ص٧؛ وقيل إنها الإبل التي تمد الدلاء. البلخي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف: مفاتيح العلوم، تح: إبراهيم الإبياري، ط٣، ج١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠م، ص٩٥.

(٥) الميل وحدة لقياس المسافات، ويساوي عند الفقهاء القدماء ألف باع أو أربعة آلاف ذراع. شجاب: معجم المكاييل والموازين، ص٣٠٠.

(٦) االمقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج١، ص٢٢٣-٢٢٤.

(٧) مدينة في بلاد الأندلس بناحية جيان. الحموى: معجم البلدان، ج١، ص١٤٤.

(٨) المصدر نفسه والجزء، ص٢٣٣.

جوفي مرسية؛ ولا يسقى بنهر مرسية أي شيء إلا بوساطة هذه الجَدْوَلُ(١)، إذ يذكر أن هذا الجَدْوَلُ يسقي عشرة فراسخ(٢) وأكثر(٣).

وتجرى عملية توزيع مياه مجاري الأنهار على عدد من المناطق التي تمر بها، ويستفاد منها في عملية الزراعة، واستعماله في الحياة اليومية، وتحدد النواحي التي ترويها النواعير أو السواقي، وذلك مثل نهر شلون غربي مدينة سرقسطة، الذي يمر على مدينة سالم(٤)، ومدينة حريزة(٥)، حريزة(٥)، ومدينة قلعة أيوب(٦)، ويسقي مدينة رُوطه(٧)، والأمر نفسه نفسه في الوادي الكبير فهو في زمام إشبيلية يسمى نهر إشبيلية، والجزء الداخل من مجراه في حوز قرطبة يسمى نهر قرطبة، وفي حوز جيان يسمى نهر جيان(٨)، والأمر نفسه في النواعير المتصلة بنهر تدمير، والتي تسقى منه جنانها، وابتداء الساقية في أملاك أهل مدينة مرسية إلى

---

(١) الحميري: صفة جزيرة العرب، ص١٨٢-١٨٣.

(٢) الفرسخ الواحد يعادل ثلاثة أميال ويعادل ٤٨٢٨كم. شجاب: معجم وحدات المكاييل والمقاييس، ص١٩٣؛ أحمد عبد عبد العال كمال: الطريق إلى المدائن، ص١٤٤.

(٣) الحميري: صفة جزيرة العرب، ص١٧٢.

(٤) مدينة في الأندلس، تقع شرقي قرطبة. ابن شمائل: مراصد الاطلاع، ج٢، ص٥١٨.

(٥) من أعمال سرقسطة. العذري: نصوص عن الأندلس، ص٢٢.

(٦) مدينة عظيمة في منطقة الثغر، من أعمال سرقسطة. الحموى: معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٠.
ص٣٩٠.

(٧) العذري: نصوص عن الأندلس، ص٢٢. ورطه حصن من أعمال سرقسطة في الأندلس، وهو وهو حصين جدًا على وادي شلون. الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٧٩.

(٨) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين: التنبيه والاشراف، تح: عبد الله إسماعيل، ج١، دار دار الصاوي، القاهرة ،١٩٩٠م، ص٦٠؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص٩٥؛ المنجم: آكام المرجان، ج١، ص١٠٧؛ ابن الوردى، أبو جعفر سراج الدين عمر بن المظفر: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تح: أنور محمد، ط١، ج١، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٦١؛ الإدريسي، محمد بن محمد بن عبدالله: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، ج٢، عالم الكتاب، بيروت، ١٤٠٩هـ، ص٥٦٩.

حد قرية طوس وهي من قرى أريولة(١)، ثم يبتدئ أهل مدينة أريولة بإخراج ساقية من هذا الوادي من جهاتهم حتى تنتهي إلى الموضع المسمى بالقطرلات(اسم مكان في المدينة نفسها)، وطول هذه الساقية ومسافتها ثمانية وعشرون ميلاً، وينتهي السقي بالقبلة إلى ناحية يعرف بالمولدين، وإلى قرية تعرف بالجزيرة(٢)، كما كان يستعمل في طريقة السقي في الأماكن المرتفعة عن مجرى النهر عملية السدّاد، فكان إذا احتيج إلى السقي من الأنهار عُولج بالسدّاد حتى يرقى المجرى إلى الأعلى فيسقى به، واستعمل مثل هذا النظام في منطقة لورقة(٣).

كل هذا يؤكد أن عملية الري في الأندلس كانت تسير بانتظام، وباتفاق فيما بين المزارعين في عملية السقي، وتبادل الأدوار في استخدام السواقي، وكذلك في عملية إصلاحها؛ وكان هذا النظام يشمل كل مناطق الأندلس، ويسير ذلك بإشراف الدولة(٤).

أما عن كيفية العناية بالأرض والاهتمام بها من المزارعين قبل إنتاج المحصول، فكانت تتم أولاً بتعديل الأرض قبل الغراسة، وتسوى ويؤخذ التراب من المكان المرتفع ويجعل في المنخفض حتى يستوى جري الماء عليها، ويستوفي كل موضع منها من الماء في أثناء عملية السقي(٥)، يليها عملية التزبيل أو التدمين(٦) (أي: تزبيل الأرض قبل حرثها) ثم

---

(١) مدينة قديمة في بلاد الأندلس، كانت قاعدة للعجم وموضع مملكتهم. العذري: نصوص عن الأندلس، ص١٠.

(٢) العذري: نصوص عن الأندلس، ص١.

(٣) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٧٢.

(٤) المصدر نفسه، ص١٨١.

(٥) بيكروسا، خوسي ماريا مياس: علم الفلاحة عند المؤلفين العرب بالأندلس، تح: عبد اللطيف الخطيب، منشورات أهل الحديث، معهد مولاي الحسين، تطوان، ١٩٥٧م، ص٣٨.

(٦) ويسمى السرقين، وينقسم إلى سبعة أنواع: زبل الخيل، والبغال، والحمير، ثم زبل الآدمي، ثم الزبل المضاف وهو المؤلف من الكناسات وغيرها، ثم زبل الغنم، وزبل الحمام، ثم رماد الحمامات، ثم المولد وهو زبل يتخذ عند عدم وجود هذه الزبول من الحشيش والتراب؛ ومن السرقين مالا=

تجري عملية القلب(١) والبذر(٢)، وكانت عملية القلب يشرع فيها من نصف شهر يناير وفبراير إلى النصف من مارس أو أوله، ثم يرجع على حرث ما حرث ويلينه وعمله عملاً جيداً إلى نصف إأبريل أو إلى قريب من مايو، ثم تترك حتى شهر يونيو، فتحرث ويكون هذا الحرث الرابع والأخير لاسيما بعد هطول الغيث، ثم تبذر البذور(٣).

في حين نجد المدة التي يستغرقها المحصول ما بين البذر ووقت الحصاد، في ما ذكره الإدريسي(٤) أن الحنطة تزرع في فحص بلاطة(٥) فتقيم في الأرض أربعين يوماً فتحصد، وأن الكيل الواحد منها يعطى مائة كيل وربما زاد أو نقص، وهذا دليل على أن المدة التي تستغرقها الزروع حتى الحصاد، كانت ما بين الشهر والنصف الشهر يزيد قليل أو ينقص، لاسيما في المناطق المعتدلة البرودة.

٣-ملكية الأرض:

تعددت نوعية ملكية الأرض في الأندلس في عهد الأمويين؛ وذلك ما بين أراضي الدولة التي كانت تسيطر على أهم الوديان وأخصبها التي كانت ملك للكنائس، وكبار النبلاء فصودرت بعد الفتح(٦)، وأراضي الأمراء والخلفاء التي ورثوها عن آبائهم والتي كانت تعرف الجباية منها بالمستخلص، وكذلك أراضي العرب الفاتحين التي حصلوا عليها بعد الفتح، وورثوها ومن بعدهم أبنائهم وأحفادهم، وإعطائهم تمليكًا بذلك؛ بالإضافة إلى أراضي النصارى الذين وافقوا على البقاء في ظل الدولة

=يستعمل وهو للنبات كالسم مثل زبل طير الماء والخنازير، فالقليل من هذا الزبل يهلك كثيرًا من العشب. بييكروسا: علم الفلاحة، ص٣٣.

(١) أيّ إن تحرث الأرض ويرد أعلاها أسفلها، مرة بعد مرة. بييكروسا: علم الفلاحة، ص٣٩.

(٢) العذري: نصوص عن الأندلس، ص٨؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص٢٢.

(٣) بييكروسا: علم الفلاحة، ص٣٩.

(٤) نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٤٩.

(٥) موضع قريب من قرطبة يقال له فحص بلاطة. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٤٠.

(٦) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص٦٨٩؛ لين – بول: قصة العرب، ص٤٠-٤٣.

الإسلامية على أن يدفعوا الجزية، ويؤدون خراجاً على ما تحت أيديهم من أراضي زراعية أيَّ إن التمليك كان للخاصة والعامة(١)، وكذلك أراضي الوقف التي يذهب خراجها إلى بيت مال المسلمين(٢).

٤-نظام المناصفة:

اعتمد المسلمون في زراعة الأراضي، على العبيد الصقالبة(٣) يمشون في ناكبها ويرتعون في أكنافها، والمسلمون معهم على أملاكهم وضياعهم، قد حسنوا السيرة في استعمالهم واصطناعهم، وضربوا عليهم إتاوة في فصلين من العام يؤدونها(٤)، وكانوا يرفقون بهم، ويربونهم كما يربي التاجر تجارته(٥)، فكانت لهم خبرة بالجانب الزراعي(ويسمون صغار المزارعين)(٦)، فيزرعون الأرض كما يشاؤون على أن يؤدوا إليهم نصيباً من الغلة، ما بين الثلث، وأربعة الأخماس عرفت بالمناصفة(٧)، ويقصد بها الربع أو السدس(٨)، وكانت الزروع إما بخوس حسنة الربح كثيرة الدخل، أو إسقاء على غاية الكمال وحسن الحال(٩).

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ج١، ص١٠٨؛ ليفي بروفنسال: الحضارة العربية في إسبانيا، ص٥٥.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٠.

(٣) بعد الفتح الإسلامي للأندلس، وفرار ملاك الأرض من القوط إلى الشمال الإسباني، فرح العبيد بهذا الأمر؛ لأنه حررهم من الاضطهاد الذي عانوه من اسيادهم أثناء حكم القوط، وفتح المجال أمامهم أن يصبحوا صغار الزراع، نتيجة اشتغالهم في الزراعة نيابة عن سادتهم العرب.

(٤) ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني: رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د. د. ن، ص٢٩٧.

(٥) الطرطوشي: سراج الملوك، ص١٢٣.

(٦) أصبح العبيد في الأندلس الذين يزرعون الأرض بعد إسلامهم، بمنزلة صغار الزراع. لين – بول: قصة العرب في اسبانيا، ص٤٢.

(٧) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج٢، ص٥٩؛ لين – بول: قصة العرب في إسبانيا، ص٤٢.

(٨) االتُّسُولي، أبو الحسن علي بن عبد السلام: البهجة في شرح التحفة ((شرح تحفة الحكام))، تح: محمد عبد القادر، ط١، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ص٣٣٤.

(٩) ابن حوقل: صورة الأرض، ج١، ص١١٤.

٥-كيفية جباية الضرائب ونوعها:

تجرى عملية الجباية في كور الأندلس في ظل دولة الأمويين بوساطة موظف يسمى الأمين خاص بكل منطقة، يؤدي جباية الضرائب المختلفة في الكورة، ويقوم أيضًا بالرفق بالزراع ومجانبة الخرق في أثناء عملية الجباية، وباستنزال نفقات الموظفين والأعمال العامة، ورواتب الجند، وإرسال الباقي الذي كان يسمى (الفائض) أو (المستفاض) إلى الإدارة العامة بقرطبة، وكان يتبع الأمين عدد كبير من الجباة، والحسّاب، والمشرفين(١)، واستمر الأمر كذلك إلى أن ألغى المنصور بن أبي عامر نظام الإقطاع، فرد عطايا الجند مشاهرة، وأخذ الأموال مباشرة من الكور والأقاليم، وقدم الجباة يجبونها من قرطبة، واستمر العمل بهذا النظام إلى سقوط دولة الأمويين في الأندلس(٢).

وكانت ضريبة الأرض تتفاوت على حسب قدر إنتاجها وغلتها، وكانت تفرض بالمساواة على المسلمين والنصارى، واليهود جميعاً(٣)، وأول من نظم الضرائب من الحكام الأمويين الأمير عبد الرحمن الداخل وفرضها على الجميع بالعدل والمساواة عندما بدأ بتنظيم دولته(٤).

وكان من أغراض التقسيم الإداري الذي أقامه العرب في الأندلس بعد الفتح(٥)، ضبط الضرائب في الكورة والأقاليم، فكان الإقليم يضم عدداً من القرى، فالبعض منها تدفع العشور لاسيما التي تزرع الحبوب، وأخرى كانت تدفع جبايات والتي اختصت بزراعة الفواكه، والزيتون والغابات وغيرها، ويتبين ذلك مما ذكر من نوعية الجباية نقداً أو عيناً

---

(١) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٢٤١. والمشرف: هو موظف يوكل إليه شؤون المال في الناحية الموجود فيها. مؤنس: فجر الأندلس، ص٤٩٣.

(٢) الطرطوشي: سراج الملوك، ص١٢٣.

(٣) البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٩١٠.

(٤) عنان: دولة الإسلام، ص٨٥.

(٥) لمزيد من المعلومات ينظر الفصل الأول، ص٢٩-٣١.

التي أخذت من أقاليم قرطبة في عهد الأمير الحكم بن هشام والتي كان عددها خمسة عشر إقليمًا وكل واحد منها يشمل كثيرً من القرى؛ إذ بلغت الجباية منها في العام الواحد من ناضّ الحشر(١)، وناضّ البيزرة(٢)، وناضّ الطبل مائة وعشرين ألف دينار، ومن وظيفة القمح مدًا(٣) أربعة آلاف وستمائة وسبعة وأربعين، ومن الشعير سبعة وأربعين ألف مد(٤)؛ وكذلك الجباية من إشبيلية وأقاليمها الحادي عشر، بلغ خمسة وثلاثين ألف دينار ومائة دينار(٥)، وهذا يوضح أن المناطق الريفية اختصت بزراعة الحبوب أكثر من المناطق المتحضرة.

وكذلك ما ذكر عن نوعية الجباية في كورة إلبيرة في أيام الأمير الحكم وابنه عبد الرحمن الأوسط، اجتبى بالوازنة مائة ألف وتسعة آلاف وستمائة دينار وثلاثة دنانير. وألف رطل حريرًا، وألفُ رطلٍ عصفرًا، ومن غلة المعادن اثنان وأربعون ألفًا، ومن غلة أرحية ألف دينار وألف قسط ومائتا قسط زيتًا(٦).

٦-أهم المحاصيل الزراعية:

اشتهرت الأندلس بوجود أنواع مختلفة من الثمار نتيجة لخصوبة الأرض، وكثرة الأنهار المحاطة بالمدن والوديان، وأشهرها زراعة الحبوب

---

(١) الحشر: يعني الحماط، وتين الذرة. الشيباني، أبو عمر إسحاق بن مرارة: الجيم، تح: إبراهيم الأبياري، ج١، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٤م، ص١.

(٢) البيزرة: علم يبحث فيه عن أحوال الجوارح، ومعرفة العلامة الدالة على قوتها في الصيد، وقد أخذ اسمه من البازي لشهرته في الصيد وخفته. إبراهيم مصطفى، وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة، بيروت، ١٩٩٠م، ص٥٤.

(٣) المد: مكيال للمواد الجافة كالحبوبِ، وهو حفنة بكفين معتدلين. شجاب، محمد سالم: معجم وحدات المقاييس والمكائيل العالمية، ط١، دار الكتب اليمنية، صنعاء، ٢٠١٠م، ص٢٧٢.

(٤) البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٩٠٢؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص١٢٤.

(٥) البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٩٠٥.

(٦) العذري: نصوص عن الأندلس، ص٩٣.

والقمح، والذرة، والشعير التي أغنت الأندلس بكثرة إنتاجها(١)؛ لذلك كانت تخزن تحت الأرض، فتظلّ عشرات السنين من دون أن تفسد وربما يعود ذلك إلى الجو البارد الذي تميزت به الأندلس(٢)، وكذلك الأرز(٣) الذي كان يملأ وديانها، سواءً أكان في قرطبة وأقاليمها أم في الكورة الأخرى التي اشتهرت بأوديتها الكبيرة، كإشبيلية، وجيان وغيرها من كورة الأندلس(٤)؛ إذ يذكر أن حبوب لورقة تظل في مطاميرها تحت الأرض عشرين عاماً لا يتغير(٥).

وقد وجدت أنواع أخرى من المنتجات الزراعة الذي اشتهرت بها الأندلس وكانت تعود بمردود كبير لخزانة الدولة، كزراعة الزيتون التي تعد من أهم المحصولات الزراعية في الأندلس؛ وذلك لزيادة الطلب عليها من خارج الأندلس، ويذكر أن زيتها يبقى أعواماً لا يتغير طعمه، ولا يؤثر فيه نكث، ويعدُّ زيتون جبل الشرف في كورة إشبيلية من أشهر الزيتون في الأندلس القائم في اخضراره، المبارك عند اعتصاره(٦).

---

(١) يذكر أن الحنطة في تدمير تبقى تحت الأرض خمسين عاماً فأكثر لا يتغير. العذري: نصوص عن الأندلس، مج٢، ص٢.

(٢) المقرى: نفح الطيب، ج١، ص٢٠٦.

(٣) اشتهرت مدينة بلنسية بزراعته، وينجب فيها ومنها يحمل إلى كل مناطق الأندلس. العذري: نصوص عن الأندلس، مج٢، ص١٧.

(٤) العذري: نصوص عن الأندلس، مج٢، ص١٢٥-١٢٧؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٦٩.

(٥) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٧٢.

(٦) العذري: نصوص عن الأندلس، مج٢، ص٩٥.

وكذلك زراعة العصفر(١)، التي اشتهرت بها مدينة لبة(٢)، ومن المنتجات التي اشتهرت بها الأندلس، زراعة قصب السكر الذي كان ينمو في المناطق الساحلية(٣).

والأمر نفسه في زراعة الفواكه والخضار فقد وجدت أنواع مختلفة؛ منها: التين(٤)، والعنب، والرمان، والسفرجل، والخوخ، والأترج، والتفاح(٥)، والجوز، والمقل، والبطيخ، والقثاء، والخيار، وأنواع البقول جميعًا: كالباذنجان، واليقطين، والسلجم، والجزر وغيرها، ومن المشمومات والرياحين العطرة، وكانت البقول لا تكاد تنقطع طوال العام(٦)؛ إذ يذكر أن الفواكه بأشكالها جميعًا باستثناء التين، كانت تنبت من غير غراسة ولا اعتمال(٧)، وكذلك زراعة التمر في الأندلس فقد كانت مدينة سرقسطة أطيب البلدان بقعة وأكثرها تمرًا(٨).

كما عرفت الأندلس زراعة بعض النباتات الطبيعية، مثل: الزعفران والورود، ويذكر أن مدينة باغة اشتهرت بزراعتها، وتحمل منها إلى بلدان

---

(١) نبات سلافية الجريال، بمعنى شجر التوت، ويستخرج منه صبغ أصفر، ويستخدم زهره تابلاً في الطعام. الحميدي، أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، ج٢، عالم الكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص١٥٠٩.

(٢) العذري: نصوص عن الأندلس، مج٢، ص١١.

(٣) المصدر نفسه والمجلد، ص٩٦.

(٤) أجود أنواع زراعة التين كان في مدينة مالقة، والذي كان يُصدر عن طريق مدينة رية إلى مصر والشام. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٦٥.

(٥) يذكر أن هناك نوعًا من التفاح في بلاد الأندلس يعرف بالأطرابلسي جليل حسن الطعم والرائحة. الأصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي: المسالك والممالك، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د.ن، ص٣٥.

(٦) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص٨٧؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود: آثار العباد وأخبار وأخبار البلاد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٠م، ص٥٠٣؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢٠٠.

(٧) العذري: نصوص عن الأندلس، ص٢٢.

(٨) الحميري: الروض المعطار، ص٢٣.

أخرى(١)، وفي منطقة شقورة من أعمال جيان ينبت الورد الذكي العطر(٢)، كذلك توجد في الأندلس شجرة ولاسيما في مناطق إشبيلية، ولبة ولبة وشذونة وبلنسية، و تفردت به الأندلس دون غيرها من البلاد الإسلامية، وتستعمل في صبغ الإبرسيم والصوف وغيرها(٣).

٧-الآفات الزراعية:

تعرضت الزراعة في الأندلس لأنواع مختلفة من الآفات الزراعية في عهد الأمويين تتمثل في: السيول، والجراد(٤)، والزلازل، والحرائق والقحط التي تتعرض لها المزارع، وكذلك الحروب ضد المتمردين على الدولة، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك، أهمها: السيل العظيم الذي كان في سنة ٢٣٥هـ بوادي شيل من كورة إشبيلية، وخرب قوسين من وادي حنايا قنطرة إستجة، وخرب الأسداد والأرحاء(٥)، وحمل وادي تاجة، وذهب بتسعة عشر قرية من قرى إشبيلية على النهر الأعظم، وثمان عشرة قرية من وادي تاجة، وهذا كان يعطل عملية الزراعة، ويؤدي إلى هجرة المزارعين إلى مناطق أخرى، يكلف المزارعين مبالغ ضخمة في إصلاح ما خربته السيول، وفقدانهم محصول عام بأكمله(٦)، ومن هذه الآفات الجراد؛ إذ

---

(١) الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١١٩؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص١٩٩.

(٢) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٠٥.

(٣) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني: التبصرة في التجارة في وصف ما يستطرف في في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلام النفيسة والجواهر الثمينة، ط٣، ج١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٢٤؛ البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٨٩٧.

(٤) يذكر أن جراد الأندلس يختلف عن غيره من المناطق الإسلامية، لا يؤكل لأنه ضرر، وفيه سمّيّة تخصه دون غيره من البلاد الأخرى. المركفوري، أبو العلاء محمد بن عبد الرحمن: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ط١، ج٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ص٤٤٥.

(٥) الارحاء: قطع من الأرض. ابن سيده، أبو الحسن علي ابن إسماعيل: المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، ط١، ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٤٤٠.

(٦) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٨ ٩؛ ابن حيان: المقتبس، ج١، ١٤٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٢٦.

يذكر ابن حيان(١) أن الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط سنة ٢٠٧هـ حلت بها مجاعة شديدة بسبب انتشار الجراد ولحسه الغلات وترده بالجهات، ونالت الناس مجاعة عظيمة. والأمر نفسه حدث في سنة ٢٣٢هـ، في أثناء تعرض الأندلس لقحط شديد فهلكت المواشي، واحترقت الكروم، وكثر الجراد(٢).

ما يخص الحروب، فقد كانت تؤثر سلباً في الزراعة والمزارعين سواءً تمثل ذلك بهجمات النصارى من الشمال أم التمردات الداخلية، مثل الحملة العسكرية التي قادها الأمير المنذر بن عبد الرحمن في عهد والده سنة ٢٦٤هـ على مدينة بنبلونة، فخرب كثيراً من حصونها، وأذهب زروعها، وهاجر عنها المزارعون(٣)، وبذلك كانت هذه الأعمال تحد من العمل الزراعي، وكذلك المحصول الذي يقل من مردود كمية الدخل بالنسبة إلى المزارع والدولة.

والأمر نفسه في مدة ضعف الدولة الأموية، وعدم قدرة القائمين عليها على توفير الأمن لرعايا الدولة؛ إذ يذكر أن المدة التي تولى فيها الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ)، كثرت فيها التمردات، وعجز الأمير عن فرض سيطرته على قرطبة وحدها، كذلك كثرت زعامات عصابات اللصوص والمجرمين، التي كانت تشكل خطراً على العمل الزراعي في كور الأندلس جميعًا، فأتلفت الزروع والكروم، وتركت الأراضي وراءها قفراً يبابًا(٤)، وهذا يؤكد أن الأمن يعد إحدى ركائز التطور الزراعي والاقتصادي، وبه تستقر أمور البلاد وتزداد مواردها وتقدمها، وذلك مثل الاستقرار التي حظيت به الأندلس في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، والمردود الكبير الذي عاد إلى خزانة الدولة.

---

(١) المقتبس، ج١، ص٢٢٥.

(٢) ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٤٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣٥٦.

(٤) لين – بول: قصة العرب في إسبانيا، ص١٠٠.

٨-دور الدولة في تشجيع المزارعين:

لقد وجه حكّام بني أمية اهتمامهم إلى الجانب االزراع؛ لكونه الركيزة الأساسية في رفد خزانة الدولة بكثير من الأموال مقارنةً بغيرها من الموارد الأخرى، فحوت بساتين الأمويين ونوابهم في الأندلس عديدًا من أنواع الثمار، منها: الموز وقصب السكر وأنواع مختلفة منها(١)، ويتبين هذا الاهتمام من استجلاب أعدادٍ كبيرة من أنواع الزروع، التي لم تعرف في الأندلس من المشرق، فيذكر أن الأمير عبد الرحمن الداخل كان يستجلب غرائب الغرس، وأكارم الشجر من كل ناحية، مما أتت به الرسل من الشام، فأصبحت أشجار مثمرة أثمرت بغرائب الفواكه، وعلى النهج نفسه سار من خلفه في الحكم في الاهتمام بالزراعة، واستجلاب الغرائب من زروعها من خارج الأندلس(٢)، بالإضافة إلى البحث عن الكتب واستجلابها، لاسيما التي تتحدث عن النباتات، والاستفادة منها، كطلب الخليفة عبد الرحمن الناصر من الإمبراطور البيزنطي كونسانتان السابع بأن يبعث إليه بالمؤلف الشهير في النباتات الطبيعية لصاحبه ديوسكوريدس، والذي وصل إلى قرطبة، وتُرجم إلى العربية(٣).

وكذلك اهتمام الدولة بالجانب االزراعي؛ بوصفه أهم الموارد التي ترفد خزانة الدولة بكثير من الأموال، فقاموا بتحسين أحوال الرعية، وأسقطوا عنهم بعض الضرائب، وتهيئ الظروف الملائمة لزيادة استغلال الأرض وزيادة الإنتاج(٤).

بالإضافة إلى قيام حكّام بني أمية بشق الأنهار، وبناء السدود، والقناطر، والنواعير، التي من شأنها الإسهام في تطوير الزراعة، وتسهيل

---

(١) العذري: نصوص عن الأندلس، مج٢، ص٧٢، ٥٥.

(٢) العمري: مسالك الأبصار، ج٢٤، ص٤٥٦، ٤٦٧.

(٣) بيبكروسا: علم الفلاحة، ص١٤.

(٤) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، مج٢، ص٢٦؛ السامرائي: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص١٧٩.

حركة المزارعين، فيذكر العمري(١) أن الأمير عبد الرحمن الأوسط كان يشق الأنهار ويغرس الأشجار، وكذلك ما قام به الخليفة عبد الرحمن الناصر من بناء الناعورة المحكمة في قرطبة التي ضرب بها المثل، وتغنى بها الشعراء، فأفرد نهمان عبدالله بن يحيى في ذلك عددًا من الأبيات الشعرية قال فيها:

تبوا بين الحزن والسهل منزلي...فأفيح فضفاض البساط على النهري
تصعد في ساحة الخضر ماؤه ... صعد أنفاس المتيّم بالذكري
ترقى بها في الجو ثم تعيده ... إلى مستقر الأرض ناعورة تجري
تردد تغريدة الطيور وتارة ... ترجع ترجيع الأهازيج في الزمري.

من هذه الأبيات نرى شاهدًا على مدى التطور والاهتمام الذي أحدثه الأمويون في عملية الري، وكيفية الإتقان التي وصلت إليها الأندلس في عملية نقل المياه من مكان لآخر، وهذا يعكس تطور الجانب الزراعي، وزيادة الإنتاج، وهو ما يفيد في زيادة الجبايات التي تذهب إلى خزانة الدولة من الجانب الزراعي.

(١) مسالك الأبصار، ج٢٤، ص٤٦٧.

ثانيا: الصناعة:

تعدُّ الصناعة أحد موارد الدولة المهمة، والتي كانت ترفد خزينة الدولة بكثير من الأموال، لاسيما وأن الأندلس كانت تتوفر فيها كثير من المواد الخام، وكذلك توافر الأيدي العاملة، لذلك حرص الحكّام الأمويون على الاستفادة من هذا المورد والعناية بالقائمين عليه.

١-مقومات الصناعة:

كان لتوافر مواد الخام(١) وتعددها في بلاد الأندلس بأنواعها من خامات معدنية، وزراعية، وثروة حيوانية؛ عامل أساسي في تعدد أنواع الصناعات في ظل دولة الأمويين في الأندلس، وكانت هذه الخامات تستخرج من عديد من مناطق الأندلس في الشمال والجنوب، فكان النحاس والفضة تستخرج من الشمال وخاصة من تدمير(٢)، وكذلك من قرطبة، وكان الزئبق يستخرج من جبال البرنس، والقصدير من جهة أكشونبة، والبلور من منطقة لورقة، والرخام من جبل قرطبة وباجة وغيرها، كما كان يوجد فيها غابات خشبية، كل هذا كان له أثر إيجابي في تقدم الجانب الصناعي وتطوره في الأندلس(٣). يترافق مع ذلك توافر الأيدي العاملة التي كان لها الدور الكبير في اشتهار المصنوعات الأندلسية، وقد وجد عديد من الحرفيين ذوي الخبرة في الصناعات المختلفة، فيذكر أن في مدينة المرية وحدها ثمان مائة طرّاز يعملون في صنع الحلي

---

(١) المواد الخام: هي المواد الأولية التي تشكلها الصناعة، وقد تكون هذه المواد من أصل زراعي مثل القطن وقصب السكر، وقد تكون من أصل حيواني، مثل الجلود واللحوم، أو من أصل معدني كالذهب والفضة والنحاس والحديد. محمد محمود محمدين، وطه عثمان الفراء: المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، ط٤، دار المريخ، بيروت، ١٩٩٦م، ص٤٠٤.

(٢) يذكر أنه كان يستخرج من سواحلها في اليوم الواحد ثلاثون رطلاً من مُنبت وفيه معادن الرصاص. العذري: نصوص عن الأندلس، ص٢.

(٣) ابن الفقيه: البلدان، ج١، ص١٣٨؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص٦٨٩-٦٩٠.

(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٦٢.

وهذا يدلُّ على توافر الأيدي العاملة ذات الخبرة في الصناعات المحلية المختلفة.

وكذلك قيام الحكّام الأمويين باستقدام اعدادٍ كبيرة من الصناع الأجانب(البيزنطيين)، لاسيما في الأعمال الزخرفية في أثناء بناء المساجد والقصور والمدن(١)، وهذا كان يفيد الصناع المحليين في اكتساب خبرات جديدة بالإضافة إلى ما لديهم من خبرات سابقة، وذلك مثل قيام الخليفة الحكم المستنصر الذي رتب جماعة من المماليك للعمل مع صانع الفسيفساء الذي استقدمه من الروم في أثناء الزيادة في محراب الجامع بقرطبة، وذلك لتعليم الصناعة، فوضعوا أيديهم على الفسيفساء المجلوبة، وصاروا يعملون معه، فابدعوا في هذه الصناعة، واستغني عن الصانع الذي قدم من الروم(٢).

ومن ضمن المقومات الصناعية أيضاً توافر الأسواق التي عن طريقها يتم تُصرف المصنوعات الأندلسية، وهذا ما عني به حكًام بني أمية فقد وجدت عديد من الأسواق في مدن الأندلس، ولاسيما قرطبة وإشبيلية والمرية والتي استحدث بأسواقها المتخصصة، مثل: سوق العطارين، وسوق الحدادين، وسوق الوراقين لتصريف المنتجات الصناعية(٣)، وكذلك الأسواق التي اختطها الخليفة عبد الرحمن الناصر في أثناء بنائه مدينة الزهراء(٤)؛ إذ يذكر ابن الخطيب(٥) أنه في عهد الخليفة الناصر كانت مدينة الزهراء تشمل على آلاف من الخلق قد اتخذت فيها المرافق، ولو تتبعنا أصنافهم وما كانوا يحاولونه من صناعاتهم وينافسون بها المشرق في بضائعهم، ومقدار جراياتهم ونفقاتهم. وكانت تحدد مواعيد

---

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، مج٢، ص٣٨-٤٣.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٧-٢٣٨.

(٣) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٤١، ٥٦١؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ج١، ص١١٦.

(٤) ابن حوقل: صورة الأرض، ج١، ص١١١.

(٥) أعمال الأعلام، مج٢، ص٤١.

خاصة بالأسواق الجامعة في كل مناطق الأندلس، تقام كل خميس من كل أسبوع، مثل الأسواق الجامعة في مدينة جيان وقبرة التي كانت تقام كل خميس من كل أسبوع(١).

كذلك تسهيل عملية نقل البضائع إلى خارج الأندلس عن طريق المراسي التي أصلحها وأمَّنها الأمويون عن طريق المرية أو بجان، أو إشبيلية أو غيرها من مراسي الأندلس، كان له الأثر الكبير في تطور الصناعة، لاسيما عند ازدياد الطلب عليها من الخارج(٢).

وعلاوة على ذلك فقد اهتم الحكّام الأمويين ببناء أماكن خاصة بالصناعات عرفت بدور الصناعة، ويتمثل هذا الاهتمام في بناء المصانع؛ إذ يذكر أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم أمر بإنشاء دار صناعة في إشبيلية لإنشاء المراكب بعد تعرضها للهجوم من النصارى(٣)، وكذلك الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي قام جدّد دار الصناعة القديم في المرية وقسمه على قسمين، الأول: للمراكب الحربية والآت العدة؛ والآخر: فيه القيسارية(الأسواق) قد رتبت كل صناعة منها بحسب الشكل، وأمَّن التجار بأموالهم، وقصدوا إليها الناس من أقطارهم(٤)، ودار الصناعة الذي أقامه الخليفة الناصر في مدينة الزهراء لصناعة الآلات من السلاح الحربي، والحلي للزينة وغيرها من المهن(٥). المهن(٥). بالإضافة إلى دور الصناعة التي أقامها في المناطق الأخرى، الأخرى، كالجزيرة الخضراء وإشبيلية، ومالقة، وريه وغيرها من كور الأندلس.

---

(١) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص٧١، ١٤٩. ومدينة قبرة بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلاً.

(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ٢، ص٥٦٢؛ الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١١٩.

(٣) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج٢، ص٨٢.

(٤) العذري: نصوص عن الأندلس، مج٢، ص٨٦.

(٥) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص١٨٥.

كل ما سبق يعد من أهم المقومات التي أوصلت الصناعة الأندلسية إلى أوج عظمتها في كل التخصصات، كما أن جهود الحكام الأمويين في هذا الجانب على الرغم من وجود مدة ضعف وتدهور تعرضت لها الدولة الأموية، لاسيما في مدة الإمارة، قد أسهم في نهضتها وتقدمها في عهد الخلافة، وأصبحت صناعتها تضاهي كل صناعات الدول المعاصرة لها آنذاك.

٢-أهم الصناعات:

أ) **الصناعات المعدنية:** وتتمثل هذه الصناعات في الذهب والفضة، والحديد والنحاس، وكانت الأندلس غنية بالثروات المعدنية وبالمواد الخام(١)؛ إذ يذكر أنه كان يستخرج من ساحل تدمير وحدها معادن الذهب والفضة، وكان يدخل منها كل يوم ثلاثون رطلاً فضة من منبت وفيه معادن الرصاص(٢)، وكان يجمع كثيرًا من معدن الذهب في نهر لاردة، وساحل لشبونة(٣)، ومن أهم المراحل المستخدمة في صناعة الذهب والفضة، مرحلة تسخين المعدن حتى يصبح قابلاً للدق، ثم تأتي مرحلة تشكيله عن طريق مبرد وغيره من الآلات الخاصة بذلك، ثم يأتي تصفيته من الصانع وهي المرحلة الأخيرة حتى يصبح ذا لمعان(٤)، وقد استخدم الذهب والفضة في صناعة العملة، وكذلك في عملية الزخرفة للأدوات، والكؤوس، والتماثيل، والأحواض التي تزين بها القصور(٥)، والأمر نفسه في حلي النساء التي يعدُّ الذهب من زينتها(٦).

---

(١) الأصطخري: المسالك والممالك، ص٤٤.

(٢) العذري: نصوص عن الأندلس، مج٢، ص٤٢؛ ابن الفقيه: البلدان، ج١، ص١٣٨.

(٣) البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٨٩٧.

(٤) الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب: الجوهرتين العتيقتين المانعتين من الصفراء والبيضاء، تح: كريستوفر تول، ط٢، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، ١٩٨٥م، ص٢٠٢-٢٠٤.

(٥) المقرى: نفح الطيب، ج١، ص٥٢٧.

(٦) المنجم: آكام المرجان، ص١٠٤؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص٢٠١-٢٠٢.

كما وجد في مدينة شلطيش(١) صناعة الحديد الذي يعجز عن صنعه أهل البلاد لجفافه، وهي صنعة خاصة بالمرافئ التي ترسو بها السفن والمراكب(٢)، وهذا دليل على أن الأندلس في عهد الأمويين وصلت إلى مراحل متقدمة في الجانب الصناعي، مقارنةً بغيرها من الدول المعاصرة لها.

وكانت هناك دار للصناعة في المرية يصنع فيها الحديد كالسكاكين والمقصات، والفخار المذهب(٣). ومن الصناعات التي قامت على معدن الحديد أيضًا: صناعات الأدوات الحربية، من السيوف والرماح والخناجر، والفؤوس، والدبابيس، والتروس وغيرها؛ وكذلك صناعة المعدات الزراعية كالمحاريث، والمجارف وغيرها؛ كذلك وجدت صناعة الأواني المنزلية بأنواعها المختلفة، وأيضاً المعدات المعمارية، كبناء الموانئ والجسور والقناطر وغيرها(٤).

وفي حصن آبال شمال قرطبة، كان يوجد معدن الزئبق ومنها يصدر الزئبق والزنجفير إلى أقطار الأرض كافة، وتمر صناعة الزئبق بعدد من المراحل، التي كان يعمل بها أكثر من ألف رجل، مجموعة من العمال للنزول وقطع الحجر، ومجموعة لنقل الحطب لحرق المعدن، ومجموعة لعمل أواني السبك والتصفية، وآخرون لبنيان الأفران والحرق(٥).

ب) **صناعة المنسوجات:** تُعَدُّ صناعة المنسوجات من أهم الصناعات التي أتقنها الأندلسيون في ظل دولة بني أمية، وساعد على ذلك توافر مواد

---

(١) شلطيش مدينة صغيرة في الأندلس، تقع في غرب إشبيلية من البحر، وبها مرسى للسفن، ودار للصناعة. الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٥٩؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١١٠-١١١.

(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٤٢؛ الحميري: صفة جزير الأندلس، ص١١٠.

(٣) العمري: المسالك والممالك، ج٤، ص٢٣٤.

(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٨١؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص١٤٦-١٥٠،١٥١، ١٥٢.

(٥) الحميري: الروض المعطار، ص٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص١٤٣-١٤٦.

الخام من القطن والكتان والحرير(١)، وكذلك اهتمام بني أمية بهذا الجانب، ويظهر ذلك جليًّا من إنشاء دار طراز(٢) خاص بالمُلْك، وأول من أحدث الطراز في دولة الأمويين الأمير عبد الرحمن بن الحكم لكي تصنع ملابس خاصة لرجال الدولة، وقد بلغ درجة كبيرة من التطور في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، إذ يذكر أن في عهده وجد في مدينة الزهراء مدينة تشتمل آلافًا من الخلق، فيها عدد من الصناعات ينافسون بها المشرق في بضائعهم، ومقدار جراياتهم ونفقاتهم(٣)، ونتيجة لعملية المهارة والإتقان التي أظهرها الأندلسيون في هذه الصناعة، فقد نسبت كل صناعة إلى المنطقة التي أنتجت فيها مثل المنسوجات والثياب التي كانت تصنع في مدينة سرقسطة التي كانت تعرف بالسرقسطية(٤)؛ إذ يذكر الأصطخري(٥)" أنه كان يخرج من ساحل شنترين رأس كل سنة في عهد عهد الأمويين دابّة، تحتك بحجارة على شط البحر فيقع منها وبر في لين الخز، لونه لون الذهب لايغادر منه شيئًا، وهو عزيز قليل فيجمع وتنسج منه ثياب، فتتلون في اليوم ألوانًا شتى، ويحجر عليها ملوك بني أمية، ولا ينقل إلا سراً، وتزيد قيمة الثوب ألف دينار لعزته وحسنه".

وقد اشتهرت مدينة المرية بالصناعات النسيجية بأنواعها المختلفة، ولا سيما طراز الحرير من الحلل والديباج، والسقلاطون والأصبهاني والجرماني، والستور الملكية والثياب المعينة، والخُمُر، والعتابي والمعاجر وصنوف الحرير(٦).

---

(١) الحميري: الروض المعطار، ص٣١؛ المنجم: آكام المرجان، ج١، ص١٦.

(٢) هي علامات يرسمها السلاطين والملوك في طراز أثوابهم المعدة للباسهم من الحرير أو الديباج أو الإبرسيم، مهمتها توفير كل ما يتاج إليه الخليفة من الخلع والكساء وملابس الحرم وغير ذلك. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، مج٢، ص٤١؛ ابن خلدون: ديوان المبتدأ، ج١، ص٣٢٩.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، مج٢، ص٢١، ٤١.

(٤) العذري: نصوص عن الأندلس، ص٢٢.

(٥) المسالك والممالك، ص٣٥.

(٦) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٦٢.

وكان الصوف في الأندلس كأحسن ما يكون من الأرمني المحفور الرفيع الثمين، ولهم من الصوف والأصباغ التي يصبغ بها اللبود(١) المغربية الثمينة، وما يؤثرونه من ألوان الخزّ والقزّ، ولم يساومهم في أعمال لبودهم أي بلد آخر، وكانوا يعملون للسلطان لبودًا ثلاثينية يقوم اللبد منها بالخمسين والستين دينارًا، غير أنه قد جعل عروضها خمسة وستة أشبار فهي من محاسن الفرش(٢).

ج) **الصناعات الجلدية:** تمثل إحدى الصناعات التي اشتهرت بها الأندلس في ظل دولة الأمويين، ومن أشهر الجلود المستعملة في الصناعات الجلدية جلود الخز، والوبر، والسّمور(٣)، وتصنع منها الأغشية، والحزم، والمدورات وغيرها، كما اختصت بصناعته بعض مناطق الأندلس، كمنطقة مالقة التي اختصت بالصناعات الجلدية(٤)، وفيها أيضاً كان يستعمل جلود التماسيح مقابض للسيوف الصلبة، والتي كانت تظهر من سواحلها(٥). كذلك وجدت دباغة الأدم الذي اشتهرت به مدينة باجة(٦)، باجة(٦)، المتخصصة بدباغة جلود الحيوانات.

د) **الصناعات الخشبية:** كانت الأندلس كثيرة الغابات، وعرفت فيها أنواع مختلفة من الأشجار، لاسيما شجر الصنوبر، الذي تميز بقساوته ونوعيته الممتازة، وطوله وغلظه، وهو أحمر صافي اللحاف دسم، لا يتغير سريعاً،

---

(١) جمعها لبابيد وهو ما يلبس من اللبود وقاية من المطر، وهنَّ من صوف تلبس في الرأس تحت الطربوش أم بدونه، ويستعمل أيضًا بساطًا على ظهر الفرس تحت السرج، وكذلك في صناعة السجَّاد. الفيروز آبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٣١٦؛ دوزي: تكملة المعاجم: العربية، ج٢، ص١٩٦.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ج١، ص١١٤.

(٣) ابن الفقيه: البلدان، ج١، ص١٣٥.

(٤) العمري: مسالك الأبصار، ج٤، ص٢٣٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٢١٢.

(٥) مجهول: حدود العالم، ج١، ص١٨٣.

(٦) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٤٠٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٢١٥.

ولا يفعل فيه السوس ما يفعل في غيره، وتصنع منه السفن بأنواعها وأحجامها، مدنية أم حربية؛ صغارًا أم كبارًا، وتركزت صناعتها في جنوب الأندلس(١)، كبجانة والمرية، وإشبيلية، والجزيرة الخضراء، ومالقة، وطرطوشة وغيرها من مناطق الثغور(٢)، التي أقام فيها حكّام بني أمية دُوراً كثيرة لصناعة السفن الحربية؛ لحاجة الدولة لتوفير الحماية لها بحراً، وكذلك توافر المواد التي تصنع منها ألواح السفن، والصواري، والمجاديف، وكذلك توافر المواد الأخرى، مثل: الحديد لعمل المسامير، والمراسي، والروابط والخطاطيف، والفؤوس والدبابيس، وغيرها من الآلات والأسلحة التي تجهز بها السفن، بالإضافة إلى توافر القطران والزفت لقلفطة السفن حتى لا تؤثر المياه في ألواحها المعمورة في البحر لهذا أصبح الأسطول الأندلسي يضم أعدادًا كبيرةً من السفن المختلفة الأحجام والمهام(٣).

وما يؤكد ذلك عدد السفن الذي كان يمثلها الأسطول الحربي الأموي في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط سنة ٢٤٤هـ، الذي تقدم لإخضاع جزيرتي ميورقة، ومنورقة المتمردة عليه، فكان قوامه ثلاثمائة مركب(٤).

والأمر نفسه في عهد الخليفة الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ)، الذي اعتني بتقوية الأسطول البحري وتجهيزه بكثير من المعدات الحربية والآلات، لاسيما أن الأندلس تعرضت لاضطرابات كثيرة، واعتداءات متكررة قبل توليه الحكم؛ نتيجة التمردات الداخلية التي سبقت حكمه، فأنشأ للأسطول وحدات جديدة، وجعل مركزه الرئيس ثغر المرية الذي أخذ يبرز مقرًّا رئيس للأسطول الأندلسي في عهد الخلافة، وأنشأ فيها دار الصناعة، فبلغ

---

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٥٥، ٥٦٠، ٧٨٥؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٢٤.

(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٥٥؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب، ص١٧٥.

(٣) البكري: الممالك والمسالك، ج٢، ص٧٤٨؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٥٥، ٥٦٠، ٧٨٥؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٢٤.

(٤) ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٤٤.

عدد قطع الأسطول في عهده مائتي سفينة، مختلفة الأحجام(١)، في حين يذكر ابن الخطيب(٢) أن عدد الأسطول البحري في المرية ثلاثمائة قطعة، هذا عدا ما كان يوجد من مراكب في المناطق الأخرى.

واستمرت عملية التصنيع بعد عهد الخليفة الناصر؛ إذ بلغ عدد قطع الأسطول في عهد ابنه الخليفة الحكم المستنصر ستمائة جفن (أي: سفينة) ما بين غزوي وغيره(٣).

كل ذلك يؤكد أن صناعة السفن أصبحت من الصناعات المتقدمة في الأندلس، لاسيما بعد أن عرف الحكّام الأمويون أهمية القوة البحرية بالنسبة لبلاد الأندلس، لاسيما أنها كانت محاطة بدول لديها خبرة بالجانب البحري، ولديها قوة متمرسة في الحروب والصناعة الحربية.

كذلك استخدم الخشب في صناعة الأبواب والنوافذ التي تزينت بها الدور والمساجد والقصور(٤) وكذلك استخدمت في السقوف إذ يذكر أن عيدان سقف الجامع بقرطبة جميعًا كانت من خشب الصنوبر الطرطوشي(٥)، وكذلك المنابر، والصناديق والكراسي والحضائر، والأمر نفسِه في صناعة الأدوات المنزلية الخاصة بالمشروبات والأطعمة، بالإضافة إلى صناعة بعض أدوات القتال كالمنجنيق، والرماح والنبال، والتروس، والأقواس(٦).

---

(١) العذري: نصوص عن الأندلس، مج٢، ص٨١؛ عنان: دولة الإسلام، ص٦٨٨.

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص٤٧٩.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، مج٢، ص٤٢.

(٤) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص٧٣؛ الطنطاوي، الشيخ علي: الجامع الأموي في دمشق، مطبعة الحكومة، دمشق، ١٩٩٠م، ص١٧.

(٥) الأدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٧٥

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص١٥٠،١٤١، ١٥٢.

ثانيا: التجارة:

أسهم الازدهار الزراعي والصناعي، في وجود تجارة نشطة في الأندلس في ظل دولة الأمويين لاسيما في عهد الخلافة، والتي كان لها مردود كبير لخزانة الدولة، من الضرائب المفروضة عليها؛ لذلك نجد الحكّام الأمويين يهتمون بهذا الجانب، وتجني الدولة من المكوس التجارية أموالاً كبيرةً، سواءً أكان على التجارة الداخلية أم الخارجية؛ الواردة إليها أم الصادرة عنها، فقد بلغ دخل المكوس سنوياً في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ألف ألف دينار(مليون) سنوياً، وهذا يدلُّ على مدى التطور الذي وصلت إليه التجارة(١).

وكانت المبادلات التجارية الخارجية في بداية الأمر تتم بالدينارنين العربي والبيزنطي، واستمر ذلك إلى أن أنشأ الأمير عبد الرحمن الأوسط دارًا خاصة لصناعة السكة، وأصبحت مقبولة في الأندلس(٢)، إلا أن انتظام العملة وكثرة التعامل بها كان في عهد الخلافة، عندما أنشأ الخليفة عبد الرحمن الناصر دار السكة لضرب الدنانير الذهبية، والدراهم الفضية، وبذلك أصبحت الدنانير هي العملة الرئيسة في البلاد، وفي المعاملات التجارية(٣).

أما فيما يخص الأوزان المتعامل بها في التجارة، فيذكر أن التجار الأندلسيين الذين اتخذوا من مدينة بجانة مركزًا لتجارتهم ومقراً لها، وذلك بموافقة الأمير عبد الرحمن الأوسط سنة٢٦٢هـ، كانوا يتعاملون بكيل يسمى الصحفة، وهي ثمانية وأربعون قادوساً، والقادوس: ثلاثة أمداد بمد النبي ﷺ، ورطل اللحم فيها سبعة وستون أوقية، ورطل سائر الأشياء اثنتان وعشرون

---

(١) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص٦٩٠.

(٢) العمري: المسالك والممالك، ج٢٤، ص٤٦٧.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص٤٦؛ ابن الفقيه: البلدان، ص١٣٨؛ خايمة لويس نارياس بروس: ملاحظات حول سكة النقود الإسلامية في الأندلس، ملخصات، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، مج٤، ع١، ٢، مدريد، ١٩٥٦م، ص٢٤٣.

أوقية، ووزن قيراطهم ثلث درهم عدل بوزن قرطبة(١)، وهذا دليل على اعتماد هذه الموازين في مناطق الأندلس جميعًا آنذاك؛ وذلك لعدم حصولنا على معلومات واضحة ومبينة تؤكد نوعية الموازين والمكاييل في المعاملات التجارية في مدة الدراسة، سوى ما ذكره ابن حوقل(٢)، الذي دخل إلى الأندلس في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٣٧هـ، بقوله :" إن أوزان الأندلس تختلف عن غيرها في العالم الإسلامي، فالمنوان التي توزن بها المتاع منوان صغير وكبير فالكبير وزن ألف وأربعين درهماً، ورطل اللحم في الأندلس تسعة أرطال ونصف بالفلفلي، والفلفلي خمسة عشر أوقية بالبغدادي".

١-أشهر المراكز التجارية:

أ) **بجانة:** كانت هذه المدينة قاعدة إقليم بلنسية(٣)، أنشأها جماعة من التجار وأهل البحر الأندلسيين(٤) سنة ٢٧٦هـ الذين كانوا يعملون في شواطئ الأندلس والمغرب، فرأوا أن نشاطهم بحاجة إلى الدعم والحماية، فاختاروا الخليج الذي تقع عليه بلدة بجانة(٥)، وكانت هذه الناحية في عهد الإمارة الأموية إقطاعاً بيد جماعة من العرب اليمانية، على أن يحموا السواحل من غزاة البحر، حتى عرفت باسم (أرش اليمن)، ثم حصل التجار على الحق بإنشاء مدينة مسوّرة خاصة بهم في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم عندما سجل لواحد منهم سنة ٢٧٦هـ؛ فازدهرت التجارة فيها، وتوافد التجار عليها، وذلك لما اشتهرت به من أمن واستقرار، لاسيما أن الإمارة الأموية كانت تمر في فترة ضعف قبل تولي الخليفة الناصر،

---

(١) البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٧٢٧؛ الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٠.

(٢) صورة الأرض، ج٢، ص٣٠١.

(٣) مدينة مشهورة في بلاد الأندلس، متصلة بحوزة كورة تدمير، تقع شرقي قرطبة. الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٩٠.

(٤) هم أوباش الأندلس. الحميري: الروض المعطار، ج١، ص٨٠.

(٥) البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٧٢٦؛ المنجم: آكام المرجان، ج١، ص١٣.

فكثرت التمردات في الأندلس، أصبحت بجانة أمناً لمن قصدها(١)، وفي عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، ازدهرت التجارة في هذا المرسى في مجالات متعددة(٢)، وكانت كثيرة التجارة(٣)، وكان مرسى بجانة يعدُّ باب الشرق، ومنها يركب التجار، وفيه مكان للسفن والمراكب(٤) إلا أن دورها التجاري انتهى عندما أقدم الخليفة عبد الرحمن الناصر على نقل المرسى إلى قاعدة المرية سنة ٣٤٤هـ(٥).

ب) **المرية:** أول مراسي البلاد الإسلامية في الأندلس، وأهمها في ظل دولة الأمويين(٦)، وهي مدينة محدثة أسسها المسلمون في جملة ما أسسوه من مدن شبه جزيرة الأندلس(٧)، تم نقل قاعدة الكورة من بجانة إلى المرية سنة ٣٤٤هـ، بأمر من الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر، وأنشأ بها عمائر كبيرة، حتى عدت من كبريات موانئ الأندلس آنذاك(٨) وكان أهلها تجاراً في أنواع التجارات جميعًا تصريفاً وادخاراً(٩) وتعدُّ المرية باب باب الشرق في عهد الخلافة الأموية، وفيها تحل مراكب التجار، وفيها مرفأ للسفن والمراكب، يضرب ماء البحر سورها(١٠)، الذي بناه الخليفة عبد الرحمن الناصر.

وفيها دار للصناعة قديم، فقد قسم على قسمين، الأول: للمراكب الحربية والآلات والعدة؛ والآخر: فيه القيسارية قد رتبت كل صناعة منها

---

(١) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص٣٨.

(٢) المنجم: آكام المرجان، ج١، ص١٣-١٤.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٦٦، ٨٥.

(٤) ابن شمائل: مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٢٦٤.

(٥) المنجم: آكام المرجان، ج١، ص١٤.

(٦) العمري: مسالك الأبصار، ج٤، ص٢٣٢.

(٧) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٨٣.

(٨) المنجم: آكام المرجان، ج١، ص١٤.

(٩) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٦٢.

(١٠) الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٢٦.

بحسب الشكل، وقد أمن فيها التجار بأموالهم وقصد إليها الناس من أقطارهم(١)، وقد بلغ عدد الفنادق التي ينزل فيها الوافدون من التجار تسعمائة فندق(٢)، وهذا يدل على زيادة حركة النشاط التجاري الذي وصلت إليه المرية في ظل حكم الأمويين.

واشتهرت فيها عديد من الصناعات منها صناعة المنسوجات الحريرية، والصناعات الحديدية من سكاكين ومقصات، والصناعات الجلدية كالأغشية والحزم والمدورات، ويعمل بها الوشى والديباج(٣).

ومنها كانت تجوب المراكب الأندلسية ببضائعها إلى كل مناطق المشرق والتي تتمثل في الحرير، والفواكه، والحبوب، والجلود وغيرها؛ وإليها كانت تقصد المراكب من الإسكندرية والشام وغيرها(٤).

ج) **إشبيلية:** تعدّ أحد المراكز التجارية المهمة في ظل دولة الأمويين في الأندلس ولها أسواق تجارية كبيرة، وصناعات متعددة؛ إذ يذكر الحميري(٥) أنها مدينة عامرة لها أسوار حصينة، وأسواقها عامرة، وخلقها وخلقها كثيرة وأهلها مياسرة، وتجاراتها رائجة، وجل تجارتهم بالزيت يتجهون به إلى المشرق والمغرب براً وبحراً.

ويصفها ابن الوردي(٦) بأنها على ضفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة، وعليه جسر مربوطة به السفن، وتشمل كثيرًا من الأقاليم، وهي مزدهرة بالتجارة، ولها ثمانية آلاف قرية عامرة بالأسواق والديار والفنادق والحمامات.

---

(١) العذري: نصوص عن الأندلس، ص٨٦.

(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٦٣.

(٣) الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٢٦؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٦٢؛ العمري: المسالك والممالك، ج٤، ص٢٣٤.

(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٥٦.

(٥) الروض المعطار، ج١، ص٥٩.

(٦) أبو حفص سراج الدين المظفري: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تح: أنور محمود، ط١، ج١، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٦١.

وفي جبل الشارات من أعمال إشبيلية يوجد كثير من الغنم والبقر الذي يَتَّجرُ بها الجلابون، إلى سائر البلاد، وكانت تتميز بصحتها وكثرة سمنها، ويضرب بها المثل في أنحاء الأندلس(١).

وما يؤكد أن إشبيلية كانت إحدى المناطق التجارية المهمة بالنسبة إلى إدارة قرطبة، مردود الجباية المتحصَّلُ منها حيث بلغ في عهد الأمير الحكم بن هشام خمسة وثلاثين ألفًا ومائة دينار سسنويًّا(٢).

د) **قرطبة:** تعد قرطبة أهم مدن الأندلس تجارياً وسياسياً في ظل دولة الأمويين؛ كونها عاصمة لدولتهم، ومقر إقامتهم، وإليها تأتي الوفود من الخارج، وفيها كانت تتم صناعات مختلفة، لذلك نجد المؤرخين يتغنون بمفاخر قرطبة وتجارتها، بالإضافة إلى وقوعها على نهر الوادي الكبير الذي كانت تجوب فيه المراكب التجارية المحملة بالبضائع المختلفة سواءً أكان لقرطبة أم لمدينة إشبيلية(٣)؛ إذ يذكر المسعودي(٤) أن قرطبة دار دار مملكة الأمويين، ولها نهر ينسب إليها، تجري فيه كثير من المراكب إليها.

ويصفها المؤرخون(٥) بأنها مدينة ذات أسوار وأسواق ومتاجر، وبأنها قصبة الأندلس عامرة مكتظة بالسكان ذات نعم وتجارات كثيرة، ونظافة محالٍ وعمارة مساجد، وكثرة الحمامات والفنادق.

كل هذا يؤكد أن قرطبة كانت تمثل المركز التجاري الرئيس في الأندلس في ظل دولة الأمويين، وإليها كانت تقدم عديدًا من التجارات الداخلية الخارجية، ومنها كانت تجوب الصناعات والبضائع الأندلسية إلى جميع المناطق شرقًا وغربًا.

---

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٥٢.

(٢) ابن عذارى: نفح الطيب، ج١، ص١٨٥.

(٣) القزويني: آثار البلاد والعباد، ج١، ص٥٥٢.

(٤) التنبيه والإشراف، ج١، ص٦٠.

(٥) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٦٩؛ مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ج١، ص١٨٢؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ج١، ص١١١.

٢-قانون تنظيم التجارة البحرية:

اتخذ الحكّام الأمويون مجموعة من القوانين التي بموجبها تسير عملية التجارة، ويسهل دخول المراكب وخروجها من مراسي الأندلس، لاسيما أن الدولة كانت مهددة بحراً، سواءً أكان من المغرب، أم من الشمال الإسباني، لذلك اضطر الأمويون إلى اتخاذ اجراءات تضمن سلامة بلادهم وتنظم العملية التجارية الصادرة عنها والواردة إليها، وتتمثل في الآتي:

أ) ألاَّ تجري في البحر جارية إلا تحت نظر الحكَّام وإشرافهم عليها(١).

ب) لا تدخل السفن إلى مراسي الأندلس، إلا بسراح(٢)، ولا تخرج إلا بسراح، حتى يعرف المكان الذي سوف تقصده أو القادمة منه، وما الذي جلبته هذه السفن(٣).

ج) لا تظهر في البحر جارية إلا استخبر أمرها وعرف شأنها(٤).

د) إذا ألفى في البحر قارب يزيد طوله على اثنتي عشر ذراعًا ممسوح العجز نقض ورد(٥).

٣-العلاقات التجارية:

ارتبطت الأندلس في ظل حكم الأمويين بعلاقات تجارية متعددة سواءً أكان في عهد الإمارة أم الخلافة، وتشمل عديدًا من الأقطار، أهمها:

أ) **مع المغرب:**

تعدُّ المغرب من أهم المناطق وأكثرها التي ارتبطت مع الأندلس بعلاقات تجارية كبيرة، وذلك لقربها من السواحل الأندلسية، ويتبين ذلك مما قام به التجار الأندلسيون من بناء مراسي لهم في بلاد المغرب

---

(١) العمري: المسالك والممالك، ج٢٤، ص٤٦٩؛ الحميري: الروض المعطار، ج١، ص٨٠.

(٢) أي بتكليف من الحكام الأمويين يسمح لها بالمرور وتصريف تجارتها.

(٣) العمري: المسالك والممالك، ج٢٤، ص٤٦٩؛ الحميري: الروض المعطار، ج١، ص٨٠.

(٤) العمري : المسالك والممالك، ج٢٤، ص٤٦٩؛الحميري : الروض المعطار، ج١، ص٨٠.

(٥) العمري : المسالك والممالك، ج٢٤، ص٤٦٩؛الحميري : الروض المعطار، ج١، ص٨٠.

باتفاقهم مع القبائل المجاور لها، كبناء مدينة تنس(١) الحديثة سنة ٢٦٢هـ، ومرسى مدينة وهران(٢) وجعله ميناء بحريًّا مهمًّا سنة ٢٩٠هـ(٣)، وأصبحت مرسى لمن جاز من بحر الأندلس ودخل مدينة بجاية(٤).

وكانت هناك تجارات متبادلة بين الأندلس والمغرب تتمثل في عديد من السلع، مثل الأسرّة المرصعة والحصر المتقنة الصنعة، وآلات الصفر والحديد من المقصات والسكاكين المذهبة وغيرها من آلات العروس والجندي التي كانت تصنع في مرسية، والتي كان يتجهز بها التجار إلى بلاد المغرب(٥)، وكذلك القطن، والزيت الذي كان يتجهز به التجار من من إشبيلية إلى إفريقيَّة وسجلماسة(٦) وما والاها(٧)؛ إذ يذكر ابن الفقيه(٨) أن أهم التجارات القادمة من الأندلس إلى المغرب الخدم الصقالبة، والغلمان الرومية والإفرنجية والجواري الأندلسيات، وجلود الخزّ والوبر والسمّور، ومن الطيب الميعة الصطلكي؛ ويوضح العذري(٩) أن التجار الأندلسيين كانوا يتجهزون في مدينة شاطبة بالأمتعة إلى غانة وبلاد السودان، وجميع بلاد المغرب.

---

(١) تقع على شاطئ الجزائر حاليًا. المنجم: آكام المرجان، ص١٣.

(٢) المراكشي: الاستبصار، ج١، ص١٢٣؛ الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٣٨٥؛ المنجم: آكام المرجان، ص١٣.

(٣) مدينة في بلاد المغرب، وهي مدينة صغيرة على ضفة البحر، قريبة من مدينة تلمسان. ابن شمائل: مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٤٤٦.

(٤) المراكشي: الاستبصار، ج١، ص١٢٣.

(٥) المقرى: نفح الطيب، ج١، ص٢٠١-٢٠٢.

(٦) مدينة طرف مفازة السودان بين الرمال، يوجد فيها معدن الذهب. مجهول: حدود العالم من المشرق من المشرق إلى المغرب، ج١، ص١٨١.

(٧) الحميري: الروض المعطار، ج١، ص٥٩.

(٨) البلدان، ج١، ص١٣٥.

(٩) نصوص عن الأندلس، مج٢، ص١٩.

أما البضائع القادمة من بلاد المغرب إلى الأندلس، فتتمثل بالخدم السود الذي كان يتم استجلابهم من بلاد السودان وكذلك يستورد كثير من المصنوعات المغربية والمواد الأولية، كالفستق، والجلود، والذهب الذي كان يستخرج من أنهار غرب إفريقيَّة، ويأتي التجار الأندلسيون به إلى قرطبة وغيرها من مدن الأندلس(١)، وكذلك أنواع الأطعمة جيعًا من الحبوب؛ إذ يذكر أنه كان يحمل من مدينة تنس على شاطئ الجزائر الطعام إلى الأندلس، لأنها كثيرة الزرع(٢).

ب) مع المشرق الإسلامي:

نقصد بالمشرق الإسلامي كل المناطق التي تقع شرق الأندلس؛ فقد كان هناك تبادل تجاري كبير بين الأندلس والمشرق الإسلامي، وما يؤكد ذلك اعتماد الإمارة الأموية عندما كان ضرب العملة محدودًا على تعاملهم بالعملة التي كان يجلبها التجار القادمون من المشرق الإسلامي(٣)، وهذا يؤكد سعة التبادل التجاري منذُ قيام الدولة الأموية في في الأندلس. وفي عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط فتحت أبواب الأندلس للتجّار المشارقة والبضائع المشرقية وأدوات الزينة التي سرعان ما انتشرت بين أفراد المجتمع الأندلسي(٤).

وعلاوة على ذلك كانت الأندلس تمثل إحدى الطرق التجارية المشهورة في العالم الإسلامي آنذاك، برية وبحرية؛ تبدأ بالبر من الأندلس مروراً بطنجة عبر مضيق جبل طارق، مجتازةً بلاد المغرب إلى مصر عن طريق إفريقيَّة، ثم تتجه إلى بلاد الشام، ثم العراق، ومنها إلى كرمان والهند والصين؛ أما البحرية فكانت عن طريق البحر المتوسط ومنها

---

(١) الأصطخري: المسالك والممالك، ص٣٧.

(٢) المراكشي: الاستبصار، ج١، ص١٨٣؛ المنجم: آكام المرجان، ص١٣.

(٣) العمري: مسالك الأبصار، ج٢٤، ص٤٦٧؛ أحمد فكري: قرطبة في العصر الإسلامي، ص٢٥٧.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٩١.

يجوبون كل مناطق المغرب، ثم يركبون في البحر الأحمر، الذين منه ينفذون إلى مناطق شرق آسيا كالصين والهند وكرمان(١).

ومن الأدلة على ذلك ما ذكره العذري(٢) أن زيت إشبيلية، يركب به البحر إلى المشرق، ويؤكد الإدريسي(٣) ذلك بقوله:" إن في مدينة المرية طرز الحرير، ويعمل بها الحلل والديباج، والسقلاطون، والأصبهاني والجرماني، والستور المكللة، والثياب المعينة والخِمَر والعتابي، والمعاجر وصنوف أنواع الحرير، وكذلك صناعة الحديد، ووجود أنواع مختلفة من الفواكه من أوديتها، وفي أوديتها جنات وبساتين وأرحاء؛ وجميع نعمها وفواكهها تجلب إلى المرية، وكانت المرية تقصد إليها مراكب الطريق من الإسكندرية والشام"، وهذا يوضح مدى العلاقات التجارية التي ارتبطت بها الأندلس مع المشرق.

وتعددت البضائع التي كانت تحمل إلى المشرق منها العنبر الذي اشتهرت به الأندلس، والذي كان يحمله التجار إلى مصر، ويذكر أن لونه شبيه بالعنبر الشحري(٤)، وقد يغالط به فيه(٥)، وكذلك طراز الأندلس الذي كان يحمل إلى مصر، وخراسان؛ ومن مشهور تجارتهم أيضاً الرقيق من الجواري والغلمان من سبي إفرنجة، وكان جلبهم من الأندلس بسبب قربهم من بلاد الفرنج(٦).

ويذكر ابن حوقل(٧) أنه كان يعمل في الأندلس الكتان الدني للكسوة ويجلب إلى غير مكان حتى وصل إلى مصر الكثير، فأما أرديتهم

---

(١) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله: المسالك والممالك، ج١، دار صادر، بيروت، ١٨٨٩م، ص١٥٣-١٥٥.

(٢) نصوص عن الأندلس، مج٢، ص٩٥.

(٣) نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٦٢.

(٤) ساحل باليمن، وهو ممتد بينها وبين عمان. البكري: معجم ما استعجم، ج٣، ص٧٨٣.

(٥) اليعقوبي: البلدان، ج١، ص٢١١.

(٦) ابن حوقل: صورة الأرض، ج١، ص١١٠.

(٧) صورة الأرض، ج١، ص١١٤.

المعمولة ببجانة فتحمل إلى مصر، ومكة، واليمن وغيرها، ويستعمل عندهم للعامة والسلطان.

ومن البضائع التي كانت تصدر إلى المشرق أيضاً ما ذكره الإدريسي(١) أن التين المنسوب إلى مدينة رَيَّة الذي كان يحمل إلى مصر والشام والعراق، وربما وصل إلى الهند، وهو أحسن التين طيباً وعذوبة. وكذلك التين المنسوب إلى مدينة طليطلة، الذي ليس له شبيه في لذة أكله، وتنظيف وغسل الشعر به(٢).

كما كانت الحيوانات هي إحدى السلع التي تُصدر إلى خارج الأندلس؛ إذ يذكر أن البغال التي تجلب من قرطبة، تبلغ قيمة الواحدة منها خمسمائة دينار لحسن شكلها وألوانها وعلوها وصحة قوائمها(٣)، وكذلك في جبل الشارات من أعمال إشبيلية الذي كان يوجد فيه كثير من الغنم والبقر، التي يضرب بها المثل في صحتها ومنتوجها، ويتجهز بها الجلابون إلى سائر البلاد(٤).

وكان لولاة الأمر في الأندلس دور كبير في وصول البضائع الأندلسية إلى كل مناطق المشرق الإسلامي، سواءً أكان ذلك في تشجيع التجار على مزيد من التجارة ودعمهم، أم في تسهيل عملية التسويق لهم وحمايتهم، بدليل ما قام به الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٤٤هـ ببناء مركب كبير خاص بنقل البضائع الأندلسية إلى المشرق(٥).

أما الواردات من البضائع للأندلس من المشرق فيمكن تلخيصه فيما قاله ابن عذارى(٦): إن في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم، دخل إلى إلى الأندلس نفيس الوطاء وغرائب الأشياء، وسيق إليه ذلك من بغداد

---

(١) نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٦٥.

(٢) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٣

(٣) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ج١، ص٥٥٢.

(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٥٢؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ج١، ص٩٧.

(٥) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص١٠٠.

(٦) البيان المغرب، ج٢، ص٩٢.

وغيرهـا، وكـذلك مـا ذكـره ابـن الـوردي(١) أن المركـب الكبيـر الـذي أنشـأه الخليفـة عبـد الـرحمن الناصـر للتجـار، والـذي أحرقـه الجـيش الفـاطمي عنـد هجومـه علـى مينـاء المريـة كـان محمـلاً بالأمتعـة والجـواري المغنيـات أثنـاء عودته من الإسكندرية.

ومـن البضـائع القادمـة مـن المشـرق أيضـاً، الجـواهر، والأحجـار النفيسـة التـي كـان يجلبهـا التجـار المشـارقة إلـى الأنـدلس؛ إذ يـذكر ابـن عـذارى(٢) أنـه قـدم إلـى الأنـدلس فـي عهـد المنصـور بـن أبـي عـامر تـاجراً جوهريـاً، مـن مدينـة عـدن اليمنيـة، ولديـه جـوهر كثيـر، وأحجـار نفيسـة، فأخـذ المنصـور مـن ذلك ما استحسنه، ودفع إلى الجوهري التاجر صرته، وكانت قطعة يمانية.

ج) مع العالم المسيحي:

لـم تبـرز بوضـوح علاقـات الأمـويين التجاريـة مـع العـالم المسـيحي فـي المصـادر الرئيسـة التـي كتبـت عـن هـذا العصـر، ولـم تكـن العلاقـة التجاريـة مـع العـالم المسـيحي كغيرهـا مـن العلاقـات مفتوحـة؛ بـل كانـت تجـري علـى نطـاق محـدود، سـوى بعـض المعلومـات لاسـيما فـي عهـد الخلافـة التـي تفيـد بـأن التجـار اليهـود، كـانوا يقـدمون مـن بـلاد الإفـرنج بالغلمـان(٣) ويسـتلمون فـي الأنـدلس؛ إذ يـذكر المـؤرخ الغربـي لـين – بـول(٤) أن التجـار الإغريـق والبنادقـة كـانوا يجلبـون العبيـد مـن الفرنجـة، وغاليسـية ولومبارديـا، وهـؤلاء الرقيـق، يبيعـونهم صـغاراً للخليفـة الأمـوي عبـد الـرحمن الناصـر فـي قرطبـة ليهـذبهم وينشـئهم علـى الإسـلام. وهـذا يؤكـد وجـود تلـك العلاقـات الأمويـة مـع العـالم المسـيحي علـى الـرغم مـن وجـود الحـروب بـين الجـانبين؛ وهـذا يثبـت مـا ذكـره ابـن الفقيـه(٥) أن العبيـد الصـقالبة جميعًـا الـذين كـانوا يجلبـون إلـى

---

(١) ابـن الـوردى، أبـو الفـوارس عمـر بـن مظفـر بـن عمـر: تـاريخ ابـن الـوردي، ط١، ج١، دار الكتـب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، ص٢٧٩.

(٢) البيان المغرب، ج٢، ص٢٩١.

(٣) ويباع الواحد منهم بألف دينار. الأصطخري: المسالك والممالك، ص٣٧.

(٤) قصة العرب في إسبانيا، ص١٠٣.

(٥) البلدان، ج١، ص٥٤.

المشرق كان من الأندلس، وذلك لقربها من بلاد الإفرنج. ويوضح ذلك القلقشندي(١) أن السفن الإفرنجية كانت تجوب البحر المحيط حتى تحط عند سور إشبيلية.

إذًا فالعلاقات التجارية مع النصارى كانت محدودة، لاسيما أن دولة الأمويين قد نشأت على عداء تلك الدول، واستمر الأمر إلى عهد الخليفة الناصر الذي بنى دولة قوية هابتها كل الدول، ووفد عليها الرسل والهدايا، وهو الأمر الذي أدى إلى بروز تلك العلاقة.

(١) صبح الأعشى، ج٥، ص٢٢٧.

الفصـل الـرابع

المظاهر العلمية والمعمارية

أولاً: الحياة العلمية:

تعدُّ الحياة العلمية من المظاهر الحضارية المهمة التي أولى حكام بني أمية الإهتمام بها، فكانوا مشاركين فيها، فشجعوا الفقهاء الخارجين إلى المشرق لطلب العلم وقدموا لهم التسهيلات لبلوغ مقاصدهم، وبنو المؤسسات التعليمية لطلبة العلم، وساعدوا في عملية النسخ والتأليف وأقاموا المكتبات، حتى أصبحت الأندلس منارةً للعلم، ومقصدًا لطلاب العلم من المشرق والمغرب.

١- عوامل ازدهار النهضة العلمية في الأندلس:

هناك مجموعة من العوامل التي كان لها الدور الكبير في النهضة العلمية في الأندلس في ظل دولة الأمويين التي بوساطتها برزت عديد من العلوم، ونبغ فيها كثير من العلماء والمفكرين التي أنارت بهم الأندلس آنذاك، في العلوم المختلفة النقلية والعقلية، وتتمثل هذه العوامل في الآتي:

أ) مشاركة الحكام الأمويين في كثير من العلوم: فقد كان منهم الشعراء، والفصحاء، والبلغاء، وكذلك المؤرخون، وحفَظَة القرآن الكريم، والفقه، فكانوا يتميزون بالثقافة العامة والتأهيل المثمر قبل توليهم الحكم، وهذا انعكس ايضًا على الحياة العلمية ونهضتها، من اهتمامهم بالعلم والعلماء، وتوفير كل ما يسهل أداء مهامهم العلمية، فهناك أمثلة كثيرة توضح ذلك منها أن الأمير عبد الرحمن الداخل كان فصيحًا بليغاً وشاعراً، وعالماً بالشريعة، وابنه هشام كان مبرزاً في الفقه، والحديث، وولده الحكم الربضي

كان شاعراً على الرغم من قساوته وفظاظته؛ وكذلك الأمير عبد الرحمن بن الحكم الربضي كان شاعراً وأديباً؛ والأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم كان أعلم الناس بالحساب وطرائق الخدمة، في حين نجد الأمير عبد الله بن محمد، كان حافظًا للقرآن، كثير التلاوة له(١)، وكذلك الحكم المستنصر الذي أولى كل اهتمامه في البحث عن المعارف والعلوم، وتجميع الكتب، واستدعاء العلماء والاستفادة منهم حتى أصبح حجة عند أهل العلم(٢). وهو الأمر نفسه في عهد بني عامر؛ إذ يذكر أن المنصور بن أبي عامر كان عالماً ومحباً للعلماء، ويكثر مجالستهم ويناضرهم(٣).

ب) تشجيع الحكّام الأمويين للعلم والعلماء وإكرامهم، والمدافعة عنهم، وحمايتهم: وبرز ذلك في أوجه مختلفة سواءً أكان ذلك في تقربهم من العلماء والاستفادة منهم، أم في استدعائهم من خارج الأندلس وتوفير احتياجاتهم، وإكرامهم، وتسهيل الأمر في نشر ما يمتلكون من علوم وتصنيفها(٤)، وذلك مثل استدعاء الأمير محمد بن عبدالرحمن، أبا عبد الرحمن بقي بن مخلد(ت٢٧٦هـ) الذي أنكر عليه جماعة من أهل الرأي ما فيه من الخلاف؛ وهو ما أدخله من كتب الاختلاف وغريب الحديث، ومنعوا قراءته، واستحضر الكتاب وجعل يتفحصه جزءًا جزءًا، إلى أن أتى

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٨٥، ٩١، ١٠٧، ١٥٢؛ ابن الخطيب: أعمال الإعلام، ج٢، ص١٨.

(٢) الضبي: بغية الملتمس، ج١، ص١٤٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٥٠٣.

(٤) الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص٢٥٣.

إلى أخره، ثم قال الأمير لخازن الكتب:" هذا الكتاب لا تستغني خزانتنا عنه، فانظر في نسخه لنا، وأمر بقي بن مخلد بنشر علمه، وأن يجلس للناس حتى ينتفعوا به، ثم حذر معارضيه أن يتعرضوا له"(١)، واستمر هذا الاهتمام بالعلماء الوافدين على الأندلس، ففي عهد الخلافة قدم إلى الأندلس في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وبطلب منه، أبو علي القالي البغدادي(٢) صاحب كتاب الأمالي، العالم اللغوي، والذي أُكرم، وإغداق الأموال عليه، فصنف كثيرًا من الكتب للخليفة الناصر، وابنه الحكم المستنصر الذي كان محباً للعلم والعلماء(٣).

إذاً فالحكام الأمويون جميعًا الذين تولوا حكم الأندلس طيلة ثلاثة قرون قد بذلوا جهداً كبيراً من ناحية التشجيع والمشاركة في العلوم، ويحتل الحكم المستنصر مكانة فريدة بين هؤلاء، فيذكر أنه كان جامعاً للعلم مكرماً للأفاضل، كبير القدر ذا نهمة مفرطة في العلم والفضائل، عاكفاً على المطالعة، جمع من الكتب ما لم يجمعه أحدٌ من الملوك، لا قبله ولا

---

(١) الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص١١؛ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٥٢؛ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن: تاريخ دمشق، تح: عمر بن غرامه العمري، ج١٠، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م، ص٣٥٦.

(٢) هو إسماعيل بن القاسم بن هارون بن عيزوب أبو علي القالي المعروف بالبغدادي. القفطي: أنباء الرواة على أنباء النحاة، ج١، ص٢٣٩-٢٤١.

(٣) القفطي، أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف: أنباء الرواة على أبناء النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١،ج١، دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٩٨٢م، ص٥١.

بعده، وتطلبها وبذل في أثمانها الأموال، مع صفاء السريرة والعقل والكرم، وضاقت خزانته بالكتب التي صارت إليه(١).

ج) الرحلات والاتصالات العلمية والثقافية مع الأقطار الأخرى: سواءً أكانت هذه بين علماء الأندلس أم الحكام الأمويين من جهة، أم بين علماء المشرق في مصر وبغداد وغيرها من البلاد الإسلامية من جهة أخرى، وقد رحل كثير من الفقهاء إلى المشرق لتلقي العلوم منذ قيام الدولة الأموية، ففي عهد عبد الرحمن الداخل كان خروج أحمد بن زياد اللخمي(٢)، الذي أدخل مذهب مالك إلى الأندلس بعد أن تعلم على يد مالك في المدينة(٣)، واستمرت هذه الرحلات العلمية في عهد من خلفه من الحكام فخرج كثير من الفقهاء وعادوا بكثير من العلوم، منها إيفاد الأمير عبد الرحمن الأوسط قبل أن يتولى الإمارة العالم القرطبي عباس ابن ناصح(٤) إلى العراق؛ لكي يبحث له عن المؤلفات العلمية من اليونانية والفارسية التي ترجمت إلى العربية، وأن ينسخها له(٥).

---

(١) الأزدي، أبو داود سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، تح: شعيب الارناؤوط – ومحمد كمال قرهة، ط١،ج١، دار الرسالة العلمية، بيروت، ٢٠٠٩م، ص١٠٧؛ ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج٢، ص١٩٤.

(٢) هو أحمد بن زياد بن محمد بن زياد بن عبد الرحمن اللخمي الأندلسي، وهو من ولد سطبون، وهو زياد بن عبد الرحمن صاحب مالك بن أنس. ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٣٣٣.

(٣) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٣٣٣.

(٤) هو عباس بن الناصح الشاعر الثقفي من أهل الجزيرة. ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص٣٤١.

(٥) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٤٥.

والأمر نفسه للحكام الأمويين فكان دورهم يتمثل في دعم العلماء المشهورين واستدعائهم من المشرق؛ إذ يذكر أن الخليفة الحكم المستنصر كان يوجه سراً كل عام إلى كل واحد من علماء مصر صلة سنية مئتي مثقال ويخص ابن شعبان(١) بضعفها(٢)، ولم تقتصر هذه الاتصالات على خروج الفقهاء الأندلسيين إلى المشرق، ودعم حكام بني أمية للعلماء في الخارج؛ بل تعدى ذلك إلى قدوم عددٍ كبيرٍ من العلماء المشارقة إلى الأندلس، ونشر ما يمتلكون من علوم ومعارف كالفقيه أبي علي البغدادي المذكور سابقًا، الذي قدم إلى الأندلس في عهد الخليفة الناصر، ونشر علمه في الأندلس(٣)، وكذلك ما كان يقوم به عبد الرحمن ابن فطيس(ت٤٠٢هـ) العالم في التفسير والحديث من اتصالات علمية بعلماء المشرق يكاتبهم ويكاتبونه(٤)، وهذا يدخل في إطار الاتصالات العلمية.

د) بناء المؤسسات التعليمية: وتشمل المساجد، والكتاتيب وغير ذلك مما كان له أثر بالغ في دفع الحركة التعليمية في البلاد، وقد اعتنى ولاة الأمر بهذا الجانب ودعموا القائمين عليها، إذ يذكر أن المكتبات التي أقامها الخليفة الحكم بن عبد الرحمن الناصر لتعليم الصبيان في قرطبة وحدها بلغ عددها سبع وعشرون مكتبة(٥)، والأمر نفسه في بناء المساجد والتي

---

(١) هو ابن شعبان أبو إسحاق محمد بن القاسم العامري شيخ المالكية في مصر، تُوفيّ سنة ٣٥٥هـ. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٧٩.

(٢) الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٣٣٥.

(٣) الضبي: بغية الملتمس، ج١، ص٧١.

(٤) الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٣٢٥.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٠.

كانت من أولي اهتمامات الحكام الأمويين فأقاموا كثيرًا منها في مناطق ومدن الأندلس ومدنها المختلفة(١).

هـ) استقرار الأوضاع في الأندلس: كان للوضع الأمني دوره الرائد في النهضة العلمية وخاصة في عهد الخلافة التي امتازت بالأمن والأمان، وتوافد العلماء من الخارج، ويتمثل ذلك في عهد الخليفة الحكم المستنصر، الذي ورث عن والده دولةً قويةً مستقرةً، ذات خزانة عامرة بالأموال، فنجده يوجه اهتمامه إلى الجانب العلمي، فكان يبعث في شراء الكتب إلى الأقطار رجالاً من التجار ويرسل إليهم الأموال لشرائها، نذكر منها كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني، الذي دفع له ألف دينار من الذهب مقابل الكتاب، فأرسل بنسخة له قبل أن يخرجه إلى العراق(٢)، فذاع صيته وتوافد العلماء عليه؛ بناءً على طلبه أو سماعاً بحبه للعلم والعلماء وإغداقه كثيرًا من الأموال عليهم وإكرامهم، وتشجيعه لهم في عملية التأليف، نذكر منهم أبا علي إسماعيل بن الحسين البغدادي الذي قدم إلى الأندلس في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، وصنف له ولولده المستنصر كثيرًا من المؤلفات؛ إذ يذكر أنه قدم بناءً على طلب الحكم المستنصر وهو لا يزال أميرًا(٣).

---

(١) ينظر ص١١٤وما بعدها.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٩٣-٣٩٥؛ ول ديورانت، ويليام جمس: قصة الحضارة، تر: زكي نجيب محمود، ج١٣، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م، ص٢٨٥.

(٣) الضبي: بغية الملتمس، ج١، ص٧١.

و) انتشار التعليم: نظراً للجهود التي بذلها ولاة الأمر في التشجيع والدعم والبناء في مجال التعليم، أصبح التعليم متاحًا للجميع، وأدى هذا بذلك إلى توجه معظم أبناء الأندلس إلى طلب العلم والاستفادة من العلماء، وكان يجري الامتحان على الطلبة لكي يتخرج المبرزون منهم بنظام الإجازة(١).

لم يقتصر ذلك على طلاب العلم من المجتمع الإسلامي؛ بل سعى معظم النصارى إلى طلب العلم، ومعرفة كثير من علوم العرب، واتقنوا ذلك، وهذا ما يؤكده المؤرخ الغربي لين – بول(٢) أن كل الموهوبين من الشبان النصارى لا يعرفون إلا لغة العرب وآدابها، ويؤمنون بها، ويقبلون عليها بشغف، وينفقون أموالاً طائله في جمع كتبها.

ز) صناعة الورق: عرف العرب صناعة الورق في بداية الأمر عن طريق اتصالهم بالصينيين الذين كانوا قد اكتشفوها نهاية القرن الأول الميلادي، وبعد الفتح العربي لآسيا الوسطى، انتشر استعمال الورق في أنحاء العالم الإسلامي كافة، وأقيمت له مراكز لصناعته في دمشق(٣)، وأدخل الشاميون صناعة الورق إلى الأندلس بعد سقوط الدولة الأموية في

---

(١) حامد الشافعي دياب: الكتب والمكتبات في الأندلس، ط١، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٣١. وتعني الإجازة أن المتعلم قد حصل محتوى الكتب التي درسها وصار أهلا للاستقلال في هذا الفرع أو ذاك من فروع العلم، فيمكنه بعد ذلك أن يعلم غيره أو يروى له من الأحاديث أو يفتي للناس فيما أجيز له. الخولي، عبد البديع عبد العزيز عمر: الفكر التربوي في الأندلس (٤٠٣-٤٨٧هـ)، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٧٠.

(٢) الحضارة العربية في إسبانيا، ص١٠١.

(٣) كرد علي، محمد بن عبد الرزاق بن محمد: خطط الشام، ط٣، ج٤، مكتبة النوري، دمشق، ١٩٨٣م، ص٢٢٢.

المشرق(١)، ونشطت صناعة الورق في الأندلس لسد حاجات التأليف وأمور الدولة المختلفة، ووجدت عديد من مراكز صانعة الورق في الأندلس في طليطلة وبلنسية وغرناطة يصنع فيها أجود أنواع الورق(٢)، وتعدُّ صناعة الورق من أهم الصناعات لدعم نشر العلم والأفكار في العالم(٣).

ح) انتشار حركة الترجمة والنسخ في الأندلس: وكان ذلك نتيجة اهتمام الحكام الأمويين لمعرفة ما تحويه الكتب العربية وغير العربية والإفادة منها لذلك أولوا اهتمامهم بهذا الجانب فبحثوا عن الكتب المهمة خارج الأندلس ونسخها أو ترجمتها، كإيفاد الأمير عبد الرحمن الأوسط، العالم القرطبيَّ عباسَ بن ناصح إلى العراق لكي يبحث له عن المؤلفات العلمية من اليونانية والفارسية التي ترجمت إلى العربية، وأن ينسخها له(٤). وكذلك ما ذكر عن الخليفة عبدالرحمن الناصر وولده المستنصر اللذين كانا يستجلبان كثيرًا من الكتب إلى قرطبة ويترجمانها إلى العربية، نذكر منها كتاب النباتات الطبيعية، الذي طلبه الخليفة الناصر من الإمبراطور البيزنطي كونستانتان السابع الذي تُرجم في قرطبة على يد الراهب نيقولا(٥) من الإغريقية إلى اللاتينية، ثم ترجم الطبيب اليهودي حسداي بن شبروت(٦) الكتاب من اللاتينية إلى العربية، وهؤلاء المترجمون

---

(١) المرجع نفسه والجزء، ص٢٢٣.

(٢) حامد الشافعي: الكتب والمكتبات، ص٣١.

(٣) المرجع نفسه، ص٦٠.

(٤) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٤٥.

(٥) لم أعثر على ترجمة له.

(٦) لم أعثر على ترجمة له.

استقدمهم الخليفة الناصر سنة ٣٤٠هـ من الإمبراطور البيزنطي؛ بناءً على طلبه لكي يعلموا عبيداً ليكونوا مترجمين له(١). وهذا يؤكد بروز حركة الترجمة بوضوح في ظل حكم الأمويين للأندلس، وهوما سهل عليهم الاطلاع على علوم الأمم الأخرى والعِلْم بمحتواها والاستفادة منها وتطويرها.

والأمر نفه بالنسبة للتأليف؛ إذ يذكر أن الخليفة الحكم المستنصر قد أنشأ بيتاً خاصًا للمقابلة والنسخ في القصر، وكان يشرف عليها بنفسه(٢)، ويذكر أيضاً أنه جمع كثيرًا من الحذاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والإجادة في التجليد، فاجتمعت في الأندلس خزائن من الكتب لم يمتلكها أحد من قبله أو بعده(٣).

٢- **المؤسسات التعليمية:**

كان من ضمن اهتمامات الأمويين بالعلم، ونشر التعليم في الأندلس، إقامة أماكن خاصة بهذا الجانب، ودعم القائمين عليها، تعرف حديثاً بالمؤسسات التعليمة، وتتمثل في الآتي:

أ) المساجد: هي من أهم المؤسسات التعليمية المهمة منذ قيام الدولة الأموية في الأندلس؛ لذلك اهتم بنو أمية بتشييد المساجد والتفنن في

---

(١) ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٠م، ص٤٩٤؛ بيكروسا: علم الفلاحة، ص١٣-١٤ .

(٢) اليحصبي، أبو الفضل عياض بن موسى: الإلمام إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تح: السيد أحمد صقر، ط١، ج١، دار التراث، القاهرة، ١٩٧٠م، ص١٦٥.

(٣) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٨٦.

زخرفتها، لكي تكون مقرًّا للعبادة، ومكانًا لتلقي العلم، فكان جامع قرطبة يسمو على غيره من المساجد الأخرى في عملية التعليم، ومثالاً يحتذى به كل مساجد الأندلس؛ فتوافد العلماء عليه، ثم جامع الزهراء، وكان الفقهاء يلقون محاضراتهم في المسجد في حلقات(١)، وهذا ينطبق على سائر المساجد في كورة الأندلس جميعًا؛ وهذا ما أكده المقرى(٢) أن أهل الأندلس ليس لديهم مدارس تعينهم على طلب العلم؛ بل يقرؤون العلوم جميعًا في المساجد بأجرة.

وفي عهد الخلافة ومع ازدهار النهضة الفكرية، أصبحت هناك دراسات متخصصة في كل علم، فأنشئت جامعة قرطبة المتخصصة للدراسات العليا في عهد الخليفة الحكم المستنصر، الذي سعى وبذل جهدًا كبيرًا من أجل إنشاء هذا الصرح العلمي الكبير؛ لكي تتباهى به الأندلس على غيرها من الدول الأخرى، شملت مدرسين ذوي تخصصات مختلفة، وتوافد عليها الآلاف من طلبة العلم من الداخل والخارج(٣).

ب) الكتاتيب: هي الأخرى كانت أحد المراكز التعليمية بعد المسجد الجامع في تلقي العلم والاستفادة من العلماء، وفيها يتم يُدرس المبتدئون من الصبيان، إلا أن ظهور مثل هذه المرافق كان في وقت متأخر من حكم بني أمية لاسيما في عهد الخليفة الحكم المستنصر؛ إذ يذكر أنه أقام في قرطبة

---

(١) ابن بشكوال: الصلة، ج١، ص٢٣٣،٨٧.

(٢) نفح الطيب، ج١، ص٢٢٠.

(٣) ول ديورانت: قصة الحضارة، ج١٣، ص٢٨٥؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص٥٠٧.

سبعًا وعشرين مكتبة لتعليم الصبيان مجاناً، ودعم القائمين عليها، منها ثلاث مكتبات حول المسجد الجامع، والأخريات موزعة على أرباض قرطبة(١).

بالإضافة إلى بيوت الفقهاء الذين كانوا يؤدبون في بيوتهم، والتي كان لها دور بارز في عملية نشر التعليم، وتعدُّ من مرافق التعليم في الأندلس، وذلك مثل الفقيه إبراهيم بن مبشر بن شريف البكري؛ إذ يذكر أنه كان يعلّم في دكانه قرب المسجد الجامع بقرطبة، وينقط المصاحف، ويعلم المبتدئين من طلبة العلم(٢)، وهذا ما يعرف في العصر الحديث بالمدارس الخاصة.

٣- مراحل التعليم وطرائقه(٣):

اقتصرت عملية التعليم في الأندلس في ظل دولة الأمويين في بداية الأمر على تعليم القراءة والكتابة؛ وذلك لما للقرآن أصل في ذلك فهو منبع الدين والعلوم وجعلوُهُ أصلاً للتعليم، هذا الذي يراعونه في التعليم، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسيل، وأخذهم بقوانين العربية وحفظها، وتجويد الخط والكتابة، ولا تختص عنايتهم بالقرآن من دون غيره؛ بل عنايتهم بها جميعاً

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٠.

(٢) ابن بشكوال: الصلة، ج١، ص٨٩.

(٣) في حين ذكر ابن الأزرق السبب في ذلك نتيجة لتناقض عمران المسلمين بالأندلس، ولم يبق من رسم العلم فيهم إلا فن العربية والأدب، لاقتصارهم عليه والمحافظة على سنن تعليمه، وأما الفقه فرسم خال وأثر بعد عين، وأما العقليات فلا أثر ولا عين لانقطاع سند التعليم فيها لتناقض العمران. بدائع السلك، ج٢، ص٣٤٠.

إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة(١)، وتعد هذه المرحلة الأولى من التعلّم، التي تقتصر على القرآن واللغة العربية وقليل من الشعر(٢)، وهذا يؤكد أن المرحلة الثانية من التعليم تبدأ بعد أن يتجاوز المتعلم مرحلة البلوغ، ثم التعلم في العلوم جميعًا، ويتبين ذلك فيما ذكره المقري(٣) أن الأندلسيين كانوا يقرؤون جميع العلوم في المسجد.

أما الطريقة التي بوساطتها يتلقى المتعلم معارفه، فكانت تجري بالمحاورة والمناظرة، فهو الذي يقرب شأنها، وطالب العلم منهم تجده بعد ذهاب كثير من عمره ملازماً المجالس العلمية(٤)، ومن مزايا هذه الطريقة أن من شأنها بناء شخصية المتعلم؛ لأن المتعلم الذي يتمتع بحرية النقاش والمناظرة يكون واثقاً من نفسه، وما يعلمه من علم(٥).

وكان القائمون على التدريس في بداية الأمر يمارسون أعمالاً أخرى إلى جانب التدريس، كالزراعة والصناعة والتجارة، واستمر ذلك حتى أُنشئت جامعة قرطبة في عهد الخليفة الحكم المستنصر، فجعل وظيفة التدريس وظيفة خاصة، وأمرهم أن يتفرغوا للتدريس والتعليم حتى يبدعوا فيه(٦)؛ لذلك تميزت الجامعة الأندلسية بجودة التعليم التخصصي، وذاع صيتها، وتوافد طلبة العلم عليها من المشرق والغرب.

---

(١) ابن الأزرق: بدائع السلك، ج٢، ص٣٦٥.

(٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(٣) نفح الطيب، ج١، ص٢٢٠.

(٤) ابن الأزرق: بدائع السلك، ج٢، ص٢٤٠.

(٥) الخولي: الفكر التربوي في الأندلس، ١٩٨٥م، ص٦٧.

(٦) عنان: دولة الإسلام، ص١٢.

٤- العلوم وازدهارها:

أفرزت الحركة العلمية في عهد الأمويين بالأندلس ازدهاراً علميًّا ومعرفيًّا نتيجة لجهود القائمين عليها ودعمها سواء أكانوا ولاة أمر أم علماء، ولذلك تميز علماء الأندلس بأنهم كانوا يتقنون كثيرًا من العلوم ويبدعون فيها، وتتمثل هذه العلوم فيما يأتي:

أ) العلوم الدينية:

كان للروح الدينية التي سادت بين سكان الأندلس منذ قيام الدولة الإسلامية، واهتمام ولاة الأمر بالدين وعلمائه، ومشاركتهم فيه، أثر كبير في ازدهار العلوم الدينية.

- **القرآن:** زاد الإقبال على دراسة القران الكريم كونه المصدر الأول في التشريع الإسلامي، وبرزت شخصيات علمية كثيرة في دولة الأمويين في الأندلس، ففي مجال التفسير كان الفقيه بقي بن مخلد أكبر المفسرين في الأندلس وله عددٌ من المؤلفات، أهمها: تفسير القرآن؛ ومسند النبي ﷺ(١)، والفقيه إبراهيم بن مرنتيل من أهل قرطبة، ومن مؤلفاته: تفسير القرآن، الذي رُوي عنه(٢)، وممن برز من العلماء في التفسير في عصر الخلافة عبد الرحمن بن فطيس وكان عالماً بالتفسير والحديث وتاريخ الرجال؛ إذ يذكر أن له ستة وراقين ينسخون ما يمليه من الحديث والأخبار أو ما يختار نقله من كتب غيره، ومن مؤلفاته: القصص والأسباب التي نزل من أجلها القرآن أكثر من مائة جزءًا، وكتاب المصابيح في تراجم

(١) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص١٠٩.

(٢) المصدر نفسه، ص١٦.

الصحابة نحو مائة وخمسين جزءًا، وكتاب الناسخ والمنسوخ نحو ثلاثين جزءًا(١).

ومن العلوم المتصلة بالقرآن علم القراءات الذي حظي بعناية كبيرة من ولاة الأمر، وممن برز من الفقهاء الذين أتقنوا القراءات الغازي بن قيس(٢) الذي يعدُّ أول من أدخل قراءة نافع إلى الأندلس، وضبط عنه اختياره؛ إذ يذكر أن الأمير الداخل كان يأتيه إلى منزله ويعظمه ويصله، فكان إمام الناس في القراءة، عاقلاً نبيلاً، رأساً في علم القرآن، كثير الصلاة في الليل(٣)، وكذلك الفقيه علي بن محمد بن إسماعيل بن محمد ابن بشر من أهل أنطاكيا، كثير القراءات، قدم الأندلس في عهد الخليفة الحكم المستنصر سنة ٣٥٢هـ، وكان عالماً بالقراءات لا يتقدمه في معرفتها أحدٌ آنذاك(٤)، وكان أهل الأندلس، قبل دخوله يقرؤون القرآن على أحمد الوراق(٥) ويعتمدون عليها.

---

(١) الضبي: بغية الملتمس، ج١، ص٧١.

(٢) هو الغازي بن قيس أبو محمد الأندلسي الإمام الشيخ المقرئ، رحل إلى المشرق في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، و شهد تأليف مالك الموطأ، وسمع قراءة نافع، و تُوفيَّ سنة ١٩٩هـ. ابن حيان: المقتبس، ج١، ص٢١٧؛ اليحصبي: ترتيب المدارك، ج٣، ص١١٤-١١٥، ص٢٤٥.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٣٢٢-٣٢٣.

(٤) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص٣٦١.

(٥) هو أحمد بن أبي الشعري الوراق المقرئ القرطبي، كان عالماً باللغة والشعر، ومن مؤلفاته كتاب الحدائق، سجن بمدينة جيان في عهد الخليفة الحكم المستنصر لأمور خالف بها الخليفة، أقام فيه عدة أعوام وكانت له أشعار ورسائل في محبسه للخليفة، وبعد وفاة الحكم، نفذ كتاب بإطلاقه، فلما علم بذلك فزع فمات. ابن بشكوال: الصلة، ج١، ص١١.

- **علم الحديث:** يعدُّ المصدر الثاني في التشريع، الذي نال اهتماماً كبيراً من الحكام الأمويين في الأندلس، وكانوا محبين للعلم مؤثرين لأهل الحديث(١)، وكان موطأ(٢) الإمام مالك مدار الدراسات المتصلة بالحديث، وممن برز من الفقهاء في هذا الجانب، وعلى يديهم انتشر الحديث في الأندلس، الفقيه بقي بن مخلد الذي بوساطته كثر الحديث في الأندلس وانتشر(٣)، والفقيه محمد بن وضاح(٤) الذي كانت له رحلتان إلى المشرق وسمع من عددٍ كبير من العلماء الشاميين، والمكيين، والمصريين، والبغداديين، حتى بلغ عدد الرجال الذين سمع منهم في الأمصار الإسلامية مائة وخمسة وسبعين رجلاً، فأصبحت الأندلس بعد عودته دار الحديث، وكان عالماً بالحديث بصيراً بطرقه حافظاً لعلله كثير العبادة، ورعاً زاهداً(٥)، وعلى يد هؤلاء برز عديد من المحدّثين في بلاد الأندلس، الذين أصبح لهم مكانة علمية كبيرة عند ولاة الأمر، وألفوا عددًا كبيرًا من الكتب(٦)، ومن هؤلاء الفقيه محمد بن يحيى بن مفرج، وهو

---

(١) الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٣٢٥.

(٢) أول من أدخل موطأ مالك إلى الأندلس الغازي بن قيس في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل. الفيروز آبادي: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ص٢٢٩.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٧، ص١٢٦-١٢٩.

(٤) هو الفقيه محمد بن وضاح بن بزيغ مولى الإمام عبد الرحمن بن معاوية، من أهل قرطبة يكنى أبا عبد الله، تُوفيّ سنة ٢٨٠هـ. الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص٩٤.

(٥) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج٢، ص١-٢؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص٩٤.

(٦) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج١، ص١٠٤، ١٠٩، ١١٥، ١١٩، ١٢٢، ١٤٠، ١٤٧، ١٦٠، ١٦١، ١٧٤، ١٧٦، ١٩٠، ١٩٥، ١٩٩، ٢٠٤، ٢١٦، ٢٢٩، ٢٦٦، ٣١٩.

محدّث وحافظ جليل، وحدّث بالأندلس وصنف كتاباً في فقه الحديث وفقه التابعين(١)، والإمام محمد بن حنون الحجازي، الذي كان إماماً في الحديث عالماً به، حافظاً لعلله بصيراً بطرقه، لم يكن بالأندلس في وقته أبصر منه، تُوفيّ سنة ٣٠٥هـ في بداية عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر(٢)، وكذلك الفقيه ابن فطيس(٣) الذي كان له سعة علم في عدد من العلوم؛ منها: الحديث، وألف فيه كتاب الإخوة المحدّثين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين في أربعين جزءًا(٤)، وكتاب الروع والأهوال، وكتاب الدعاء(٥).

- **الفقه:** هو الآخر لقي عناية فائقة من الحكام الأمويين منذ قيام دولتهم في الأندلس فالأمير عبد الرحمن الداخل كان على علم بالشريعة وفروعها، وممن برز في عهده من الفقهاء محمد بن خالد بن مرنتيل الأندلسي الذي كان عارفاً في الفقه ومن مؤلفاته كتاب طبقات الفقهاء(٦)، وكذلك الأمير هشام الرضى كان مبرزاً في الفقه والحديث وكانت الحركة الفقهية تدور حول المذهب المالكي، وبرز عديد من رواد هذا العلم نذكر منهم يحيى بن

---

(١) تُوفيّ سنة ٣٨٠هـ. الضبي: بغية الملتمس، ص٤٩.

(٢) الضبي: بغية الملتمس، ص٥٥.

(٣) هو ابن فطيس الإمام الحافظ المحدث الأندلسي أبو عبد الله محمد بن واصل المغافقي الأندلسي الألبيري، ولد سنة ٢٢٩هـ، ارتحل إلى المشرق، وأخذ عن كثير من علمائها، وعاد إلى الأندلس بعلم غزير، تُوفيّ سنة ٣١٩. الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان: تذكرة الحفاظ، ط١، ج٣، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٨م، ص١٧.

(٤) الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٣٢٥.

(٥) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ص١٧.

(٦) الضبي: بغية الملتمس، ج١، ص٦٦؛ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٤، ص٤٢.

يحيى الليثي، الذي تولى الفتيا في الأندلس وكانت له مكانة كبيرة لدى الحكام الأمويين المعاصر لهم لعلمه ومكانته، ومن مصنفاته في الفقه كتاب يعرف بالمستخرجة من الأسمعة من مالك، ويعرف أيضاً بالعتبيهة(١)، وكذلك أستاذه زياد بن عبد الرحمن اللخمي أول من أدخل مذهب مالك إلى الأندلس، وعلى يديه درس الفقيه يحيى بن يحيى مذهب مالك في بداية الأمر قبل ذهابه إلى مكة(٢)، والفقيه عيسى بن دينار(٣)الذي كان إماماً في الفقه على مذهب مالك، مبرزاً فيه، ويفوق الفقيه يحيى بن يحيى بعلمه ومعرفته(٤)، ومن الفقهاء الذين كانت له معرفة واسعة في الفقه، الفقيه عبدالملك بن حبيب، الذي ذهب إلى المشرق ثم عاد إلى الأندلس بفقه كثير، وله مصنفات كثيرة، أهمها: كتاب الواضحة، والجامع، وفضائل الصحابة، وتفسير الموطأ، وحروب الإسلام،

---

(١) سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ط١، ج٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م، ص٣٦٩.

(٢) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ح١، ص١٨٣.

(٣) هو الفقيه عيسى بن دينار بن واقد الغافقي، يكنى أبا عبد الله طليطلي، صحب عبد الرحمن بن القاسم العتقي صاحب مالك وتفقه به، وعيسى بن دينار ممن اتهم من الأمير الحكم الربضي يوم هيج الربض بقرطبة فاستخفى وأمنه الأمير الحكم بن هشام فرجع إلى قرطبة، وكان عيسى عالماً عابداً فاضلاً ورعاً، وكانوا يرون في الأندلس أنه مجاب الدعوة لعلمه ودينه. الصدفي، عبد الرحمن بن أحمد: تاريخ ابن يونس المصري، ط١، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ، ص١٦٤؛ ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص٣٧٤.

(٤) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص٣٧٤.

وسيرة الإمام في الملحدين، وطبقات الفقهاء ومصابيح الهدى، وغيرها من الكتب، وكان موصوفاً بالحذق في مذهب مالك(١).

وعلى يد هؤلاء ذاع مذهب الإمام مالك في الأندلس منذ عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل الذي كان مشاركاً ومشجعاً على ذلك(٢)، واستمر هذا المذهب ملازماً لدولة بني أمية حتى سقوطها.

ج) **العلوم اللغوية:**

- **اللغة والنحو:** تعد اللغة العربية إحدى الركائز الأساسية في نشر العلم في الأندلس، حتى أصبحت اللغة الرسمية للبلاد في معاملاتها؛ كونها لغة القائمين على حكم الأندلس من الأمويين، ولغة التعليم في المؤسسات التعليمية آنذاك، وزاد من انتشارها العلماء القادمين من المشرق الذين أُثْروا الحياة العلمية بكثير من المصنفات والكتب، ونذكر من هؤلاء أبا علي القالي البغدادي، الذي قاد في الأندلس نهضة نحوية ولغوية كبيرة، وصنف للخليفة عبد الرحمن الناصر وولده المستنصر في مدينة الزهراء عدداً من المصنفات منها: كتاب الأخبار والأمالي، وكان ذلك في جامع الزهراء، وكتاب المقصور والمدونة الذي بناه على التفاعيل ومخارج الحروف من الحلق، وكذلك كتاب الإبل ونتاجها وما تصرف معها، وكتاب في حلي الإنسان والخيل وشِيَاتها، وكتاب فَعَلْت وأَفْعلَت، ومقاتل

---

(١) هو الفقيه عبد الملك حبيب بن سليمان بن هارون بن هاجمة بن مرداس السلمي القرطبي المالكي، ولد سنة ١٧٠ هـ، ذهب إلى مكة وتعلم فقه مالك، ثم عاد إلى الأندلس بعلم وفقه كثير، تُوفيّ سنة ٢٣٩. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٧، ص١٢٦-١٢٩.

(٢) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص٨٥، ١٣٧، ٣٠٢.

الفرسان، وتفسير القصائد والمعلقات وتفسير إعرابها ومعانيها، وكتاب البارع في اللغة العربية فبناه على حروف المعجم وجمع فيه كتب اللغة(١)، ومن القالي أخذ ابن سيده الذي كان إماماً في اللغة العربية في عهد الخليفة الحكم المستنصر، ومن كتبه في اللغة كتاب العلم ويتكون من مائة مجلد مرتب على الأجناس بدأ بالفلك وختم بالذرة، وله في العربية الكتاب المنبوز بكتاب العالم والمتعلم على المسألة والجواب، وكتاب شرح فيه كتاب الأخفش(٢).

ومن تلاميذ القالي في النحو واللغة؛ أيضاً أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي(ت٣٧٩هـ) النحوي اللغوي، أحفظ أهل زمانه للإعراب والفقه واللغة والمعاني، ومن مؤلفاته: اختصار كتاب العين، وكتاب طبقات النحويين واللغويين في الأندلس والمشرق، الذي أمره بتصنيفه الخليفة الحكم المستنصر، وجاء فيه ذكر النحويين واللغويين من صدر الإسلام ومن تلاهم حتى عصر المؤلف، وكتاب الواضح في النحو(٣)، وممن برع في

---

(١) الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص١٦٥؛ القفطي، إنباه الرواة على أنباء النحاة، ج١ص٢٣٩-٢٤١.

(٢) ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج٢، ص١٨٢؛ الحموي: معجم الأدباء، ج١، ص١٦٤؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص٤٠٥. والأخفش: هو العالم النحوي علي بن سليمان بن الفضل أبو الحسن النحوي البغدادي، وهو من مشاهير نحويي البصرة، وهو أحذق أصحاب سيبويه، تُوفيّ سنة ٣١٥هـ. السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان: أخبار النحويين البصريين، تح: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم، ج١، الأزهر الشريف، ١٩٦٦م، ص٤٠.

(٣) الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن: طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٣م، ص١٧؛ الحموي: معجم البلدان، ج٢،=

علم اللغة وألف فيها ابن القوطية(١) الذي كان يعدُّ أبرع الناس في زمانه بعلمه وطموحه في اللغة والأدب، وأخذ عنه كثير في مجال اللغة، ومن مؤلفاته في اللغة كتاب تصاريف الأفعال، وكتاب المقصور والممدود جمع فيه مالا يُحدُّ ولا يُوصف، ولقد أعجز من يأتي بعده وفاق تقدمه(٢).

الملاحظ أن اهتمام الأندلسيين في بداية الأمر كان بالنحو الكوفي الذي كانوا يؤدبون به، وأول من أدخله جودي بن عثمان المروري الذي ذهب إلى المشرق في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، وتتلمذ على الكسائي والفراء، ثم عاد إلى الأندلس واستمر يقرئ به حتى وفاته سنة ١٩٨هـ(٣)، واستمر الأمر على ذلك حتى قدوم أبي علي القالي ونشر النحو البصري(٤).

- **الشعر والأدب:** كان للشعر مكانة خاصة لدى حكام بني أمية في الأندلس، لذلك أولوا اهتمامهم بهذا الجانب وشاركوا فيه، واختص كل واحد

=ص٧٣١؛ الضبي: بغية الملتمس، ج١، ص٢٣٢؛ الثعالبي: يتيمة الدهر، ج٢، ص٨٠-٨١؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٢٢٦.

(١) هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم المعروف بابن القوطية، كان أعلم الناس في اللغة العربية والأدب حافظاً للفقه والحديث والأخبار والنوادر، وأووى الناس للأشعار، وأدركهم للآثار، تُوفيّ سنة ٣٦٧هـ في قرطبة. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٣٦٨-٣٦٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٢٦٩.

(٢) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج٢، ص١١؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٣٦٩.

(٣) السيوطي: بغية الوعاة، ج١، ص٤٩٠. هو جودي بن عثمان العبسي المروري الطليطلي الأصل، وهو أول من أدخل نحو الكسائي والفراء إلى الأندلس، وولى قضاء إلبيرة.

(٤) شوقي ضيف، أحمد شوقي عبد السلام: المدارس النحوية، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م، ص١٨٨-١٩٠.

منهم بشاعر يهجوه ويخلّد مآثره؛ إذ يذكر أن الأمير عبد الرحمن الداخل يعد أول شخصية برزت في مجال الشعر والأدب(١)، وسنكتفي هنا بذكر الشخصيات المرموقة في الشعر والأدب في ظل دولة الأمويين، مع أهمية تأكيد كيفية نشأة الشعر، ودعم القائمين عليه، وممن برز في عهد الأمير الداخل من الشعراء أبو المخشى(٢)، كان شاعر الأمير عبد الرحمن الداخل، وكان شاعراً مطبوعاً مجيدًا حلو الألفاظ بارع المعاني ومن شعره بعد ما تعرض لسمل عينيه من الأمير هشام الرضى ما يأتي:

خضعت أم بناتي للعدى ... أن قضاى الله قضاء فمضى

ورأت أعمى ضريراً إنما... مشيه بالأرض لمس بالعصاء

فبكت وجداً وقالت قولة ... وهي حرى بلغت مني المدى

ففؤادي خرج من قولها ... ما من الأدواء داء كالعمى

وإذا نال العمى ذا بصر ... كان حياً مثل ميت قد ثوى(٣).

---

(١) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص٦٩١.

(٢) كان أبو المخشى شاعر الأندلس أيام الأمير الداخل، وكان منعطفاً إلى ابنه سليمان، وكان هشام الرضى يشنؤه لانقطاعه إلى أخيه، فبغى عليه عنده وأنشد له أبياتًا صنعت على لسانه، يعايره فيها على حول كان في الأمير هشام بن الداخل، في الوقت الذي كان والياً على ماردة في عهد أبيه، فاستدرج أبو المخشى إليه، فعاتبه على شعره ثم أمر بسمل عينيه وقطع لسانه، ولما بلغ الداخل ذلك شق عليه الأمر، وكتب إلى ابنه يعنفه على ذلك، ودفعت بعد ذلك الدية من الأمير الداخل مضاعفة، كما ندم هشام على ما اقترفه بعد ذلك. ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج٢، ص٥٧؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج٤، ص١٩٦-١٩٧.

(٣) الحميدي: جذوة المقتبس، ص٤٠١-٤٠٢.

وأنشد بهذه الأبيات صبي كان قد دربه على ذلك، أمام الأمير عبد الرحمن الداخل، عندما قصده بعد سمل عينيه، فرق له واستعبر، ودعا بألفي دينار فأعطاه إياها وضاعف له دية العينين(١).

وفي عهد الأمير الحكم الربضي ازدهرت الحياة الأدبية والشعرية، وكان مشاركاً فيها، وبرز عددٌ من الشعراء، ومن شعر الأمير الحكم الربضي بعد قضائه على حركة الربض التي قامت ضده ما يأتي:

رأيت صدوع الأرض بالسيف رافعا... وقدما لأمت الشعب منذ كنت يافعا

فسائل ثغوري هل بها اليوم ثغرة ... أبادرها مستنضي السيف دارعا

وشافه على الأرض الفضاء جماجما... كأقحاف منثور الهبيد لوامعا(٢)

ومن الشعراء في عهد الإمارة أيضا، عباس بن ناصع الجزيرى، ويحيى بن الغزال(٣) شاعر الأمير عبد الرحمن الأوسط، وكان شاعر الأندلس وعرافها آنذاك(٤)، وعباس بن فرناس(٥) وهو شاعر وأديب برز في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط ومن شعره في وصفه روضة:

---

(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج٢، ص٥٧.

(٢) صلاح الدين، محمد شاكر بن أحمد: فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، ط١، ج١، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م، ص٣٩٣.

(٣) هو يحيى بن الحكم الجياني فيلسوف وشاعر الأندلس، من أصل عربي، ولد في مدينة جيان في الأندلس، ولقب بالغزال لأناقته وجمال هيئته، كان من الندماء المقربين للأمير عبد الرحمن الأوسط، فأعجب به ووثق به فأوفده في سفارة إلى إمبراطور الدولة البيزنطية، فقام بمهمته خير قيام، فشجع الأمير ذلك النجاح فبعث به إلى ملك النورمان ليتباحث معه في أمر الصلح بين الدولتين، تُوفيّ سنة ٢٥٠هـ. ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٥٧؛ المقرى: نفح الطيب، ج٢، ص٢٥٤-٢٥٦.

(٤) المقرى: نفح الطيب، ج٢، ص٢٥٤-٢٥٦.

(٥) هو عباس بن فرناس أبو القاسم شاعر وأديب وفيلسوف له علم بالفلك، في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، وهو مخترع أندلسي من أهل قرطبة من موالي بني أمية، وهو أول=

ترى وردها والأقحوان كأنه...بها شفة لمياء ضاحكها ثغر(١)

ومن الشعراء المبرزين الذين كانت لهم مكانة كبيرة عند الأندلسيين لشعره وأدبه، وأخذوا عنه، الشاعر الأديب ابن عبد ربه(٢) الذي يعد من علماء الأندلس المكثرين من المحفوظات والاطلاع على أخبار الناس، وأول من أدخل الموشحات إلى الشعر الأندلسي، وصنف كتاب العقد الفريد الذي يعد من الكتب الماتعة من كل شيء، وله ديوان شعر، ومن شعره ما يأتي:

يا ذا الذي خط العذار بوجهه ... خطين هاجا لوعة وبلابلا

ما صح عندي أن لحظك صارم... حتى لبست بعارضيك حمائلا(٣)

وعاش ابن عبد ربه مدة طويلة عاصر فيها ثلاثة من الحكام الأمويين ابتداءً بالأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط حتى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ومن مدائحه للخليفة الناصر في حروبه والانتصارات التي حققها ضد المتمردين، وأول تلك الأرجوزة لذكر غزوات الناصر ما يأتي:

=من استنبط في الأندلس صناعة الزجاج من الحجارة، وصنع الميقانة لمعرفة الأوقات، وأراد تطيير جثمانه فكسا نفسه الريش ومد له جناحين وطار بهما في الجو مسافة بعيدة، فسقط فتأذى ظهره، ويعدُّ أول طيار اخترق الجو، تُوفيّ سنة ٢٧٤هـ. ابن سعيد المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٣٣٣؛ المقرى: نفح الطيب، ج٣، ص٣٧٣؛ الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٣٢٥.

(١) الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٣٢٥.

(٢) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن جدير بن سالم القرطبي، مولى هشام بن عبد الرحمن الداخل، تُوفيّ في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٢٨هـ. ابن الخطيب: الإحاطة، ج٢، ص١٨٦.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص١١٠؛ ابن بسام: الذخيرة، ج١، ص٤٦٩.

سبحان من لم تحُزه أقطار ... ولم تدركه الأبصار(١)

وفي أيام تسلط بني عامر على الخلافة، واهتمام المنصور بن أبي عامر بالحياة الأدبية والشعرية، برز عددٌ من الشعراء، منهم: الشاعر أحمد بن دراج القسطلي (ت٤٢١هـ)، الذي كان ماهراً في الأدب فقد كان كاتب إنشاء، وكذلك كان شاعرًا، وكان يمدح المنصور بن أبي عامر، ومن قصائده:

تضاءلها فجر النُّها فناها...عن الدنف المضني بحر هواها(٢).

وكان ابن دراج أحد شعراء بلاط المنصور، ويفوقهم مكانة، وظل يساير ركاب المنصور في سلمه وحربه، وكذلك في عهد ابنه المظفر، ثم أخيه من بعده، حتى سقوط هذه الأسرة سنة ٣٩٩هـ(٣)

وممن برز في الشعر والأدب في عهد الخلافة أيضاً الشاعر والأديب ابن الفرضي(٤) الذي كان فقيهاً عالماً في فنون من العلم والحديث وعلم الرجال والأدب والتاريخ، ومن تصانيفه في الشعر كتاب في أخبار شعراء الأندلس؛ إذ

---

(١) ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد: العقد الفريد، ط١، ج٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ، ص٢٤٣وما بعدها.

(٢) الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى: جواهر الأدب في أبيات وإنشاء لغة العرب، تح: لجنة من الجامعيين، منشورات المعارف، بيروت، ١٣٨٩هـ، ص٨.

(٣) الهاشمي: جواهر الأدب، ص٥٨-٥٩. تُوفيّ سنة ٤٢١هـ. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص١٠٧.

(٤) هو أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي الأندلسي القرطبي الحافظ المعروف بابن الفرضي، ولد في مدينة بلنسية سنة ٣٥١هـ، وقتل على يد البربر في أثناء دخولهم قرطبة في عصر الفتنة سنة ٤٠٣هـ. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص١٠٥-١٠٦.

يذكر أنه رحل من الأندلس إلى المشرق سنة ٣٨٢هـ، فحج وأخذ من العلماء، ومن أبيات شعره الديني ما يأتي:

أسير الخطايا عند بابك واقف... على وجل مما أنت عارف(١)

وفي أواخر دولة بني أمية في الأندلس، برز عدد من الشعراء الذين أتقنوا الشعر والأدب، وأبدعوا فيه على الرغم من الظروف الصعبة التي عاشتها الأندلس آنذاك، وانشغال الحكام عن الجانب العلمي، وانصباب اهتمامهم نحو الحكم والرياسة(٢).

وأبرز هؤلاء الشعراء الشاعر علي بن أحمد بن حزم(٣) وهو مشهور بالأدب والشعر، وكان في الدولة العامرية وعاش إلى أيام الفتنة، ومن كتبه في الشعر: كتاب في التشبيهات من أشعار أهل الأندلس؛ إذ يذكر أنه كان يمتلك فهمًا واسعًا في الأدب والشعر، وكان يمتلك شعرًا كثيرًا، وقد جمع على حروف المعجم(٤).

خلاصة القول، حظيت الأندلس في ظل دولة الأمويين باهتمامٍ كبيرٍ لجوانب الأدب والشعر من ولاة الأمر الذين شاركوا فيه، وهو الأمر الذي أدى إلى نهضة هذه الفنون وتقدمها، وبرز فيها عديد من الأدباء والشعراء الذين كان لهم الدور الأكبر في تميز هذه الفنون ونشرها، وكذلك ابتكار طرائق

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص١٠٥-١٠٦.

(٢) عنان: دولة الإسلام في الاندلس، ص٧٠٥.

(٣) هو علي بن أحمد بن حزم الظاهري، أبو محمد، عالم الأندلس في عصره وأحد أئمة الإسلام، ولد سنة ٣٨٤هـ، من مؤلفاته: الملل والنحل، والمحلَّى، والأحكام في أصول الأحكام، تُوفيّ سنة ٤٥٦هـ. الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص٣٠٨.

(٤) الحميد: جذوة المقتبس، ج١، ص٣٠٨-٣٠٩.

جديدة في تطورها وتقدمها، وذلك ميز علماء الأندلس وشعراءها من غيرها من البلدان الأخرى.

د) العلوم الإنسانية:

- **التاريخ والأنساب:**

بدأ الاهتمام بالتاريخ والأنساب في مرحلة متأخرة من حياة هذه الدولة، لاسيما في عهد الخلافة، عندما برز مجموعة من أعلام المؤرخين الذين وضعوا أسس الرواية التاريخية الأندلسية وفي مقدمة هؤلاء أحمد بن محمد الرازي، وابن القوطية، وأصبحت مؤلفاتهم تعد من أهم المصادر الأساسية في تاريخ الأندلس(١).

واتخذت طرائق التأليف في التاريخ طريقين: الأولى: النقل الشفهي والرواية(٢). والأخرى: اعتمدت على النقل من كتب رجال المشرق، مثل كتاب تاريخ الملوك للطبري(٣). ومن أهم هذه المناهج التاريخية التي ظهرت في ظل دولة الأمويين ما يأتي:

- الطبقات والتراجم: وهي تشمل كل الأعلام المشتغلين في نواحي المعرفة، ومثل هذه المؤلفات ظهرت في بداية عهد الخلافة، فمن كتب الطبقات: كتاب طبقات النحويين واللغويين للزبيدي، الذي يعد كتاب تراجم النحويين

---

(١) الضبي: بغية الملتمس، ص١٥١؛ الحموي: معجم الأدباء، ج٦، ص٢٥٩٣.

(٢) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، مج٢، ص٢١-٢٢،٢٣؛ الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص١- ١٧.

(٣) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص١- ١٧؛ حامد الشافعي دياب: الكتب والمكتبات في الأندلس، ص٤٠.

واللغويين، من عهد أبي الأسود الدؤلي في صدر الإسلام إلى عهد شيخه أبي عبد الله الريحاني إمام اللغة والنحو في الأندلس في القرن الرابع الهجري(١)، وكتاب طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل، الذي يعد أول كتاب أُفرد لتراجم الأطباء والحكماء في الأندلس، ومحتوى الكتاب يشمل تراجم الأطباء والحكماء، ويؤرخ لهم، وهو مرتب على تسع طبقات، ولكل طبقة عنوان خاص(٢).

أما فيما يخص كتب التراجم فيبرز فيما ألفه الخشني بناء على أوامر الخليفة الحكم المستنصر، في كتاب قضاة قرطبة وعلماء إفريقيّة، ويبحث عن أحوال الفقهاء والعلماء، والقضاة والأمراء، والكتاب والشعراء في الأندلس حتى عصر المؤلف(٣)، وكتاب ابن الفرضي الذي صنف كتاب تاريخ علماء الأندلس، الذي جمع فيه كل التخصصات، من العلماء والفقهاء والشعراء واللغويين في الأندلس(٤).

- كتب الأخبار: وتشمل على أهم الأحداث التاريخية، المتمثلة في قيام الدول وسير حكامها، وأهم الأحداث المعاصرة لهم، سواءً أكان ذلك حروبًا واقتتالًا، أم نهضةً وازدهارًا، وأبرز المؤرخين الذين كتبوا في هذا المجال، ابن القوطية في كتاب أسماه (تاريخ افتتاح الأندلس)، الذي يعدُّ من أهم

---

(١) الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٧٣١؛ الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص١-١٧؛ الضبي: بغية الملتمس، ج١، ص٢٣٢؛ الثعالبي: يتيمة الدهر، ج٢، ص٨٠-٨١؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٢٢٦.

(٢) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، المقدمة.

(٣) الخشني: قضاة قرطبة وعلماء أفريقية، ص١٠-١١.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص١٠٥-١٠٦.

المصادر التاريخية، التي تناولت تاريخ الأندلس منذ فتحها سنة ٩٢هـ، حتى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر(١)، وكذلك المؤرخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي، الذي صنف كتاباً في أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وركابهم وغزواتهم(٢)، والمؤرخ ابن حيان(٣) الذي صنف كتاب المبين في تاريخ الأندلس(٤).

- تاريخ المدن: الذي يحوي وصف الرجال بحسب البلاد والمدن، مثل: كتاب صفة قرطبة وخططها ومنازل العظماء للمؤرخ أحمد بن موسى الرازي(٥)؛ وكتاب المقتبس في أنباء الأندلس لابن حيان(٦).
- الأنساب: أولى الأندلسيون اهتماماً كبيراً بأنسابهم، وأفردوا لذلك عدداً من المؤلفات، ويعود ذلك لأسباب عديدة منها:

❖ اهتمام ولاة الأمر بالنسب والتركيز عليه، ولاسيما في تأليف كتب التراجم، وبرز ذلك في عهد الخليفة الحكم المستنصر.

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٢٢٠؛ الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٣١٢.

(٢) الحميدي: جذوة المقتبس، ص١٠٤؛ الضبي: بغية الملتمس، ص١٥١.

(٣) أبو مروان، حبان بن خلف بن حسين بن حبان بن محمد بن حبان بن وهب بن حبان مولى الأمير عبد الرحمن الداخل، وهو من أهل قرطبة، ولد سنة ٣٧٧هـ، وتُوفيّ سنة ٤٦٩هـ. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٣؛ ص٤٦٩؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٢١٩.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٣؛ ص٤٦٩.

(٥) الحميدي: جذوة المقتبس، ص١٠٤.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٣؛ ص٤٦٩؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٢١٩.

❖ الامتيازات التي نالها العرب في الأندلس، ومحاولة الكثير تلفيق نسبتهم إلى العربب؛ وهو ما أدى إلى البحث في تميز نسب العرب.

❖ عدْ النسب قيمة تحدد مكانة الإنسان الاجتماعية.

❖ اتساع ميدان النشاط السياسي الأندلسي، لاسيما في مدة الخلافة ليشمل شمال المغرب وشمال إسبانيا، وهو ما اقتضى التعرف إلى سكانها، ومعرفة أنسابهم، لرسم السياسة، ومساعدة الجيوش(١).

ومن المؤلفات التي تناولت الأنساب، وأشهرها: كتاب أنساب مشاهير أهل الأندلس في خمسة مجلدات ضخمة للمؤرخ أحمد بن موسى الرازي(٢)، وكتاب جمهرة أنساب العرب لابن حيان(٣).

ويلاحظ مما سبق أن تلك المؤلفات تعدُّ جزءًا من علم التاريخ الذي أولاه الأندلسيون جلَّ اهتمامهم في تصنيفها، وبرزت مثل هذه العلوم كبيرًا في عهد الخلافة لاسيما في عهد الخليفة الحكم المستنصر الذي كان مشاركاً فيها خاصة، ودعم المبرزين في هذه العلوم وتشجيعهم على التأليف.

- **الجغرافيا:** لم تبرز كتابات الجغرافيين الأندلسيين إلا في مدة متأخرة من حياة الدولة، ويعدُّ الكاتب أحمد بن موسى الرازي(٤) (ت٣٤٤هـ) أول من

---

(١) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٢٠١- ٢٠٣؛ د. حامد الشافعي: الكتب والمكتبات، ص٣٤-٣٥.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٢٢٠.

(٣) ابن العماد، عبد الحي بن أحمد محمد الكري: شذرات الذهب في أخبار من الذهب، تح: محمود الأرناؤوط، ط١، ج١، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٦م، ص٣٧.

(٤) أحمد بن موسى الرازي، اللغوي الأخباري، كان نحوياً لغوياً كاتباً غزير الرواية، حافظاً للأخبار، وله كتاب في أخبار أهل الأندلس، وتواريخ دول الملوك فيها، جده من أهل الري،=

صنَّف كتابًا لجغرافية البلدان، يشمل وصفًا كاملًا لشبه الجزيرة الإيبيرية، من حيث تحديد مكانها وأقاليمها، وشكلها، ومناخها، وكذلك أنهارها وجبالها، وجغرافيتها السياسية والبشرية، وأصبح وصف الرازي لإسبانيا مصدراً أساسياً للجغرافيين العرب الذين تلوه على تعدد الفروع التي كتبوها(١)، يليه كتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبيد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت٤٨٧هـ)، وهو معجم جغرافي حرص فيه المؤلف على ضبط أسماء المواضع والأماكن التي وردت في الحديث الشريف والشعر العربي وكتب التاريخ(٢)، وكان هذا بداية سلسلة الكتب الجغرافية التي برز فيها عددٌ من رواد الجغرافيين الأندلسيين.

- **الفلسفة:** كان الإقبال على هذه العلوم في ظل دولة الأمويين ضعيفاً، وأشهر من عُني بالدراسات الفلسفية عامة قبل الفتنة الأندلسية سنة ٣٩٩هـ، هو أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي(٣)، وعليه تتلمذ بعض المشهورين من حكماء الأندلس، ولكنه اتجه هو وكثير من تلامذته اتجاهاً

=دخل الأندلس وأقام بها، ولد سنة ٢٧٤هـ، وتوفى سنة ٣٤٤هـ. القفطي: إنباه الرواة، ج١، ص١٧١؛ السيوطي: بغية الوعاة، ج١، ص٣٩٣.

(١) حامد الشافعي: الكتب والمكتبات، ص٤٣.

(٢) البكري: معجم ما استعجم، ج١، المقدمة.

(٣) هو مسلمة بن أحمد المجريطي أبو القاسم، إمام الرياضيين في عصره بالأندلس، كان فلكياً له عناية برصد الكواكب، وشغف بتفهم المجسطي لبطليموس، وله كتاب تمام العدد اختصر فيه تعديل الكواكب من زيج البتاني، توفى سنة ٣٩٨هـ. ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج١، ص١٥٥، ح٣؛ الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق: تاريخ آداب العرب، ج٣، دار الكتب العربي، بيروت، ١٩٩٠م، ص٢٠٣.

رياضياً مع بعض الاهتمام بالأمور المنطقية(١)، والسبب في ذلك يتبين فيما ذكره المقرى(٢) أن كل العلوم كان لها عند الأندلسيين حظٌّ كبيرٌ واعتناءٌ، إلا الفلسفة والتنجيم " فإن لهما حظًّا عظيماً عند خواصهم، ولا يتظاهروا بها خوفاً من العامة ... فإنه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم، أطلق عليه اسم زنديق ... وقد يقتله الحاكم تقرباً للعامة ... أو يقوم بإحراق كتبه". وذلك مثل اتهام الشاعر محمد بن هاني الأندلسي(٣)، بأن شعره فيه شيء من الإلحاد فاتهم بدين الفلاسفة ففر إلى بلاد المغرب والتحق ببلاط الخلفاء الفاطميين(٤)، والأمر نفسه فيما فعله ابن أبي عامر في مكتبة الحكم المستنصر عندما أمر بإحراق كل الكتب القديمة، والفلسفية منها، بهدف التقرب من العامة(٥).

هـ) العلوم التطبيقية:

العلوم التطبيقية هي الأخرى، حظيت باهتمام الحكام الأمويين في الأندلس، من تشجيعهم للمتخصصين فيها ودعمهم، وكذلك استجلاب عددٍ

---

(١) ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج٤، ص٣٧.

(٢) نفح الطيب، ج١، ص٢٢١.

(٣) هو أبو الحسن محمد بن هاني الأسدي المهلبي الأندلسي؛ إذ يذكر أنه من ذرية المهلب ابن أبي صُفْرة، وكان أبوه شاعراً، ولد بإشبيلية، وكان حافظاً لأشعار العرب وأيامها، وله ديوان كبير وفيه مدائح تفضي به إلى الكفر، ثُويّ في المغرب بسبب احتسائه الشراب سنة٣٦١هـ. ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٩٩؛ ابن الخطيب: الأحاطة، ج٢، ص١٨٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٨-٩، ج١٦، ص١٣٢.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة، ج٢، ص١٨٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٨-٩، ج١٦، ص١٣٢.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٩٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٣، ص٢٥٣.

من الكتب الطبية وترجمتها من خارج الأندلس، وهو الأمر الذي أدى إلى بروز عددٍ من العلماء في المجالات المختلفة، في الطب، والفلك، والرياضيات، والكيمياء، وأفردوا لذلك عدداً من المؤلفات التي تحوي علمهم وخبراتهم التي أتقنوها وأفادوا بها غيرهم.

- **الطب والصيدلة:** لم تبرز اهتمامات الأمويين في الطب إلا في مدة متأخرة(١)، ولاسيما في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط وأول من اشتهر في الطب آنذاك، الطبيب أحمد بن إياس القرطبي(٢)، الذي كان بارعاً في الطب، وأثرى منه مبلغاً كبيراً من الأموال والعقارات، وكان صانعاً بيده عالماً بالأدوية الشجارية(أي: النباتية)، وظهرت منه في البلد منافع، وكتب إليه نسطاس بن جريج الطبيب المصري رسالة في البول(٣)، يليه مجموعة من الأطباء المرموقين في صناعة الطب، أبرزهم

---

(١) إذ يذكر الطبيب ابن جلجل أن الأندلس في ظل دولة الأمويين لم يكن فيها أطباء إلى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، وذلك لاعتمادهم على الأطباء من النصارى، وكانوا يعتمدون في علمهم ودراستهم على كتاب مترجم من كتب النصارى يقال له الأبرسيم ومعناه المجموع أو الجامع. طبقات الأطباء والحكماء، ص٩٢.

(٢) اختلفت المصادر في تحديد اسم هذا الطبيب فابن أبي أصيبعة يذكره باسم حمدين بن أبان. عيون الأنباء، ج١، ص٤٨٦. وابن جلجل ذكر بأنه حمدين بن أبان، طبقات الأطباء والحكماء، ص٩٣. عاش هذا الطبيب في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، وهو ينتمي إلى أسرة بني خالد، وهي أسرة عربية قديمة، ولها دور كبير في حروب الأندلس. ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص٩٣.

(٣) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج١، ص٤٨٥-٤٨٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٣، ص١٠٢.

الطبيب أصبع بن يحيى، الذي كان متقدماً في صناعة الطب في عهد الخليفة الناصر، وخدم عنده في قصره، وألف له حب الأنيسون(١).

وفي هذا الصدد أفرد الخليفة الحكم المستنصر ديوانًا خاصًّا بالأطباء لحصر أسماء الماهرين منهم، كما وجد في عهده أيضاً خزانة خاصة بالقصر للطب، ورتب لها اثني عشر من الغلمان الصقالبة، طباخين للأشربة صانعين للمعجونات وتولى إدارتها الطبيب أحمد بن يونس الحراني الذي كان بصيراً بالأدوية المفردة، وصانعاً للأشربة والمعجونات، وكان يداوي العين أيضاً(٢).

وممن اشتهر بالطب في دولة بني أمية ابن جلجل الذي كان طبيباً خبيراً بالمعالجات جيد التصرف في صناعة الطب في عهد الخليفة هشام المؤيد، وخدم بالطب وله بصيرة واعتناء بقوى الأدوية المفردة، وقد فسر أسماء الأدوية المفردة في كتاب ديسقوريدس وأفصح عن مكونها وأوضح مستغلق مضمونها(٣)، ومن تصنيفاته في الطب كتاب طبقات الأطباء والحكماء الذي صنفه سنة ٣٧٢هـ، وتفسير الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس، ومقال في ذكر الأدوية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتابه،

---

(١) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص١٠٨.

(٢) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص١١٢-١١٣.

(٣) ابن أبي أصبيعة: عيون الأنباء، ج١، ص٩٣؛ الصفدي: والوافي بالوفيات، ج٣، ص٢٩٣-٢٩٤.

ورسالة التبيين فيما غلط فيه بعض المتطببين، ومقالة في أدوية الترياق(١).

أما فيما يخص المكان الذي يمارس فيه الأطباء مهنتهم، فكان في القصر الملكي ولاسيما البارعين منهم، أو في منازلهم؛ إذ يذكر أن الطبيب ابن ملوكة النصراني، الذي اشتهر بمهارته في الطب وصنع الأدوية، في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر، كان يمارس الطب في داره، وكان يوجد على باب داره ثلاثون كرسيًّا لقعود الناس(٢).

وقد توزعت مهام الأطباء داخل القصر الملكي، فمنهم من يعالج الحاكم وحاشيته كالطبيب الحراني، ومنهم من اختص في معالجة الحرم والنساء، كالطبيب أبي هارون الأشوني الذي خدم في أيام الخليفة الناصر وابنه الحكم المستنصر في خدمة الحرم والنساء، وكان من شيوخ الأطباء وخيارهم(٣).

ومن الملاحظ أن الأطباء الأندلسيين في ظل دولة الأمويين أثبتوا أنهم قادرون على تطوير قدراتهم الطبية؛ وذلك من البحث والمطالعة والتحصيل، أو مما اكتسبوه في أثناء خروجهم إلى المشرق، وكذلك استفادوا من الأطباء القادمين إلى الأندلس، فكسبوا كثيرًا منها، وعادوا بكثير من العلوم الطبية، وكشف مزيد من الأدوية التي بوساطتها يُشفى

---

(١) الزركلي: الأعلام، ج٣، ص١٢٣. والترياق شراب خاص بتفتيت الحصى المترسبة في مجاري البول. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٥٩٣.

(٢) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص٩٨-١٠٠.

(٣) المصدر نفسه، ص١١٢-١٣٣.

المرضى، سواءً أكانت الأدوية الشجارية أم صناعة بأيديهم في تفصيد العروق، أو المراهم التي بوساطتها تزيل ألم الحلق أو حبوب تزيل ألم الخاصرة، أو دواء معالجة الحميات وذلك أن يخلط شيء من المبردات لتخفيض الحرارة أو حبوب على شكل مدور صنعت لهذا الغرض، وكذلك أدوية ألم العين، وكسبوا من ورائها أموالاً كثيرة، وقاموا عددًا كبيرًا من الكتب الطبية، رسموا فيها تلك الأدوية، ووضحوا كيفية استعمالها(١).

- **الفلك والرياضيات:**

أولى الأندلسيون علم الفلك اهتمامًا كبيرًا، لذلك انتشرت هذه العلوم، وكان الدين الإسلامي وراء هذاالاهتمام؛ إذ يوجد عددٌ من الإشارات في القرآن الكريم عن السماء والنجوم والشمس والقمر والأجرام السماوية، وأفلاكها وسيرها وغيرها من الظواهر التي تخص الشؤون الفلكية، كتحديد الوقت، وشهر رمضان، وأوقات الحج، وكل هذا بحاجة إلى معرفة بالفلك(٢).

وكذلك الرياضيات كانت تشمل مجموعة من العلوم: مثل العلوم العددية التي تبحث في معرفة خواص الأعداد، و الحساب، والجبر والمقابلة، والمعاملات، وازدهرت هذه العلوم في عهد الخليفة الحكم المستنصر الذي أولاها عنايتهُ واهتمامهُ كغيرها من العلوم الأخرى، واستجلب أهم الكتب من العراق ومصر، وأدى هذا إلى ظهور عدد من

---

(١) لمزيد من المعلومات عن الطب وتطوره في الأندلس ينظر. ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص٩٢-١١٦.

(٢) حامد الشافعي: الكتب والمكتبات، ص٤٥.

الفلكيين الذين تخصصوا في حركة مراقبة النجوم واستعمال آلات المرصد(١)، وممن برز في هذه العلوم إمام الرياضيين في عهد الخليفة الحكم المستنصر أبو القاسم المجريطي، وكان فلكيًّا وله عناية برصد الكواكب، وشغف بتفهم المجسطي لبطليموس، وله كتاب تمام على العدد اختصر فيه تعديل الكواكب(٢)؛ إذ يُذْكر أنه كان له مدرسة لتعليم الرياضيات والفلك في قرطبة تعرف بمدرسة العلامة مسلمة بن أحمد المجريطي(٣)، وقد تخرج على يديه أَجِلَّة من علماء هذا الشأن(٤). أبرزهم ابن السمح(٥) المهندس الغرناطي الذي عاصر الخليفة الحكم المستنصر، وكان محققاً في علم العدد والهندسة، متقدماً في علم هيئة الأفلاك وحركات النجوم، ومن مؤلفاته كتاب المدخل إلى الهندسة في تفسير كتاب إقليدس، وكتاب ثمار العدد المعروف بالمعاملات، وكتاب طبيعة العدد، وكتاب كبير في الهندسة يقضي في أجزائها من الخط المستقيم والمقوس والمنحني، ومن تلاميذه أيضاً ابن الصفار(٦) الذي كان متحققاً بعلم العدد والهندسة والنجوم، وكان يعلّم به في قرطبة، ومن

---

(١) ميـاس بياكروز: المؤلفات الأولى عن الإسطرلاب في إسبانيا العربية، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ع٣، ج١، ١٩٨٧م، ص١٩٢.

(٢) ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج١، ص١٥٥، ح٣.

(٣) صاعد الأندلسي، أبو القاسم: طبقات الأمم، مطبعة السعادة، القاهرة، د.ت، ص٩١.

(٤) الرافعي: تاريخ آداب العرب، ج٣، ص٢٠٣.

(٥) هو أبو القاسم أصبغ بن السمح المهندس الغرناطي، تُوفيّ سنة ٤٢٦هـ. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج١، ص٤٨٣-٤٨٤.

(٦) هو أبو القاسم أحمد بن عبد الله بن عمر تُوفيّ سنة ٤٢٦هـ . الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٧، ص٧٥؛ الزركلي: الأعلام، ج١، ص١٥٧.

مصنفاته مختصر على مذهب السند والهند، وكتاب في العمل بالإسطرلاب موجز حسن العبارة قريب المأخذ؛ وكذلك الزهراوي(١)، الذي كان عالماً بالعدد والهندسة، ومن مصنفاته كتاب شريف في المعاملات على طريق البرهان وهو الكتاب المسمى بكتاب الأركان، وقد أخذ كثيرًا من علوم الرياضيات عن المجريطي(٢).

- **الكيمياء:** هو علم ينظر في المادة التي ويكوَّن بها الذهب والفضة بالصناعة، ويشرح العمل الذي يوصل إلى ذلك، فيتفحصون المكونات كلها بعد معرفة أمزجتها وقواها لعلهم يعثرون على المادة المستعدة لذلك، حتى من العضلات الحيوانية كالعظام والريش والبيض والعذرات فضلاً عن المعادن، ثم يشرح الأعمال التي تخرج بها تلك المادة من القوة إلى الفعل(٣).

وقد برز علم الكيمياء بوضوح في ظل دولة الأمويين، وأول من اشتغل فيه الشاعر عباس بن فرناس الذي كان يعدُّ حكيم الأندلس في عهد الأمير الحكم الربضي، ويعدُّ أول من استنبط صناعة الزجاج من الحجارة، وهو الذي حاول الطيران بجثمانه، وصنع الميقانة لمعرفة الأوقات، وكذلك صنع في بيته قبة تُشبه السماء وزودها بالآلات الخفيفة التي تحدث البرق والرعد وجعل في أعلاها نجوماً وغيرها تبدو للناظر

---

(١) هو أبو الحسن علي بن سليمان الزهراوي. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج١، ص٤٨٣-٤٨٤.

(٢) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج١، ص٤٨٣-٤٨٤.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج١، ص٦٩٥.

حقيقة(١)، وكذلك العلامة مسلمة المجريطي، الذي يعدّ شيخ الأندلسيين في علم الكيمياء، وقد ألف كتابًا في ذلك سماه رتبة الحكيم، وممن اشتهر في هذا الجانب البرقي(٢) في عهد الخليفة الحكم المستنصر الذي كان يعظمه ويوقره لعلمه وينسب إليه صناعة الكيمياء.

٤) عناية الأندلسيين بالكتب وإنشاء المكتبات:

بدأ الاهتمام بالكتب وإنشاء المكتبات منذ مدة مبكرة من حياة الدولة الأموية في الأندلس، ويظهر ذلك جليًّا من الأعمال التي قام بها ولاة الأمر في هذا الجانب؛ إذ يذكر أن الأمير عبد الرحمن الأوسط كان يرسل الرجال إلى البلاد في طلب الكتب العلمية، ويعدُّ أول حكام الأمويين عنايةً في إدخال كتب الأوائل إلى الأندلس وعرف أهلها بها(٣)، والأمر نفسه في عهد ابنه الأمير محمد بن عبدالرحمن الأوسط الذي كان يهتم بجمع الكتب وإنشاء المكتبات؛ ولعلَّ ما يؤكد ذلك ما قاله لخازن الكتب بعد أن تفحص كتاب بقي بن مخلد عندما احتج عليه جماعة من العلماء الأندلسيين في أثناء قدومه إلى الأندلس، أن قال له:" هذا الكتاب لا تستغني خزانتنا عنه، فانظر في نسخه لنا"(٤)، وهذا يعني أن المكتبة

---

(١) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٣٣٣، ابن خلدون: العبر، ج١، ص٦٩٥؛ المقرى: نفح الطيب، ج٣، ص٣٧٣؛ الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٣٢٥.

(٢) هو عبد الله بن عبدالله الأندلسي الملقب بالبرقي، كان عالماً بالنحو واللغة، إماماً فيها عالماً بالعدد والهندسة، وله كتاب مشهور في المسبع. القفطي: إنباه الرواة، ج٢، ص١٢١.

(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٨، ص٨٤.

(٤) الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص١١؛ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٥٢؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ص٣٥٦.

كانت موجودة قبل عهد الخليفة الحكم المستنصر، إلا أنها كانت خاصة بالقصر الملكي، وفي عهد الخلافة زاد ذلك الاهتمام، وازدهرت الحياة الفكرية عمومًا، نتيجة اهتمام الحكام من جهة، والأمن والرخاء الذي حظيت به الأندلس آنذاك من جهة أخرى، فكان الخليفة الحكم المستنصر يحفز العلماء على التأليف في المجالات العلمية جميعًا، ويكرمهم ويغدق عليهم الأموال، ورافق ذلك اهتمام فئات المجتمع الأندلسي جميعًا بالكتب وإنشاء المكتبات؛ إذ يذكر المقري(١) أن الأندلس هي أكثر البلدان كتباً، وأشد الناس اعتناءً بخزائن الكتب، حتى أن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب.

ومن المكتبات التي حوت على مخزونًا كبيرًا من الكتب والمجلدات في العلوم المختلفة، مكتبة الخليفة الحكم المستنصر الذي بذل جهداً كبيراً في الجانب العلمي، سواءً أكان عبر اطلاعه على الكتب والمؤلفات العلمية أم البحث عن أهم الكتب خارج الأندلس وشرائها، أو في دعم العلماء واستدعائهم، وحثهم على مزيدٍ من التأليف والنسخ؛ إذ يذكر أنه كان يجمع الكتب بأنواعها، وجمع منها مالم يجمعه أحدٌ من الملوك قبله، وذلك بالبحث عنها في الأقطار وشرائها بأغلى الأثمان، وأنفق عليها فحملت إليه(٢)، مثل كتاب الأغاني لأبي فرج الأصبهاني القرشي، الذي أرسل له الخليفة الحكم ألف دينار عيناً ذهباً مقابل ذلك الكتاب، فأرسل إليه بنسخة

(١) نفح الطيب، ج١، ص٤٦٢.

(٢) الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص١٣.

منقحة قبل أن يظهر الكتاب لأهل العراق(١)، وهذا أدى إلى وجود كثير من الكتب في التخصصات كافة؛ فأنشأ مكتبة علمية تكون نفعاً له ولطلبة العلم، وقد بلغ عدد الكتب فيها أربعمائة ألف كتاب، وكانت الفهارس بأسماء الكتب التي اجتمعت في خزانته أربعة وأربعين في كل فهرست منها عشرون ورقة ليس فيه إلا ذكر الدواوين فقط(٢)، وهذا يدل على ضخامة هذه المكتبة التي شملت أربعمائة ألف كتاب في التخصصات كافة. وبعد وفاة الخليفة المستنصر وسيطرة المنصور بن أبي عامر على الحكم تعرضت مكتبة الحكم لحرق معظم الكتب التي تحويها؛ إذ يذكر أن المنصور بن أبي عامر أمر بإفراد ما فيها من كتب الأوائل وأمر بإحراقها، وضم باقي الكتب إلى مكتبته(٣).

ومن المكتبات التي اشتهرت بها الأندلس، مكتبة العامريين، ونقصد بذلك المنصور بن أبي عامر وولداه من بعده، في أثناء قيام حكم هذه الأسرة في الأندلس، وتمسكهم بمصدر القرار، فقد أولوا الجانب العلمي اهتمامهم، فاهتموا بالعلماء في المجالات جميعًا، وجمعوا الكتب، وأقاموا المكتبات؛ إذ يذكر أن العالم اللغوي محمد بن عبد الرحمن الأندلسي(٤)،

---

(١) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٢٠١-٢٠٢.

(٢) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص١٨٦؛ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢م، ص١٠١؛ مجهول: تاريخ الأندلس من خلال مخطوط، ص٢٦.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٩٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٣، ص٢٥٣.

(٤) هو محمد بن عبد الرحمن بن معمر الوراق اللغوي، من أهل قرطبة وصاحب التاريخ في الدولة العامرية، كان حافظاً للغة مشاركاً في الأدب، من أعلم الناس بالكتب وعللها وألهجهم=

كان يقابل كتب محمد بن أبي عامر وولده من بعد، مثقفاً لخزانتهم الرفيعة، مع تقيده لتاريخهم(١).

لم يكن إنشاء المكتبات حكراً على الحكام؛ بل أولى العلماء عنايتهم بذلك فأقاموا المكتبات الخاصة بهم، التي لا تختلف عن مكتبات ولاة الأمر، ومن هؤلاء قاضي القضاة في قرطبة في أثناء مدة تسلط العامريين، القاضي عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس (ت٤٠٢هـ)؛ إذ يذكر أنه جمع الكتب من كل أنواع العلم مالم يجمعه أحدٌ من أهل عصره بالأندلس، وعند وفاته اجتمع أهل قرطبة لبيع كتبه في المسجد في أثناء الفتنة عامًا كاملًا، وبلغت قيمة الكتب المبيعة أربعين ألف دينار ققاسمي؛ أي: ما يوازي صرفها ثمانمائة ألف بالدرهم(٢)، وهذا يدلُّ على ضخامة المكتبة التي كان يمتلكها ابن فطيس، وأهمية الكتب التي حوتها هذه المكتبة.

كما أن إنشاء المكتبات وجمع الكتب ونسخها لم يكن حكراً على الرجال فقط فقد برز في هذا المجال نساء كان لهن فهم واسع في العلوم جميعًا، أبرزهن عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم القرطبية، فقد كانت شاعرة وأديبة، وكانت تمدح ملوك زمانها وتخاطبهم فيما يعرض لها من حاجة، فتبلغ بيانها؛ إذ لا يبلغه كثير من أدباء وقتها، ولا ترد لها شفاعة،

=بجمعها وأفرزهم للخطوط فيها، وأنسبهم لها إلى وراقها، تُوفيّ سنة ٤٢٣هـ. ابن الأبار: التكملة في كتاب الصلة، ج١، ص٣١٠.

(١) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص٣١٠.

(٢) ابن بشكوال: الصلة، ج١، ص٢٩٨-٢٩٩؛ اليعمري: الديباج المذهب، ص٤٧٨-٤٧٩.

وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر، وتجمع الكتب، وتعتني بالعلم، ولها خزانة علم كبيرة حسنة، وتوفيت عذراء لم تنكح قط سنة ٤٠٠هـ(١).

وعلاوة على ذلك نجد النصارى قد أولوا العلوم العربية كثيرًا من الاهتمام، وأبدعوا فيها، وجمعوا كثيرًا من الكتب عن طريق الشراء؛ إذ يذكر أن الموهوبين من الشبان النصارى، كانوا ينفقون معظم أموالهم في شراء الكتب العربية(٢).

وتعدُّ هذه المكتبات أنموذجًا عن المكتبات التي أنشئت في الأندلس في ظل دولة الأمويين، وهي تعرفنا على النهج الذي سار عليه أصحابها في الجمع، من الشراء أو النسخ؛ إذ يذكر أن قرطبة وحدها كانت تشمل سبعين مكتبة عامة(٣).

٥) مصادر إقامة المكتبات وتنميتها:

هناك مجموعة من المصادر الأساسية التي بوساطتها أُنشئت المكتبات في الأندلس في ظل دولة الأمويين لعل أهمها:

أ) الشراء: ويتمثل ذلك في الكتب التي اشتريت من أصحابها بالأموال سواءً أكان ذلك من الأندلس أم من خارجها، والتي تعدُّ أكثر مصادر رفد المكتبات بالكتب العلمية، وهناك أمثلة كثيرة تدلُّ على ذلك، منها ما كان يقوم به الحكام الأمويون أنفسهم، فكانوا يرسلون من يبحث لهم

(١) ابن بشكوال: الصلة، ج١،ص٦٥٤.

(٢) الحضارة العربية في إسبانيا، ص١٠١.

(٣) محمد منير: التربية الإسلامية، ص٢٧٦.

عن أهم الكتب خارج الأندلس وشرائها، مثل الأمير عبد الرحمن الأوسط الذي يعدُّ أول من أدخل علوم الأولين إلى الأندلس من المشرق عن طريق الشراء، وكذلك الخليفة الحكم المستنصر الذي بذل كثيرًا من الأموال في سبيل ذلك، فيذكر أنه كان يرسل في البحث عن الكتب النادرة في الأقطار، واشتراها بأغلى الأثمان، وأنفق على ذلك فحملت إليه الكتب(١) منها نسخة في كتاب الأغاني لأبي فرج الأصبهاني الذي دفع مقابلها ألف دينار التي نشرت في الأندلس قبل العراق(٢)، و سار على نهجه كل من يحب العلم منهم ابن فطيس الذي جمع كثيرًا من الكتب عن طريق الشراء؛ إذ يذكر أنه كان لا يسمع بكتاب حسن إلا اشتراه(٣).

ب) النسخ: هو الآخر كان له أهمية كبيرة في إنشاء المكتبات، سواء أكانت عملية النسخ تجرى في الأندلس أم خارجها، وكان الحكام الأمويون يهتمون بعملية النسخ ودعم القائمين عليها، فيذكر أن الأمير عبد الرحمن الأوسط قبل أن يتولى الإمارة بعث العالم القرطبي عباس بن ناصح إلى العراق؛ لكي يبحث له عن المؤلفات العلمية من اليونانية والفارسية التي ترجمت إلى العربية، وأن ينسخها له(٤). وازدهرت عملية التأليف والنسخ في عهد الخلافة في العلوم المخلفة، نتيجة

---

(١) الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص١٣.

(٢) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص١٨٦.

(٣) ابن بشكوال: الصلة، ج١، ص٢٩٨-٢٩٩.

(٤) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٤٥.

ازدهار الحياة العلمية وبرز كثير من روادها من جهة، واهتمام ولاة الأمر بهذا الجانب وتشجيعهم لهذه الحركة من جهة أخرى؛ إذ يذكر أن الخليفة الحكم المستنصر كان يحث العلماء على التأليف والنسخ، ويغدق عليهم الأموال، ويهيئ الأجواء لهم، حتى أنه أنشأ مكاناً خاصًّا لهذا الشأن عُرِفَ بدار النسخ والمقابلة(١)، ومن هؤلاء أبو علي القالي الذي كان الخليفة الحكم المستنصر يحثه على التأليف والنسخ، وينشطه بواسع العطاء ويشرح صدره بالإفراط في الاكرام(٢)، وسار على هذه الخطة كل من له اهتمام في الجانب العلمي، من الخاصة والعامة، فنذكر مثلاً ابن فطيس الذي وجه جل اهتمامه نحو العلم وجمع الكتب، إذ يذكر أن له ستة وراقين ينسخون له دائماً، وقد رتب لهم على ذلك راتباً معلومًا(٣)، وكذلك ما ذكره المؤرخ الغربي ليفي بروفنسال(٤) بأن مائة وسبعين امرأة في قرطبة وحدها كنّ يعملن يوميًّا في كتابة نسخ القرآن بالخط الكوفي في الربض الشرقي من مدينة قرطبة.

---

(١) اليحصبي، أبو الفضل عياض بن موسى: الإلمام إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تح: السيد أحمد صقر، ط١، ج١، دار التراث، القاهرة،١٩٧٠م، ص١٦٥.

(٢) الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص١٦٦، ٢٥٣.

(٣) ابن بشكوال: الصلة، ج١، ص٢٩٨-٢٩٩؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ص٤٧٨-٤٧٩.

(٤) الحضارة العربية في إسبانيا، تر: د. الطاهر أحمد مكي، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٩٠.

من عرض ما سبق يتبين أن عملية النسخ كانت تمثل أحد المصادر الرئيسة في إنشاء المكتبات، وقد أولى القائمون على هذا الشأن التدقيق في عملية النسخ، ونسبتها إلى مؤلفها، مع توضيح الخط في أثناء النسخ والتفنن في تجليدها.

ج) الهدايا والهبات: وتتمثل في ما كان يحصل عليه المسؤولون من كتب عن طريق الإهداء، لاسيما من الأشخاص الذين يريدون التقرب إليهم، ففيقدمون كتباً نادرة لهم لا توجد عندهم، وهذا يعدُّ مصدرًا من مصادر إنشاء المكتبات، وهناك أمثلة تدلُّ على ذلك منها إهداء أسقفٍ من أساقفة المسيحيين في قرطبة للخليفة الحكم المستنصر كتاب تقويم قرطبة المحرر باللغتين اللاتينية والعربية، والذي يحتوي معلومات مهمة حول أوجه النشاط الفلاحي في كل شهر(١).

كما أن الهدايا لم تقتصر على الداخل الأندلسي؛ فقد كانت تأتي أيضاً من خارج الأندلس، لاسيما من الزعماء الذين يعملون على تحسين العلاقة مع حكام الأندلس، فيرسلون لهم الكتب المهمة تعبيراً عن حسن الصداقة، منها الكتب التي أرسلها أمرا طور الروم أرمانيوس هدية للخليفة عبد الرحمن الناصر، وكانت عبارة عن كتابين: كتاب الحشائش لديسقوريدس، والآخر كتاب هرموسيوس صاحب القصص(٢)، وكانت تلك الكتب عبارة

(١) بييكروسا: علم الفلاحة، ص١٤.

(٢) ابن جلجل: طبقات الأطباء، المقدمة.

عن تحف فنية، ويتبين ذلك في وصف المقري(١) لها بقوله:" أنها كانت في ورق مسبوغ لها لوناً سماوياً مكتوباً بالذهب، بالخط الاغريقي، وداخل الكتاب مدرجة مصبوغة(مكتوب بفضة بخط إغريقي أيضاً) وعلى الكتاب طابع ذهب وزنه أربعة مثاقيل على الوجه الواحد صورة المسيح عليه السلام وعلى الآخر صورة قسطنطين الملك وصورة ولده، وكان الكتاب داخل درج فضة منقوش عليه غطاء ذهب فيه صورة قسطنطين الملك معمولة على الزجاج البديع وكان الدرج داخل جعبة ملبسة بالديباج".

ويدخل في هذا الإطار الكتب التي كان يتحصل عليها من قريب له بعد وفاته، مثل حصول الخليفة الحكم المستنصر على كل الكتب التي كانت مع أخيه عبد الله(٢) المسمَّى بالولد، وكان يضاهي الحكم في حبه للعلم، وتُوفي في حياة أبيه مقتولاً، و كان محبًّا للعلم والعلماء والرواية، جامعاً للكتب(٣).

يتضح مما سبق أن الكتب والمكتبات كانت من أولويات الأندلسيين رؤساء ومرؤوسين، فحب ولاة الأمر للعلم واهتمامهم بهذا الجانب، جعل سائر فئات المجتمع تقتدى بهم وتمشي على خطاهم في البحث عن الكتب وخزنها، أو في النسخ والتأليف والشراء؛ وذلك جعل الأندلس آنذاك تزدهر بعلمها، وتتقدم على غيرها من الدول المعاصرة لها في المجالات

---

(١) نفح الطيب، ج١، ص٣٦٧-٣٦٨.

(٢) قتله والده الخليفة عبد الرحمن الناصر لمنافسته أخوه الحكم على الحكم. لمزيد من المعلومات ينظر ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٢٠٦-٢٠٨.

(٣) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٢٠١.

العلمية كاة، فوجد فيها المؤرخون، والمحدثون، والقراء، والجغرافيون، والأطباء، والفلكيون، وكذلك المرافق التي برز منها هؤلاء كالكتاتيب، والمدارس، والمساجد، وكذلك الجامعة التي تعدُّ أولى جامعات العالم نشأة، كانت الإمكانيات العلمية التي بذلها الأمويون في الأندلس والذين وإن زالت دولتهم فإن مآثرهم بقيت في صفحات التاريخ، وهي تبين ما كانت عليه وإلى حد تميزت على غيرها.

ثانياً: النهضة المعمارية:

لم تقتصر عناية الأمويين في الأندلس على الجوانب السياسية والإدارية والمالية، والعسكرية، والعلمية فقط؛ بل اختصت العمارة باهتمامات كبيرة من الحكام؛ لما لها من أهمية في إظهار تقدم الدولة وتطورها أمام الدول المعاصرة لها، وتفاخرهم بهذا الجانب، لذلك شيدوا المساجد، والمدن، والقصور، والجسور، والقناطر والمصانع، وكذلك الحمامات، وغيرها من المرافق التي كانت تمثل مظهراً من المظاهر الحضارية في الأندلس، والتي ذاع صيتها في الأقطار جميعًا لما حوته من إبداعات وفنون وصنائع. بالإضافة إلى الحصون والقلاع، التي كانت تمثل خط الدفاع الأول لمواجهة هجمات النصارى المفاجئة، وحماية الثغور الإسلامية من أي أخطار خارجية.

١-العمارة الدينية:

أ) المساجد: هي أزهى المظاهر الحضارية وأعظمها التي لقيت اهتماماً كبيراً منذ قيام دولة بني أمية في الأندلس، في بنائها والتفنن في زخرفتها؛ كونها رمز الإسلام ومقرًّا للعبادة، وكذلك الدور التي قامت به منذ ظهور الإسلام بوصفهاك مراكز لتلقي العلوم ونشرها؛ لذلك شيد الحكام الأمويون كثيرًا من المساجد في كور الأندلس جميعً، إذ تذكر المصادر(١) أن قرطبة وحدها قد حوت على ما يقارب أربعمائة وواحد

(١) البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٩٠١؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص١٢٤.

وتسعين مسجداً، ويوضح ذلك ابن المقري(١) أن المساجد بقرطبة انتهت في أيام الأمير عبد الرحمن الداخل إلى أربعمائة وواحد وتسعين مسجدًا، ثم زادت بعد ذلك؛ في حين يذكر ابن عذارى(٢) أن عددها ثلاثة آلاف مسجد. وهذا أيضاً يخالف كلام الرحالة ابن حوقل(٣) الذي زار الأندلس في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، إذ يقول:" إن أهل قرطبة يتذاكرون بأن في قرطبة خمس مائة مسجد ولم أقف على حقيقة ذلك ... لأني شاهدت أكثر من ذلك".

ربما تأتي المبالغات في بعض المصادر في عدد المساجد التي حوتها قرطبة، وكذلك الاختلافات فيما بينها بشأن تعدد الروايات، لذلك أرى من وجهة نظري أن مدينة كقرطبة ذات تعداد سكاني بلغ نصف مليون آنذاك(٤)، لا أرى أن العدد الذي ذكره ابن عذارى صحيح إذا قارنا ذلك بوقتنا الحاضر على أي مدينة من المدن الإسلامية التي تفوقها عدداً بالسكان، وإنما جاء ذلك بناء على مبالغة مؤلفيها، أو يقصدون بذلك المساجد جميعًا في مناطق الأندلس المختلة الواقعة تحت الحكم الأموي. إذ يذكر العذري(٥) أن مدينة وشقة كانت كثيرة المساجد، فيها أكثر من ستين مسجداً.

---

(١) نفح الطيب، ج١، ص٥٤٠.

(٢) البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٢.

(٣) صورة الأرض، ج١، ص١٢٠.

(٤) السامرائي: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص١٨١.

(٥) نصوص عن الأندلس، ص٥٥.

وبصرف النظر عن صحة المعلومات عن عدد المساجد، فإن الحقيقية التي لا غبار عليها هي أن العدد زاد أو نقص فهو يدلُّ على الاهتمام الذي وجهه الحكام الأمويون إلى هذا الجانب، وهناك أمثلة كثيرة تبين هذه الأعمال، وكيفية التفنن في الصنعة، أهمها جامع قرطبة(١) الذي يعد أشهر الجوامع على الإطلاق وأكبرها، الذي كان كنيسة النصارى العظمى قبل الفتح الإسلامي للأندلس، وبعد الفتح الإسلامي شاطر المسلمون أهلها كنيستهم العظمى، فابتنوا فيه مسجداً، وبقي الشطر الآخر بيد الروم، وعندما كثر عدد المسلمين، وتكاثر العرب الوافدون على الأندلس، وضاق المسجد بالمصليين، واستمر الأمر إلى أن قدم الأمير عبد الرحمن الداخل وأقام دولة بني أمية، ابتاع الشطر الثاني من النصارى بمائة ألف دينار، وقبضوها على ملأ من الناس، ورضوا بعد تمنع، وأباح لهم الداخل بناء كنائسهم التي هدمت خارج قرطبة(٢)، وعمل هذا العمل الذي يعد فخر الأرض وشرفها من مال الأخماس، وكان تأسيسه في سنة ١٧٠ هـ، فتمت أسواره في عام، وبلغ الإنفاق عليه ثمانين ألف دينار، وكملت أبهاء الجامع سبعة أبهاءٍ والتي أتم بناءها ابنه هشام؛ إذ يذكر أن الأمير هشام كان يبعث إلى الكور من يسأل عن سيرة عمال فيها، ثم زاد من بعده ابن هشام الأمير الحكم الربضي بهوين؛ ثم زاد بعد ذلك الأمير عبد الرحمن بن الحكم بهوين ومات قبل أن يتمهما؛ فأتمهما ابنه الأمير محمد بن عبد

---

(١) ينظر ملحق رقم (٦).

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٢٩.

الرحمن الأوسط، فصارت فيه أحد عشر بهواً؛ ثم زاد بعد ذلك المنصور ابن أبي عامر بأمر من الخليفة هشام المؤيد ثمانية أبهاءٍ(١)، وكان إرتفاع المئذنة فيه ٤٠ ذراعاً، فجدد بناءها الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة٣٤٠هـ؛ فانتهى طولها إلى ثلاثة وسبعين ذراعاً، جعل أعلى ذروته ثلاث رمانات تخطف الأبصار بالتماعها، اثنتان منها ذهب وواحدة فضة طوف كل رمانة فيها قنطار من الذهب، ودور إحداها ثلاثة أذرع ونصف(٢)، وأنفق في ذلك سبعة أمداد وكيلين ونصف الكيل من الدراهم القاسمية(٣)، وكذلك المنبر الذي بلغ الإنفاق عليه خمسة وثلاثين ألف وسبعمائة دينار(٤).

وقد وسَّع ابنه الخليفة الحكم المستنصر أيضاً الجامع عندما ضاق بالمصليين، وكان أول عمل قام به بعد توليه الحُكم(٥)، واستمرت الزيادات في هذا الجامع حتى أصبح من أهم التحف المعمارية الإسلامية، وفيه أربعمائة وتسعة أعمدة من السواري(٦)، وهو بذلك يعدُّ أوسع جوامع الأندلس مساحة، وإحكام الصنعة، وجمال الهيئة، وإتقان البنية، التي عني بها الحكام الأمويون واحدًا بعد آخر، زيادة بعد زيادة، وترميمًا بعد ترميم،

---

(١) العذري: نصوص عن الأندلس، ص١٢٣؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٥٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٢٧٧؛ ابن خلدون: العبر، ج٤، ص١٦٧؛ الزركلي: الأعلام، ج٨، ص٨٦.

(٢) ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ج١، ص٣٨؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص١٢٤.

(٣)ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٠-٢٣١.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٢٤٩.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٣-٢٣٤.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٢٧٧.

حتى بلغ الغاية في الإتقان، و صار يحار فيه الطرف، ويعجز عن حسنه الوصف(١).

ومن الجوامع المشهورة في الأندلس جامع إشبيلية الذي بناه قاضي إشبيلية عمر بن عدبس سنة ٢١٤هـ بأمر من الأمير عبد الرحمن الأوسط(٢)، إذ يذكر أن بنيانه متقن لا يكاد يرى مثله في إتقانه، وصومعته من أتقن الصوامع وأبدعها عملًا، وألطفها صنعاً معقودة من أسفلها إلى أعلاها على عُمُد الرخام، في كل ركن من الصومعة سارية على سارية إلى أعلى الصومعة(٣).

وكذلك جامع الزهراء الذي تم بناؤه في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر؛ إذ يذكر أنه كان يعمل في جامع الزهراء حين شرع العمل فيه من حذاق الفعلة كل يوم ألف نسمة منها ثلاثمائة بناء، ومائتي نجار وخمسمائة من الأجراء وسائر أهل الصنائع، فاستتم ببنائه وإتقانه مدة ثمانية وأربعين يوماً، وجاء في غاية الإتقان من خمسة أبهاء عجيبة الصنعة، وطوله من القبلة إلى الجوف ثلاثون ذراعاً، وعرض البهو الأوسط من الشرق إلى الغرب ثلاثة عشر ذراعاً؛ وعرض كل بهو من الأربعة المكتنفة له اثنتا عشر ذراعاً، وطول صحنه المكشوف واحد

(١) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٥٣.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٢٨٤.

(٣) العذري: نصوص عن الأندلس، ص٩٦.

وأربعون ذراعاً؛ وجميعه مفروش بالرخام الخمري، وفي وسطه فوارة يجري فيها الماء، وتم بناء هذا المسجد سنة ٣٢٩هـ(١).

كما أن بناء المساجد لم يكن حكراً على الحكام؛ بل وجد نساء يقمن بمثل هذه الأعمال، كالبهاء(٢) بنت الأمير عبد الرحمن الأوسط، التي ينسب إليها مسجد البهاء في مساجد ربض الرصافة.

٢) العمارة المدنية:

أ) المدن: هي الأخرى لقيت عناية كبيرة من ولاة الأمر، لاسيما أن الأندلس عاشت أزهى أيامها في عهد الخلافة الأموية؛ فكثر دخلها، وعمرت خزانتها، والأمر نفسه بالنسبة إلى سكان الأندلس؛ إذ يذكر أن مدينة قرطبة حين تكامل أمرها في عهد بني أمية، بلغ عدة الدور التي بداخلها للرعية دون الوزراء وأكابر أهل الخدمة، مائة وثلاثة عشر ألف دار(٣)، في حين يذكر المقري(٤) أن دور قرطبة أحصيت أيام ابن أبي عامر فكان عددها مائة وثلاثة عشر وسبعمائة وسبعين ألف دار، وهذه دور الرعية، وبلغ عدد دور الأكابر والوزراء والأجناد ولاسيما الملك ستين ألفًا وثلاثمائة دار، سوى مكاري الكرى والحمامات

---

(١) المقري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تح: مصطفى السقاء، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة ، ١٩٣٩م، ص٢٦٥-٢٦٦.

(٢) البهاء بنت عبد الرحمن بن الحكم، كانت من خيرة نسائهم، من أهل الزهد والعبادة والتبتل، وكانت تكتب المصاحف وتحبسها، وكانت لها رغبة في الفضل والخير، توفيت سنة ٣٠٥هـ. ابن الأبار: التكملة، ج٤، ص٢٤٣.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٢.

(٤) نفح الطيب، ج١، ص٥٤١.

والحانات، وبلغ عدد الحوانيت ثمانين ألف وأربعمائة وخمسة وخمسين حانوتًا، ولما كانت الفتنة التي كانت سبباً في سقوط دولة بني أمية، غيرت رسوم العمران ومحيت آثار تلك القرى والبلدان.

وهذا ما يؤكده ابن حوقل(١) إذ يذكر أن قرطبة أعظم مدن الأندلس، وليس بجميع المغرب لها شبيه، ولا بالجزيرة والشام ومصر ما يدانيها في كثرة أهلها وسعة رقعة، وفسحة أسواق محال وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق. وكانت هذه الدور مبنية من الحجارة(٢).

هذا يؤكد التطور المعماري لدولة الأمويين في الأندلس، ولم يقتصر هذا البناء على المدن القائمة، بل أنشئت مدن جديدة ذات تصميم متميز، والتي أنفقت عليها كثير من الأموال، واستقدم لعمارتها كثير من المهندسين، والمزخرفين، والبنائين، من الخارج، وأصبحت تمثل مظهراً حضاريًّا، وأهم هذه المدن ما يأتي:

- مدينة الزهراء: وهي مدينة صغيرة قرب قرطبة، اختطها الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٢٥هـ، وعملها متنزهاً له، وأنفق في عمارتها من الأموال ما تجاوز فيه عن حد الإسراف، وجلب إليها الرخام من أقطار البلاد، وأهدى إليه ملوك بلاده من آلاتها ما لا يقدر قدره، وكان قد قسم الجباية في عهده البالغة خمسة آلاف ألف وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار، ومن المستخلص والأسواق سبع مائة ألف دينار وخمسة وستين

(١) صورة الأرض، ج١، ص١١١.

(٢) مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص١٨٢.

ألف دينار، إلى ثلاثة أقسام: ثلث للجند، وثلث لبيت المال، وثلث خصصه لنفقة البناء في الزهراء(١)؛ إذ يذكر أنه كان يصرف فيها من الصخر المنجور ستين ألف صخرة في اليوم الواحد سوى التبليط في الأساس(٢)، وجلب إليها الرخام من قرطاجة إفريقية، بلغ قيمة الواحدة منها ثلاث دنانير، وكذلك السواري التي بلغ عددها أربعة آلاف وثلاثمائة وثلاثة عشرة سارية المجلوبة من عددٍ من الأقطار، ألف سارية من إفريقيّة، ومائة وأربعون سارية هدية من ملك الروم للخليفة الناصر، وباقي السواري من سائر الأندلس(٣)، وتولى الإشراف على بناء مدينة الزهراء، ولده الأمير الحكم المستنصر(٤)، وبلغ طولها ألفًا وستمائة ذراع، وعرضها وعرضها ألفًا وسبعين ذراعًا، وسورها يحوى ثلاثمائة برج، وعمل ثلثها قصورًا للخلافة، وثلثها للخدم وكانوا اثني عشر ألف مملوك، وثلثها الثالث بساتين ومتنزهات، وكان يعمل بها ألف صانع، مع كل صانع اثنا عشر أجيرًا(٥).

وخط فيها الأسواق وابتنى الحمامات والخانات والقصور والمتنزهات، واجتلب إليها العامة بالرغبة، وأمر مناديه بالنداء في أقطار الأندلس جميعًا، ألا من أراد أن يبتني داراً فيجد مسكناً بجوار السلطان فله أربعمائة

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٢؛ الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٦١.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ص٢٠٩.

(٣) المصدر نفسه والجزء، ص٢٣١.

(٤) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(٥) ابن الخطيب: أعمال الأعمال، ج٢، ص٣٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٤، ص٤٧.

درهم من المعونة، فتسارع الناس إلى العمارة، وتكاثرت الأبنية، وكادت الأبنية أن تصل قرطبة، ونقل إليها أمواله ودواوينه(١). وساق إليها المياه، وأنشأها مدورة، وبلغ عدد أبراجها ثلاثمائة برج، وشرفاتها كانت من الحجر(٢).

واستمر العمل بها من سنة٣٢٥هـ، إلى آخر دولة الخليفة الناصر، وأكمل بناءها وزخرفتها ولده الخليفة الحكم المستنصر؛ أي: ما يقارب الأربعين سنة(٣).

فأصبحت الزهراء من أهم المدن وأفضلها عمارة وزخرفة، فأكثر الأندلسيون في وصفها، وتغنى بها الشعراء، وصنفوا في ذلك تصانيف عدة، منها ما ذكره أبو الوليد بن زيدون الشاعر يذكر الزهراء ويتشوقها بقوله:

ألا هل إلى الزهراء أوبة نازح ... تقضت مبانيها مدامعة سفحا

مقاصر ملك أشرقت جنباتها... فخلنا العشاء الجون أثناءها صبحا

يمثل قرطيها لي الوهم جهرة... فقبتها فالكوكب الرحب فالسطحا(٤)

وجملة ما أنفقه الناصر في هذا البناء ثمانون مديًا من الدراهم القاسمية، وستة أقفزة وثلاثة أكيال ونصف(٥)، ووزن المد ثمانية قناطر،

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ج١، ص١١١.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٢٨٨.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٥٦٤؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص٥٦٥.

(٤) الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٦١.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٣١.

والقنطار مائة وثماني وعشرون رطلًا، والرطل اثنتا عشرة أوقية، والستة أقفزة نصف مد(١)، في حين يذكر المقري(٢) أن جملة النفقة في العام والواحد بلغت ثلاثمائة ألف دينار مدة خمسة وعشرين سنة في حياة الخليفة الناصر.

أما عن السبب الذي جعل الخليفة الناصر يقدم على بناء الزهراء، فيذكر المقري(٣) أن الخليفة الناصر ماتت له سرية (مرضعته)، وتركت مالاً كثيراً، فأمر أن يفك بذلك المال أسرى المسلمين في بلاد الفرنج، وطلب ذلك فلم يجد أسيراً لديهم، فشكر الله تعالى على ذلك، فقالت له جاريته الزهراء؟ وكان يحبها حبًّا شديداً: اشتهيت لو بنيت لي مدينة باسمي وتكون خاصة لي، فبناها تحت جبل العروس من قبلة الجبل وشمال قرطبة.

إلا أن هذا لم يعد السبب الرئيس إن لم يكن الحقيقي، وذلك لما عرف عن الخليفة عبد الرحمن الناصر من المصادر التي كتبت عنه، من حب العمارة والتفاخر على غيره من الملوك في المجالات كافة، وكثرة المنشآت التي أقيمت في عهده، والدليل على ذلك ما قاله لوزرائه عند افتتاحه قصر الزهراء يفتخر بما صنعه وما يتصل به من البدائع، "هل سمعتم أو رأيتم ملكاً كان قبلي صنع مثل فعلي هذا أو قدر عليه؟ فقالوا: لا والله يا أمير المؤمنين، إنك أوحد في شأنك كله، وما سبقك إلى مبتدعاتك هذه ملك

(١) الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٦١.

(٢) أزهار الرياض، ج٢، ص٢٦٩.

(٣) نفح الطيب، ج١، ص٥٢٣.

رأيناه ولا انتهى إلينا خبره"(١)، وكذلك أراد أن يكون له مدينة خاصة به، بعيداً عن الكثافة السكانية التي كانت تملأ قرطبة آنذاك، بدليل أنه نقل أعوانه وحاشيته، ومماليكه، ودواوينه كافة في أثناء سكنه في مدينة الزهراء، ومثل هذه الأعمال لا تستبعد عن أي حاكم يمتلك كثيرًا من الأموال، لاسيما أن الخليفة الناصر كان همته في البناء طامحة فوق همم الملوك، فيعمل على تصريفها في أمور تخدم بلاده، وتزيد من هيبة الدولة التي هو على رأس الهرم فيها(٢).

- مدينة الزاهرة: لم تكن كمدينة الزهراء من حيث نشأتها وتصميمها، وكذلك الهدف الرئيس من بنائها، بنيت على يد أحد القادة المتسلطين على حكم الأمويين في الأندلس، يدعى المنصور بن أبي عامر، وأقامها شرق قرطبة على النهر الأعظم(٣)، وشرع في بنائها سنة ٣٦٨هـ، فجمع إليها الصناع والفعلة، وأبرزها بالذهب؛ وجلب نحوها الآلات الجليلة؛ وتوسع في اختطاطها، وبالغ في رفع أسوارها، وبنى معظمها في عامين، وانتقل إليها سنة ٣٧٠هـ، ونزلها بخاصته وعامته، وشحنها أسلحته، وأمواله وأمتعته جميعًا، واتخذ فيها الدواوين للعمال، ترتفع فيها ضروب الأعمال، وأقطع وزراءه وكتّابه وحجّابه وقوّاده؛ القطائع الواسعة، فابتنوا بأكنافها كبار الدور

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج١، ص٣٩؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٤٠.

(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٨، ص١٨.

(٣) الزركلي: الأعلام ، ج٦، ص٢٢٦.

وجليلات القصور، وكثرت فيها الأسواق، وكثرت فيها الأرزاق، وتنافس الناس في النزول بأكنافها، حتى ألتقى أرباضها بأرباض قرطبة(١).

أما عن سبب بنائها فتذكر المصادر التاريخية(٢) بوضوح، أنه عندما استفحل أمر المنصور بن أبي عامر، في أثناء سيطرته على مصدر القرار في دولة الأمويين، وجل شأنه، وظهر استبداده، خاف على نفسه من الدخول إلى قصر الخلافة في الزهراء، لاسيما أنه حجر الخليفة من الظهور، وتفرد بالملك، وقضى على معظم القواد الذين يخالفون سياسته، فاعتمد على نفسه ومن انضم إليه من البربر وغيرهم، وابتنى مدينة خاصة تكون له وحاشيته وجنده.

وهناك سبب آخر لا يقل أهمية عن الأول، وهو طموحه الذي حقق له كل ما وصل إليه، وهو الأمر الذي جعله يقلد الخلفاء من قبله في تشييد قصر خاص به، يحله أهله وذويه، ويضم إليه رياسته، ويتم به تدبيره وسياسته، ويجمع فيه فتيانه وغلمانه، فارتاد مدينة الزاهرة(٣).

ب) القصور: ففيها مقر الحُكام وحاشيتهم، ومنها تنفذ القرارات، ومن ساحاتها تنطلق الجيوش والغزوات، وفي قاعاتها يستقبل السفارات، وعن طريق كتابها ينفذ الرسل والمكاتبات، وإليها تأتي الجبايات، وفيها

---

(١) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص٨١-٨٢.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٧٢-٢٧٥؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص٨١-٨٢؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٢٦٦.

(٣) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص٨١.

مقر الخزانة والجرايات، فأولى بنو أمية هذا المظهر الحضاري كثيرًا من الاهتمام، لذلك نجد أول أعمال الأمير عبدالرحمن الداخل بعد أن أقام دولته، بناء قصر الرصافة في الشمال الغربي من قرطبة، واتخذه لسكنه، ونقل إليه من الشام كثيرًا من أشجار الفاكهة والأزهار، وسماه باسم رصافة جَدّه هشام بن عبد الملك في الشام(١)؛ إذ يذكر أن الأمير عبدالرحمن الداخل في أثناء نزوله إلى منية الرصافة نظر إلى نخلة فيها فهاج شجنه وتذكر وطنه الشام، فقال فيها أبيات منها:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة ... تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في التغريب والنوى... وطول انتنائي عن بني وعن أهلي

نشأت بأرض أنت فيه غريبة ... فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي

سقتك عوادي المزن من صوبها الذي...يسحُّ وتستمري السماكين بالوبل(٢)

وكذلك بناء القصر بقرطبة، الذي تقدر مساحته بألف ومائة ذراع(٣)، وكان له خمسة أبواب: باب السدة، وباب الجنان، وباب العدل، وباب الصناعة، وباب الملك وهو داخل المدينة، ويضاف إليها باب الساباط وهو في المسجد الجامع(٤)، وبقي رمزاً لحكم بني أمية منذ بداية دولتهم والذين أضافوا إليه كثيرًا من الزيادات فضلاً عن الترميمات(٥)، إلى أن انتقل

---

(١) الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٤٨؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٦٩.

(٢) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص١١-١٢؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٣٧.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص١٥٥؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص٣٢٩، ٤٥٨، ٥٤٥.

(٤) العذري: نصوص عن الأندلس، مج٢، ص١٢٣.

(٥) العمري: المسالك والممالك، ج٢٤، ص٤٧٠.

الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى مدينة الزهراء، ثم يأتي قصر الزهراء الذي يعد أعظم مآثر الأمويين في الأندلس؛ إذ يذكر ابن العماد(١) أن قصر الزهراء المتناهي في الجلالة اتفق الناس على أنه لم يبن مثله في الإسلام البتة، وكل من رآه قطع أنه لم ير مثله ولم يبصر له شبهًا، بل لم يسمع بمثله.

أنشئ قصر الزهراء سنة ٣٢٠هـ، وكان يسمى الموضع الذي بني عليه فيما قبل بقوقريط(٢)، وفي وصف هذا القصر ومحتوياته، قيل إن الخليفة الناصر استجلب إليه الحوض المنقوش المذهب من القسطنطينية، وفيه نقوش وتماثيل على صور إنسان، وأمر بنصبه في وسط المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس، وكان سمكه من الذهب والرخام الغليظ، وكانت حيطان هذا المجلس مثل ذلك، وكان قرميد هذا القصر من الذهب والفضة، ووسط المجلس صهريج عظيم مملوء بالزئبق، وفي كل جانب من المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على حنايا من العاج والأبنوس المرصع بالذهب وأصناف الجواهر(٣)، وكذلك القبة العجيبة التي بناها في القصر(٤).

---

(١) أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، ط١، ج١، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٦٣.

(٢) العذري: نصوص عن الأندلس، مج٢، ص١٢٣.

(٣) المقرى: نفح الطيب، ج١، ص٥٢٧.

(٤) ينظر ملحق رقم (٧).

ويذكر أيضاً أن الخليفة الناصر جلب الماء إليه من الجبل المطل على قرطبة، واستدعى عرفاء المهندسين والبنائين من كل قطر، فوفدوا عليه حتى من بغداد والقسطنطينية، ثم أخذ يبني المتنزهات، فاتخذ ميناء الناعورة خارج القصور، وساق لها الماء من أعلى الجبل على بعد مسافة(١). وبلغ عدد الدور في قصر الزهراء أربعمائة دار، وذلك لسكن السلطان وحاشيته وأهل بيته(٢).

ومن القصور التي بنيت أيضاً في عهد الأمويين قصر الزاهرة الذي بناه المنصور بن أبي عامر سنة ٣٧٠هـ، عندما أقدم على الاستحواذ على حكم بني أمية(٣).

أما فيما يخص القصور التي كانت توجد في قاعدة الكورة في كل مناطق الأندلس التي كانت تحت سيطرة الحكم الأموي، فكانت تعرف بدار الإمارة والتي تولى ترميمها الولاة بناء على أوامر حاكم قرطبة(٤).

ج) الحمامات(٥): الحمام والحميم والحميمة جميعاً الماء الحار، والاستحمام الاغتسال بالماء الحار أو البارد(٦)، و تعدُّ الحمامات من أحد المظاهر الحضارية التي خلفها حكام بني أمية في الأندلس، وأولوا هذا الجانب

---

(١) ابن خلدون: العبر، ج٣، ص١٨٤.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٢.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص٧٠.

(٤) الحميري: الروض المعطار، ص٥٩.

(٥) ينظر ملحق رقم(٨).

(٦) المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط١، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، ص١٤٥.

عناية كبيرة؛ وذلك لحاجة المجتمع لمثل هذه المنشأة، وكذلك دعوة ديننا الحنيف المسلمين إلى الطهارة(١)؛ لذلك اكتظت المدن والمساجد والقرى بكثير من الحمامات، سواءً أكا المدن االتي استحدثت أم المدن القائمة قبل دخول المسلمين الأندلس؛ إذ يذكر أن عدد الحمامات المخصصة للناس في قرطبة سبعمائة حمام(٢).

وقد اهتم الحكام الأمويون بهذا الجانب وأولوه كثيرًا من الاهتمام، ويتبين ذلك من المنشآت التي أقاموها؛ إذ يذكر أن الخليفة عبد الرحمن الناصر أقام في مدينة الزهراء حمامين، واحد للقصر والآخر للعامة(٣)، والأمر نفسه ما قام به ابنه الخليفة الحكم المستنصر، إذ يذكر أنه هدم الميضأة القديمة التي كانت بفناء جامع قرطبة، وبنى في موضعها أربع ميضآت في كل جانب من جانب المسجد الشرقي والغربي اثنين كبرى للرجال، واثنتين صغرى للنساء، وأجرى في جميعها الماء من فناه اجتلبها من سفح جبل قرطبة(٤)، سنة ٣٥٦هـ، فخرق له الجبل، وأجراه في قناة من حجر متقنة البناء، محكمة الهندسة، أودع جوفها أنابيب الرصاص لتحفظه من كل دنس. وابتدأ جري الماء في يوم الجمعة لعشر خلون من صفر من السنة نفسها(٥).

---

(١) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص٢١٠.

(٢) المقرى: نفح الطيب، ج١، ص٥٤٠؛ وقيل ٨٠٠حمام، وقيل ٩٠٠حمام.

(٣) المصدر نفسه والجزء، ص٥٨٦.

(٤) المصدر نفسه والجزء، ص٥٥٥.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٠.

وقد وجدت حمامات في قرطبة منسوبة إلى أصحابها، كحمام الشطجيرى، وهو منسوب إلى الطبيب خالد الشطجيرى الذي عاصر الخليفة عبد الرحمن الناصر، وبناه بجوار منزله الذي صنعه بيده(١).

كما أن وجود الحمامات لم يقتصر على مدينة قرطبة، فقد أقيمت في كل مناطق الأندلس؛ إذ يذكر أن مدينة جيان قد اشتهرت بالحمامات، فكان بها بركة كبيرة كان عليها حمام الثور، فيه صورة ثور من رخام، وحمام الولد وهما للسلطان، وحمام ابن السّليم، وحمام ابن طرفة، وحمام ابن إسحاق، وتسقى بفضلته(أي: الماء الذي يخرج منه بعد استعماله) بسائط عريضة، وكذلك حمام حسين، وكل هذه الحمامات تأتي إليها المياه من العيون التي اشتهرت بها هذه المدينة(٢)، والأمر نفسه في المرية التي أمر ببنائها الخليفة عبد الرحمن الناصر إذ كان بها من الحمامات نحو ثلاثين حمامًا؛ وذلك لتلبي احتياجات المجتمع الأندلسي وكذلك الوافدين عليها من الخارج(٣)، في حين نجد في الجزيرة الخضراء ثلاثة حمامات(٤)، وكذلك في مدينة طرطوسة التي كان بها أربعة حمامات(٥)، وهذا يؤكد أن مثل هذا المنشآت كانت توجد في كل مناطق

(١) ابن جلجل: طبقات الأطباء، ص٩٦.

(٢) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص٧٠-٧١.

(٣) المقرى: نفح الطيب، ج١، ص١٦٣.

(٤) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص٧٤.

(٥) المصدر نفسه، ص١٢٤.

مناطق الأندلس الواقعة تحت سلطة الأمويين ونفوذهم، والذين أولوا هذا الجانب عناية كبيرة منذ قيام دولتهم في الأندلس.

ومن أسف المصادر التاريخية لم تذكر أية تفاصيل عن تاريخ بناء هذه المنشآت أو من بناها في مدن أندلسية أخرى؛ بل اكتفت بأن تلك المدن تحوي كثيرًا منها أو هي عامرة بالحمامات(١).

وتقام مثل هذه المنشأة عادةً بالقرب من المساجد الجامعة، أو عند أبواب المدن، أو بالقرب من القصور؛ وذلك لأهمية الموقع من الناحية الدينية، وكذلك المدنية والاجتماعية.

د) الفنادق: يشغل الفندق في الأندلس مكانة مهمة في العمران االاقتصادي؛ وذلك لحاجة الوافدين على الأندلس من التجار وغيرهم، لمكان يقضون فيه ليلتهم، لذلك كثر وجود الفنادق في مدن الأندلس ولاسيما المدن الكبرى والتجارية منها كقرطبة وإشبيلية، وبجانة والمرية، وكانت تقام حول المسجد الجامع، وهذا ما ذكره ابن حوقل(٢) عن قرطبة بأن فيها كثيرًا من الفنادق؛ وفي ذلك دلالة على كثرة تجارتها والوافدين عليها. والأمر نفسه بالنسبة إلى مدينة بجانة؛ إذ يذكر أن فيها فنادق مبنية بالأحجار للقاصدين لها، وربما لم يوجد بها المسكن لكثرة قاصديها(٣)، والأمر نفسه في مدينة المرية التي أمر بإنشائها الخليفة عبد الرحمن الناصر، والتي أصبحت

---

(١) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٢٩٣؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ج١، ص١١١؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٩.

(٢) صورة الأرض، ج٢، ص١١١.

(٣) القزويني: آثار البلاد والعباد، ص٥٠٩.

تعدُّ باب المشرق للتجار، ومقرًّا لوفادتهم؛ إذ يذكر الحميري(١) أن فيها تسعمائة وسبعين فندقًا؛ وذلك لتوفير السكن للوافدين عليها.

أما فيما يتعلق بتصميم الفندق فإنه يتألف من بهو مستطيل أو مربع به ممرات تطل على هذا البهو، وتتوزع غرف الفندق وراء الممرات، ويخصص الطابق الأرضي من الفندق للمخازن أما الدور العلوي فيكون مخصصًا للنزلاء، وكذلك هناك مخازن البضائع المعدة للبيع، ويكون الصعود إلى الطابق العلوي من درجتين، ويكون الجدار الخارجي خاليًا من أي منفذ؛ تجنباً للسرقات، بالإضافة إلى وجود مدخل واحد للفندق(٢).

هـ) القناطر: نظراً لما تميزت به الأندلس من كثرة الأنهار التي تشق مدنها وأوديتها المترامية، وما تمثله هذه من إعاقات في عملية الانتقال من مكان لآخر؛ فقد أوجب ذلك على ولاة الأمر إيجاد الحلول لتجاوزها، وكانت القناطر تمثل الحل المناسب لتجاوز تلك المعضلات، فأقامها حكام بني أمية أو جددوها، والتي كانت تربط بين ضفتي النهر، وأهمها قنطرة قرطبة التي كانت تصل بين مدينة قرطبة وربضها المعروف بشقندة؛ إذ يذكر أنها من بناء الإمبراطور أغسطس قيصر؛ أي: قبل الفتح الإسلامي بـ ٢٠٠سنة، ووجدها العرب في أثناء الفتح مهدمة قد سقطت حناياها وبقيت كذلك حتى أعاد بناءها السمح بن مالك الخولاني سنة ١٠١ هـ، بأمر من الخليفة الأموي في دمشق عمر بن عبد العزيز، طولها ثمانون ذراعًا،

---

(١) الروض المعطار، ص٥٣٨.

(٢) السيد عبد العزيز: تاريخ وحضارة الأندلس، ص٢١٦.

وعرضها عشرون باعًا(١)، وارتفاعها ستون ذراعًا، وعدد حناياها ثماني عشرة حنية، وأبراجها تسعة عشر برجًا(٢).

وفي عهد الأمويين جددت ووثقت أفضل مما كانت عليه من قبل، لاسيما أن حناياها انسدت نتيجة لتعرضها لسيول الأمطار وخربت بعض أعمدتها، لذلك قام الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل ببنيان هذه القنطرة وإصلاحها، وأنفق في ذلك أموالاً كثيرة، وكان يشرف على ذلك بنفسه، وتعطى الأجرة للعاملين فيها بين يديه(٣)، وهذا يؤكد مدى الحرص من القائمين، على التأكد من إجراء عمل متقن لمثل هذه المنشأة، لاسيما أنها قد تتعرض للتخريب في أثناء ارتفاع مد النهر في أثناء نزول الغيث؛ لذلك اتقن هذا البناء وأنفق فيه كثيرًا من الأموال. وجددت في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط مرة أخرى(٤)، والأمر نفسه في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر في سنة ٣٣٤هـ عندما تعرضت القنطرة للتخريب نتيجة للسيول الكثيرة، حتى بلغ الماء البرج المعروف ببرج الأسد الذي هدم آخره وثلم الرصيف، فأجرى ترميمها(٥).

---

(١) الباع مسافة قدر مد اليدين من طرف الأصبع الوسطى من اليد اليمنى إلى طرف الإصبع الوسطى من اليد اليسرى، ويختلف مقداره من شخص لآخر، وهو وحدة قياس من مقاييس الطول والمساحة يساوي أربعة أذرع بذراع صاحب الباع. شجاب: معجم المكاييل والمقاييس العالمية، ص٣٩.

(٢) المقرى: نفح الطيب، ج١، ص٤٨٠.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٦٦.

(٤) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٤٤.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢١٣.

ويضاف إلى القنطرة المذكورة القنطرة التي بنيت على نهر الوادي الكبير بقرطبة، في مدة تسلط العامريين، وذلك عندما بناها المنصور بن أبي عامر سنة٣٨٧هـ، وانتهى من ذلك في النصف من سنة ٣٨٩هـ، وأنفق فيها مائة وأربعين ألف دينار، فعظمت بها المنفعة وصارت من أهم مناقبه(١).

ومن القناطر المشهورة في عهد الأمويين قنطرة سرقسطة التي أمر بإصلاحها الأمير عبد الرحمن الأوسط سنة ٢٢٤هـ(٢)، وكذلك قنطرة نهر إستجة وهو نهر شنيل، التي تعرضت للخراب نتيجة للسيل سنة ٢٣٥هـ فخرب قوسين من حنايا القنطرة(٣)، وقد تعرضت للهدم في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر بأمر منه، عندما أعلن أهلها التمرد ضده سنة ٤٠٠هـ، وظلَّت كذلك إلى أن أعاد بناءها المنصور بن أبي عامر سنة ٣٧٨هـ، والذي أنفق فيها كثيرًا من الأموال، وبهذا العمل سهل الطرق الوعرة والشعاب الصعبة(٤).

و) دور الصناعة: عُنيت هي الأخرى باهتمام كبير من ولاة الأمر، فأقاموا عدداً منها أو أعادوا ترميمها، والتي اختصت بصناعات السفن والآلات، سواءً كان ذلك المصنوعات الخشبية، أم المعدنية، وكانت تسمى بدار

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٨٨.

(٢) المصدر نفسه والجزء، ص٨٥.

(٣) ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٤٦.

(٤) ابن حيان: المقتبس، ج١، ص١٤٦؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٨٨؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٥.

صناعة القطائع، وقد بدأ الاهتمام بهذا الجانب عندما شعر الأمويون بخطر الهجمات البحرية على دولتهم لذلك نجد أن الأمير عبد الرحمن الأوسط أمر بإنشاء دار الصناعة بإشبيلية عندما نفذ النصارى هجومهم عليها؛ وذلك لإنشاء المراكب والآلات الحربية للدفاع على شواطئ الأندلس ومدنها من الهجمات الخارجية(١)، واستمر اهتمام الحكام بهذا الجانب لاسيما وأن الأندلس كانت محاطة بالبحر من الاتجاهات جميعًا، وتهديدات الفاطميين ووالنورمانديين؛ ولذلك نجد الخليفة عبد الرحمن الناصر ينتهج سياسة بحرية لمواجهة هذه الأخطار؛ فأمر بإنشاء عددٍ من هذه الدور لتقوية الأسطول الحربي الأندلسي، الذي أصبح في عهده كامل العدة والعتاد، قادرًا على حماية السواحل الأندلسية؛ بل مهاجمة مناطق خارج الأندلس، أهمها: دار الصناعة في الجزيرة الخضراء، الذي أتقن بناءه، وعلَّى أسواره(٢)، ودار صناعة طرطوسة الذي تم بناؤه سنة ٣٤٥هـ(٣)، وكذلك دار الصناعة في المرية وهو دار قديم فجدده الناصر وقسمه على قسمين: الأول: لصناعة المراكب الحربية والآلات والعدة؛ والآخر: فيه القيسارية قد رتبت كل صناعة منها حسب الشكل(٤)، بالإضافة إلى دار الصناعة في مدينة مالقة لإنشاء الحراريق والمراكب

(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٢.

(٢) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص٧٣.

(٣) المصدر نفسه، ص١١١.

(٤) العذري: ترصيع الأخبار، ج٢، ص٨٦؛ العمري: المسالك والممالك، ج٤، ص٢٤٣.

الحربية(١)، وكذلك دار الصناعة في نهر قرطبة، الذي أنشئ بأمر من الخليفة الحكم المستنصر سنة ٣٥٥هـ عندما هاجمت المراكب النصرانية بعض مناطق الأندلس، وأمر ابن فطيس ببناء أسطول قوي، واتخاذ المراكب فيه على هيئة مراكب المجوس؛ تأميلاً لركوبهم إليها(٢).

ز) القيسارية: جمعها قيلسر، يقصد بها السوق، وهو ميدان عام يُقام فيه سوق، أو هي بناية مربعة في شكل رواق الدير، فيها حجرات وحوانيت للتجار(٣).

ونتيجة لما اشتهرت به الأندلس في ظل دولة الأمويين من ازدهار تجارتها وصناعتها، واختص بعض المدن منها بكثرة منتجاتها الزراعية والصناعية، وهو الأمر الذي أدى إلى وجود كثير من الأسواق لتصريف مثل هذه المنتجات، فوجدت في كورة الأندلس وأقاليمها جميعًا، مثل أسواق قرطبة، وإشبيلية، وطليطلة، والمرية وجيان وغيرها؛ وكانت تحدد مواعيد خاصة بالأسواق الجامعة في كل مناطق الأندلس، وذلك أن تقام كل خميس في كل أسبوع(٤).

وما يؤكد ذلك ما قام به الخليفة عبد الرحمن الناصر في مدينة المرية، رمم دار الصناعة القديم فيها، ووضع نصفًا منها خاصًّا بالقيسارية، ورتب

---

(١) العمري: مسالك الأبصار، ج٤، ص٢٣٤.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٩.

(٣) دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج٨، ص٤٣٥.

(٤) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص٧١، ١٤٩.

كل صناعة منها بحسب الشكل، أَمَّن فيها التجار على أموالهم(١)، وكذلك الحوانيت التي كانت في ققرطبة؛ إذ يذكر أنه حُصرت في ظل تسلط العامريين فبلغ عددها في أسواقها ثمانين ألفًا وأربعمائة وخمسة وخمسين حانوتًا(٢).

وتتألف القيسارية في الأندلس من شبكة من الطرقات الضيقة المسقوفة زنقات، أو ممرات تدور حول بهو فسيح، وتنفتح الحوانيت على هذه الممرات، وتقام عادةً حول المساجد الجامعة في قاعدة الكورة(٣).

٣) العمارة العسكرية:

ويشمل هذا النوع من العمارة الأسوار المحيطة بالمدن والقصور فيها، منها ما استحدث، وآخر أدخل عليها من تجديدات من القائمين على الحكم، وكذلك القلاع والحصون التي كانت تشرف على المدن، لحمايتها من أي اعتداء خارجي، ولاسيما من النصارى في الشمال، وكانت هذه المعاقل والأسوار تتعرض للهدم والخراب لأسباب متعددة منها ازدياد عدد السكان في المدينة المسورة الأمر الذي يؤدي إلى خروج العمران عن السور المحيط بالمدينة وهذا ما حصل في مدينة قرطبة التي اكتظت بالعمران؛ ذلك تسبب في هدمه وتوسيعه؛ فضلاً عما قد يحدث من تمرد داخل المنطقة المسورة نفسها؛ وهو ما يوجب على ولي الأمر هدمه لكي يضمن عدم تمردها مرة أخرى، ومثل هذا الأمر وجد في كورة إشبيلية

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٦٦، ٨٥.

(٢) نفح الطيب، ج١، ص٥٤١.

(٣) السيد عبد العزيز: تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٢١٨.

عندما أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر بهدم أسوارها بعد قضائه على العصيان فيها، والأمر نفسه بالنسبة إلى الحصون والقلاع، إلا أن خرابها كان يأتي نتيجة اتخاذها ملاذاً للمتمردين على الحاكم، أو تعرضها لغزو خارجي.

أ) **الأسوار:**

تعدُّ خط الدفاع عن المواقع المحاطة بها، وتمثل أهمية عسكرية كبيرة في حماية المدن، والقصور، والقلاع، لذلك أولى الحكام الأمويون عناية بها وشيدوها، وأهم هذه الأسوار سور مدينة قرطبة الذي أولاه الحكام الأمويون جل اهتمامهم، فعند قيام الدولة الأموية كانت أسوار قرطبة مهدمة، فبناه الأمير عبد الرحمن الداخل سنة ١٥٠هـ باللبن وذلك على أساس السور الروماني القديم(١)، ثم جدد في عهد الأمير الحكم ابن هشام بعد قضائه على حركة الربض سنة ١٨٩هـ(٢).

ومع ازدياد أعداد السكان المقيمين في قرطبة وتشكيل مدن جديدة أصبحت المدينة تضم خمس مدن، يتلو بعضها بعضًا، بين المدينة والأخرى سور حاجز، وكل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات(٣).

---

(١) العمري: المسالك والممالك، ج٢٤؛ ص٤٥٥؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٥؛ ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، ج١، ص١٨٧.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٧١.

(٣) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٥٣.

وكان لمدينة قرطبة سبعة أبواب منها: واحد في السور القبلي وهو باب القنطرة(١)، وباب الجزيرة الخضراء. وبابان في السور الشرقي هما: الباب الجديد ويعرف بباب سرقسطة، وباب عبد الجبار ويعرف أحياناً بباب طليطلة، وباب رومية. وفي السور الشمالي باب واحد، وفي السور الغربي ثلاثة أبواب هي من الشمال: باب عامر القرش، وباب الجوز، وباب العطارين(٢).

أصبحت أسوار قرطبة محط عناية الحكام الأمويين؛ لذلك نجد الخليفة عبدالرحمن الناصري يبني أبوابًا داخلية موازية للأبواب الموجودة حتى يتمكن البوابون من تثقيفها، ويعدُّ هذا ابتكاراً معماريًّا يقصد به تدعيم المداخل والمخارج لمدينة قرطبة وتقويتها(٣).

ومن الأسوار التي بنيت أو جُددت في عهد الأمويين، أسوار إشبيلية نظراً لأهمية هذه المدينة من حيث مواردها الزراعية، وما تتمتع به من موقع مهم للحركة الاقتصادية، ووقوعها على نهر الوادي الكبير، ولذلك أقدم النورمانديون على السيطرة عليها في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط سنة ٢٦٢هـ، وهو الأمر الذي أوجب على حاكم قرطبة تحريك الجيوش لصد هذا الغزو، وكان له ذلك الأمر الذي أوجب عليه تحصينها، فأمر

---

(١) باب القنطرة التي عن طريقها استطاع المسلمون فتح مدينة قرطبة. القزويني: آثار البلاد والعباد، ص٥٥٢.

(٢) البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٩٠٠؛ الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص١٥٦-١٥٧.

(٣) الحموي: صورة الأرض، ج١، ص١١٣؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ وحضارة الأندلس، ص٢٢٩.

ببنـــاء أســـوارها(١) بنـــاءً علـــى مشـــورة وزرائـــه وقادتـــه، وكـــذلك تحســـباً لأي هجـــوم آخر، فشيده بالحجر وأحكم بناؤه(٢).

إلا أن هـــذه الســـور لـــم يـــدم بقـــاءه علـــى هـــذا التشـــييد الـــذي أمـــر بـــه الأميـــر عبـــد الـــرحمن الأوســـط،؛ بـــل تعـــرض للهـــدم، وذلـــك لأســـباب أمنيـــة، عنـــدما أمـــر الخليفـــة عبـــد الـــرحمن الناصـــر ســـنة ٣٠١هـــ، بهـــدم أســـوار إشـــبيلية، لمـــا أظهـــره أهلها من التمرد على سلطته(٣).

ومـــن الأســـوار التـــي أقامهـــا الأمويـــون ســـور مدينـــة ســـبتة الـــذي بنـــاه الخليفـــة عبـــدالرحمن الناصـــر بعـــد أن ســـيطر عليهـــا ســـنة ٣١٩هـــ، إذ يـــذكر أنـــه شـــكها بالرجـــال وأتقنهـــا بالبنيـــان، وبنـــى ســـورها، ثـــم أعـــاد بنـــاءه مـــرة أخـــرى ســـنة ٣٤٦هـــ، فبنـــي بالكـــدان وأكمـــل بنـــاؤه فـــي عهـــد الخليفـــة الحكـــم المستنصـــر ســـنة ٣٥١هـــ(٤)، وكـــذلك ســـور مدينـــة طرطوســـة الـــذي بنـــي ســـنة ٣٤٥هـــ، وقـــد بنـــي مـــن الحجـــر علـــى رســـم أولـــي قـــديم، ولـــه أربعـــة أبـــواب، وكلهـــا ملبســـة بالحديد(٥).

كمـــا أن بنـــاء الأســـوار لـــم يقتصـــر علـــى المـــدن الكبـــرى، وإنمـــا شـــمل القصـــور، والحصـــون، ودور الصـــناعة وكلهـــا تـــدخل فـــي ضـــمن العمـــارة العســـكرية، نـــذكر منهـــا القصـــر القـــديم فـــي مدينـــة إشـــبيلية المعـــروف بـــدار

---

(١) ينظر ملحق رقم (٩).

(٢) البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٩٠٤؛ الحموي: صفة جزيرة الأندلس، ص٢٠.

(٣) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص٢٠-٢١.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ٢٠١ ،٢٢٢، ٢٢٧.

(٥) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص٢٠-٢١.

الإمارة الذي أمر الخليفة الناصر عامله آنذاك بأن يبنيها، فبناه بالحجر وحصَّنَه بسور وأبراج(١)، وكذلك المدن المستحدثة مثل سور مدينة بطليموس الذي بناه عاملها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالحليقي، بأمر من الأمير عبد الله (٢٧٥-٣٠٠هـ)، وقد بُني باللبن(٢)، والأمر نفسه في مدينة المرية التي بنيت في عهد الخليفة الناصر سنة ٣٤٣هـ، وكانت أسوارها من الصخر المنيع(٣)، في حين نجد المنصور بن أبي عامر قد بالغ في رفع أسوار مدينة الزاهرة لتكون مقرًّا لحكمه وإقامته(٤).

وقد وجدت الأسوار أيضاً حول دور الصناعة التي أُنشئت لصناعة المراكب الحربية والآلات، وذلك لحمايتها، نذكر منها دار الصناعة الذي بناه الخليفة عبد الرحمن الناصر في الجزيرة الخضراء، وأتقن بناءه وعلَّى أسواره(٥).

ب) **القلاع والحصون:**

عندما وطد الأمويون مُلكهم في الأندلس، وأعادوا سيطرتهم على معظم المناطق التي فتحها المسلمون، عمدوا إلى إنشاء مراكز عمرانية جديدة تدعم الدفاعات العسكرية على المدن، عرفت بالحصون والقلاع، أهمها:

---

(١) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٦.

(٣) العذري: نصوص عن الأندلس، مج٢، ص٨٦.

(٤) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص٧١.

(٥) المصدر نفسه، ص٧٢.

- حصن فارو بمالقة: الذي يقع على مرتفع جبل فارو، الواقع شرقي مالقة، بناه الأمير عبد الرحمن الداخل، وتم تجديده في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر(١).
- قلعة رباح: من أعمال جيان، تقع بين قرطبة وطليطلة، وهي من القلاع العسكرية المهمة، أصلحها وبنى أسوارها الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط سنة ٢٤١هـ، ونقل الرجال إليها وشحنها بالعتاد والسلاح(٢).
- حصن مجريط: وهو من الحصون المهمة والمتاخمة لحدود النصارى، وقريبة من مدينة طليطلة، بني هذا الحصن وكذلك المدينة في عهد الأمير محمد عبدالرحمن الأوسط، وهو حصن منيع وله أسوار منيعة(٣).
- حصن قلهرة: من أعمال تطيلة شرق الأندلس(٤)، استولى عليه القائدان غالب بن عبد الرحمن، وسعيد بن الحكم الجعفري بجيش الصائفة سنة ٣٥٧هـ، في عهد الخليفة الحكم المستنصر، فبنيا الحزام فيه، وزادا في ارتفاع البرج الثامن حتى انتهيا من ذلك، وقفلا بالعسكر بعد أن وثقوا الحصن وأمّنوه(٥).

---

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٧٠؛ سالم: تاريخ حضارة الإسلام في الأندلس، ص٢٣٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٥٣؛ ابن خلدون: العبر، ج٤، ص١٦٧؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٦٣.

(٣) الحميري: الروض المعطار، ص٥٢٣.

(٤) ابن شمائل: مراصد الاطلاع، ج٢، ص١١١٩.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٠.

- حصن أبطير: يقع على مقربة من مدينة بطليموس، وبني في عهد الخليفة هشام المؤيد، بناه المنصور بن أبي عامر من جليل الصخر في أثناء استحواذه على الحكم(١).

(١) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١١.

الخاتمة

الناظر في تاريخ الأندلس في عهد بني أمية، يرى دولة ذات مظاهر حضارية راقية ومتطورة، مقارنةً بالدول المعاصرة لها، تتير بها مجتمعها، وتَسمّى بها حكامها، فبعد الجهد العلمي الكبير والشائق في عملية البحث، يبدو واضحاً وجلياً المكانة البالغة التي أحتلتها دولة الأمويين في تاريخ الأندلس الإسلامي، ليس فقط فيما حققوه من توسع في الأراضي الإسبانية، أو في الدفاع على أراضي المسلمين من هجمات النصارى؛ بل تعدته إلى التطورات الحضارية التي أحدثوها في المجالات جميعًا والمتمثلة في نظم الحكم والإدارة، وكذلك الجوانب الاقتصادية، والجوانب العلمية، والمعمارية التي تعدُّ من أبرز المظاهر الحضارية تفنناً.

لقد سعى الحكَّام الأمويون منذ أن أقاموا دولتهم في الأندلس جاهدين إلى وضع أسس نظم سياسية وأجهزة إدارية مواكبة لتنظيماتهم وإصلاحاتهم الداخلية، ومتماشية مع علاقاتهم الداخلية والخارجية، وبدا ذلك واضحاً في اتخاذ الألقاب السلطانية، وكذلك استحداث بعض المناصب السياسية، والإدارية والمالية ذات التخصصات المختلفة، وكذلك الألقاب القضائية، وبناء الجيش وتقويته.

والأمر نفسه في الجانب الزراعي فقد أولوا هذا الجانب كثيرًا من الاهتمام منذ قيام الدولة؛ كونه المورد الرئيس الذي كان يرفد خزانة الدولة، يليه الجانب الصناعي والتجاري من حيث الأهمية، وقد استطاعوا استثمار موارد الخام التي تزخر بها الأندلس، وتوظيفها في عدد من الصناعات، فبرزت صناعة الذهب والفضة، وصناعة الحديد، وكذلك الصناعات الحريرية والجلدية، والصناعات الخشبية، والتي نُشرت

وصدرت عن طريق التجار في الأقطار المختلفة شرقاً وغرباً، والذي أدى إلى ازدهار التجارة.

في حين تصدر الجانب العلمي أولى اهتمامات الحكام الأمويين، فدعموا الراحلين من الفقهاء إلى المشرق لطلب العلم منذُ الوهلة الأولى لقيام دولتهم، وشجعوا وقدموا العطايا لرواد العلم في العلوم المختلفة، فأصبحت الأندلس في هذه المدة تعجُّ بالمصنفات في العلوم المختلفة؛ والأمر نفسه بالنسبة إلى الجانب المعماري الذي يعدُّ من أبرز المظاهر الحضارية التي خلفها بنو أمية، سواءً كانت العمارة الدينية، أم المدنية أم العسكرية؛ فشيدوا القصور والمساجد والمدن وكذلك الأسواق والمصانع والأسوار وغيرها.

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، بعد عرض ووصف وتحليل لجوانب متعددة من المظاهر الحضارية إلى ما يأتي:

١- احترام الأمويين لمبدأ الخلافة، فلم يتلقبوا بها في أثناء قيام دولتهم في الأندلس؛ بل اكتفوا بلقب أمير اعتقاداً منهم أن من يستولي على مكة هو من يكون له الحق في الخلافة، وظلَّ الأمر كذلك حتى سنة ٣١٦هـ عندما أعلن الخليفة عبد الرحمن الناصر نفسه خليفة، وذلك بسبب ضعف دولة بني العباس في بغداد من جهة، وتوسع النفوذ الفاطمي في المغرب وإعلان خلافتهم من جهة أخرى، واستمر ذلك حتى سقوط دولتهم.

٢- اعتماد الحكام الأمويين على أسر معينة في تولي المناصب الكبرى في الدولة، كالحجابة، والوزارة، والكتابة، والقيادة؛ كأسرة بني فطيس، وأسرة التجيبي، وأسرة بني عبدة.

٣- أصبحت الوزارة في عهد الأمويين في الأندلس، مقابلاً لمعنى الوزارة في العصر الحديث؛ إذ يستقل كل وزير بمرفق من مرافق الدولة، مع وجود رئيس وزراء يسمى حاجباً.

٤- التنوع في كيفية تعيين العمال في كور الأندلس من مدة لأخرى، فأحياناً اقتصر تعيين العمال على القرشيين القادمين من المشرق، أومن أبناء الأسرة الأموية نفسها ومثل هذا الأمر كان في المدة الأولى من عمر هذه الدولة، وأحياناً أخرى يُعين العمال من أبناء المنطقة نفسها على شكل نظام القطع، مقابل مال معين يؤدونه والتبعية لحاكم قرطبة، وكان هذا موجودًا في مدد ضعف الدولة أم قوتها، ومرة أخرى يعتمد على الموالي من الصقالبة، وهذا نتيجة لكثرة التمردات التي كان يقوم بها العرب في الأندلس، وهو الأمر الذي جعل ولاة الأمر يعتمدون على عناصر غير عربية، وإن كان هذا الأمر قد ظهر في مدة مبكرة من عمر هذه الدولة، إلا أن بروزه بوضوح كان في عهد الخلافة.

٥- استقلال القضاء وأحكامه، وعدم تدخل ولاة الأمر في ذلك، مع تمسك ولاة الأمر بعملية اختيار الأشخاص المناسبين لتولى هذا المنصب، بالتشاور مع الوزراء والحاشية، فأصبح القضاء ذا منزلة عالية، ورتبة سامية؛ كون الحكّام منقادين لأحكامهم، وموافقين على نقضهم وإبرامهم.

٦- الالتزام بتوفر الشروط المنوطة بكل شخص يتولى المناصب السياسية، والإدارية، والمالية والقضائية وغيرها، والتي كان من ضمنها أن يتميز الشخص بالعلم والورع.

٧- بروز القوة البحرية الأندلسية في عهد الخلافة، و بناء دور الصناعة في عدد من المناطق، فأصبح الأسطول الأندلسي يضم عددًا كبيرًا من السفن الحربية كبارًا، وصغارًا.

٨- اهتمام الأمويين في بداية الأمر بالجانب الزراعي دون غيره من الموارد الأخرى، والذي كان يمثل الرافد الرئيس لخزانة الدولة، فنظموا عملية الجباية فيها، واهتموا بالمزارعين، وشقوا القنوات، وأقاموا النواعير، وبنوا القناطر وذلك كله أسهم في تطوير العمل الزراعي وزيادة الإنتاج.

٩- ازدهار الزراعة والصناعة والتجارة في عصر الخلافة؛ نتيجة للأمن والاستقرار الذي عاشته الأندلس آنذاك، وكذلك عناية ولاة الأمر بهذه الجوانب، وهو الأمر الذي أدى إلى زيادة موارد خزانة الدولة، فعمرت البلاد وتجلى ذلك في كثير من المظاهر الحضارية، كبناء مدينة الزهراء في عهد الخليفة الناصر، والقصور والمصانع والقناطر التي شيدت في عهده، وكذلك النهضة العلمية التي شهدتها الأندلس؛ نتيجة اهتمام ولاة الأمر بالعلم والعلماء، والأمن والرخاء الذي عاشته الأندلس آنذاك، فأصبحت الأندلس في عهد الخلافة منارة لطلبة العلم، ومقرًّا للدارسين في العلوم المختلفة، فأنشئت الجامعة التي تعد النواة الأولى في تأسيس الدراسات المتخصصة في العلوم كافة.

١٠- أدت الفتنة التي عصفت بالأندلس من سنة ٣٩٩هـ، إلى التأثير الكبير في المظاهر الحضارية جميعًا التي سعى بنو أمية إلى بنائها، بل إلى تدميرها، وهو الأمر الذي أدى بكثير منها إلى الضياع والدمار.

والخلاصة أن هذه الدراسة التي أتشرف بتقديمها، قد أبرزت كثيرًا من المظاهر الحضارية للحكم الأموي في الأندلس.

الحمد الله سبحانه وتعالى على العون والتوفيق والهداية.

الملاحـــــــــق

- **ملحق رقم (١):**

أسماء الحكام الأمويين في الأندلس(١):

أولا: الحكام في عهد الإمارة(١٣٨-٣١٦هـ):

١- الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام (بالداخل) (١٣٨-١٧٢هـ).
٢- الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل (١٧٢- ١٨٠هـ).
٣- الأمير الحكم بن هشام (الربضي) (١٨٠-٢٠٦هـ).
٤- الأمير عبدالرحمن الأوسط بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ).
٥- الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨-٢٧٣هـ).
٦- الأمير المنذر بن محمد (٢٧٣-٢٧٥هـ).
٧- الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ).
٨- الأمير عبد الرحمن بن محمد (٣٠٠-٣٥٠هـ).

ثانيا: الحكام في عهد الخلافة(٣١٦-٤٢٢هـ):

١- الخليفة الناصر عبد الرحمن بن محمد (٣٠٠-٣٥٠هـ).
٢- الخليفة الحكم المستنصر بن الناصر (٣٥٠-٣٦٦هـ).
٣- الخليفة هشام المؤيد بن الحكم المستنصر (٣٦٦-٣٩٩هـ).
٤- الخليفة المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر (٣٩٩-٤٠١هـ).
٥- الخليفة المستعين سليمان بن الحكم بن سليمان حفيد الناصر (٤٩٩-٤٠٠هـ).
٦- الخليفة هشام المؤيد بن الحكم (ولايته الثانية) (٤٠٠-٤٠٣هـ).
٧- الخليفة المستعين سليمان بن الحكم(ولايته الثانية) (٤٠٣-٤٠٧هـ).
٨- الخليفة المستظهر بالله عبد الرحمن بن هشام (ظل في الحكم ٤٧يوما في سنة ٤١٤هـ).
٩- الخليفة المستكفي محمد بن عبد الرحمن بن عبدالله الناصر (٤١٤- ٤١٦هـ).

١٠-الخليفة المعتمد هشام بن محمد بن عبدالله بن عبد الرحمن الناصر (٤١٨-٤٢٢هـ).

---

(١) ابن أمير المؤمنين: تاريخ الأندلس، ص٢١-٣٣؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٠٠-٣٠١؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص١٧-١٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٦٣-٦٤؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص٤٢٥وما بعدها؛ الحميدي: جذوة المفتبس، ج١، ص٢٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٥، ص٢٢٧.

- **ملحق رقم (٢):**

نموذج لكاتب الانشاء في عهد الأمويين يتمثل في مرسوم الخليفة الأموي هشام المؤيد لسنة ٣٩٩هـ بجعل عبد الرحمن شنجول ولي عهده.

هذا ما عهد به أمير المؤمنين هشام المؤيد بالله أطال الله بقاءه إلى الناس عامة وعاهد الله عليه من نفسه خاصة، وأعطى عليه صفقة يمينه ببيعة تامة بعد أن أمعن النظر، وأطال الاستخارة وأحسنه ما جعله الله إليه من إمامة المسلمين وخصه به من إمرة المؤمنين، راعى حلول القدر بما به يؤمن، وخاف نزول القضاء بما لا يصرف، وخشي إن هجم محتوم ذلك عليه ونزل مقدور ذلك به ولم يرفع /لهذه الأمة علماً تأوي إليه ولم يوردها ملجأ تنعطف عليه أن يكون يلقى الله مفرطاً فيها ساهياً عن آداء الحق إليها، ونفض عن ذلك طبقات الرجال من أحياء قريش وغيرها ممن يستحق أن يسند الأمر إليه ويعول في القيام به عليه ممن يستوجبه بدينه وأمانته وهديه وورعه بعد اطراح من الهوى والتجرد للحق والتزلف إلى الله عز وجل بما يرضيه. وإن قطع الأواصر وأسخط الأقارب عالماً بأن لا شفاعة عنده أعلى من العمل الصالح، وموقناً أن لا وسيلة إليه أرضى من الدين الخالص، فلم يجد أحد هو أجدر أن يقلده الخلافة ويفوض إليه النظر في أمر الخلافة بعده في فضل نفسه وكرم قيمه وشرف قيمه وعلو منصبه مع تقواه وعفافه ومعرفته وحزمه من المأمون الغيب الناصح الجيب النازح عن كل عيب ناصر الدولة أبي المظفر عبد الرحمٰن بن المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر رفعه الله إذ كان أمير المؤمنين قد ابتلاه واختبره ونظر في شأنه واعتبره، فرآه مسارعاً إلى الخيرات مستولياً على الغايات جامعاً للمأثور، وارثاً للمكرمات، يجذب بضبعيه إلى أرفع منازل الطاعة ويسموا بهمته إلى أعلى الدرج في النصيحة، أب منقطع القرين، وصنو معدوم النظير، ومن كان المنصور أباه والمظفر أخاه فلا غرو أن يبلغ في سبيل الخير مداه، ويجري من حلل المجد بما حواه مع أن أمير المؤمنين أكرمه الله لما أطلعه من مكنون الغيب ووعاه من مخزون الأثر أمل أن يكون ولي عهده القحطاني الذي حدث عنه عبد الله بن عمرو بن العاص، وأن يتحقق فيه ما أسنده أبو هريرة إلى النبي ﷺ: «أن لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق العرب بعصاه». فلما استوى له الاختيار، وتقابلت عنده فيه الآثار، ولم يجد عنه مذهباً ولا على غيره معولاً، خرج إليه من تدبير الأمر في حياته، وفوض إليه النظر في الخلافة بعد مماته، طائعاً راضياً مجتهداً متخيراً غير مجاب له ولا مائل بهواه إليه، ولا متروك نصح الإسلام وأهله فيه، وجعل إليه الاختيار لهذه الأمة بولاية عهده فيها إن رأى ذلك في أمير المؤمنين أعزه الله أمضى أمير المؤمنين أعزه الله عهده هذا، وأنفذه وأجازه وبتله ولم يشترط فيه مثنوية ولا خياراً، وأعطى على الوفاء بذلك سره وجهره وقوله وفعله عهد الله وميثاقه وذمة نبيه ﷺ /وذمة الخلفاء الراشدين من الذين أمامه، وذمة نفسه بأن لا يُبدل ولا يُغير ولا يحوّل ولا يتأوّل، وأشهد على ذلك الله وملائكته، وكفى بالله شهيداً، وأشهد عليه من أوقع اسمه في هذا الكتاب، وهو أعزه الله جائز الأمر ماضي القول والفعل بمحضر من ولي عهده المأمون ناصر الدولة أبي المظفر عبد الرحمٰن بن المنصور وفقه الله، وقبوله لما قلده والتزامه لما ألزمه. وذلك في شهر ربيع سنة تسع وتسعين وثلاثمائة. (١)

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام ، ج٢، ص٨٦-٨٧.

- **ملحق رقم(٣):**

لوحات لبعض الدنانير والدراهم التي ضربت في عهد بني أمية في الأندلس:

درهم ضرب في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل (١).درهم ضرب في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط(٢).

درهم ضرب في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط(٣).درهم ضرب في عهد الأميرعبد الله بن محمد (٤).

---

(١) السويدان: الأندلس التاريخ المصور، ص١٢٢.

(٢) المرجع نفسه، ص١٣٧.

(٣) المرجع نفسه، ص١٤١.

(٤) المرجع نفسه، ص١٤٩.

درهم يعود إلى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ضرب سنة ٢٢٩هـ (١).

فلس الإمارة الأموية يعود إلى عهد الأمير عبد الله بن محمد (٢).

(١) السويدان : المرجع السابق، ص١٦٣.

(٢) المرجع نفسه،ص١٩٣.

دينار ضرب في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر(١).درهم ضرب في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر(٢).

دينار يعود ضربه إلى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٣١هـ (٣)

---

(١) السويدان: المرجع السابق، ص١٥٣.

(٢) المرجع نفسه، ص١٥٦.

(٣) المرجع نفسه، ص١٩٣.

- **ملحق رقم(٤):**

نماذج للآلات التي كان يستخدمها المزارعون في سقي الأراضي الزراعية في الأندلس:

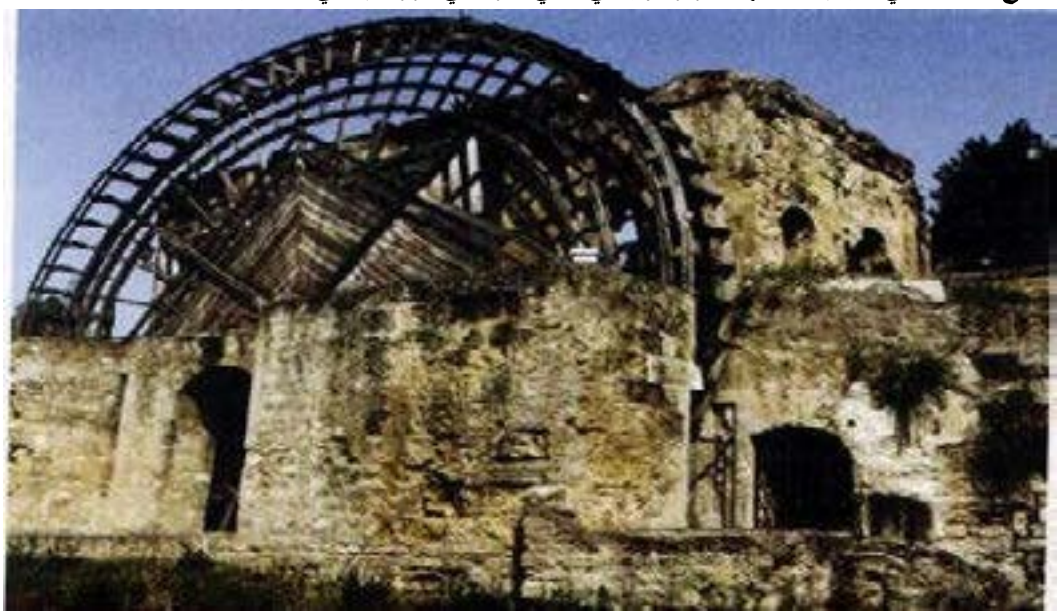

النواعير لرفع مياه الأنهار إلى الأراضي الزراعية في الأندلس .

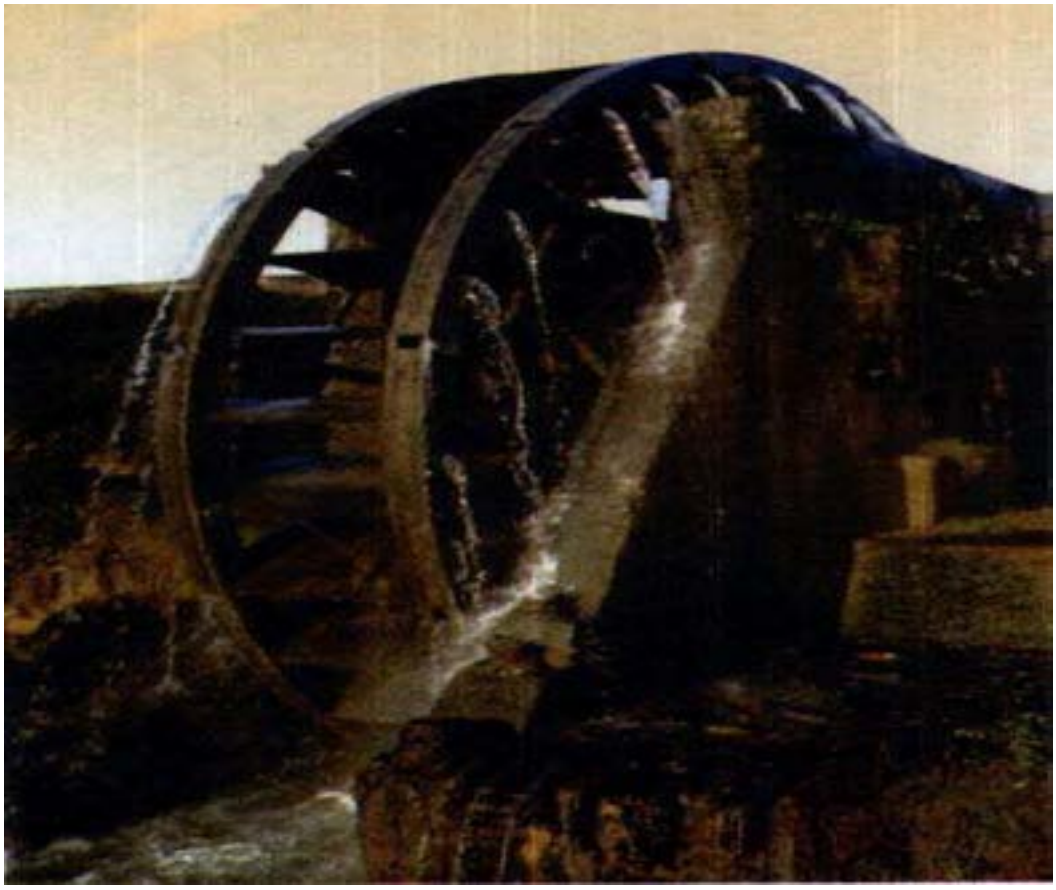

عجلة مياه عربية اشتهرت في عهد الأمويين(١).

(١) السويدان: المرجع السابق، ص١٩٩، ٢٠٠.

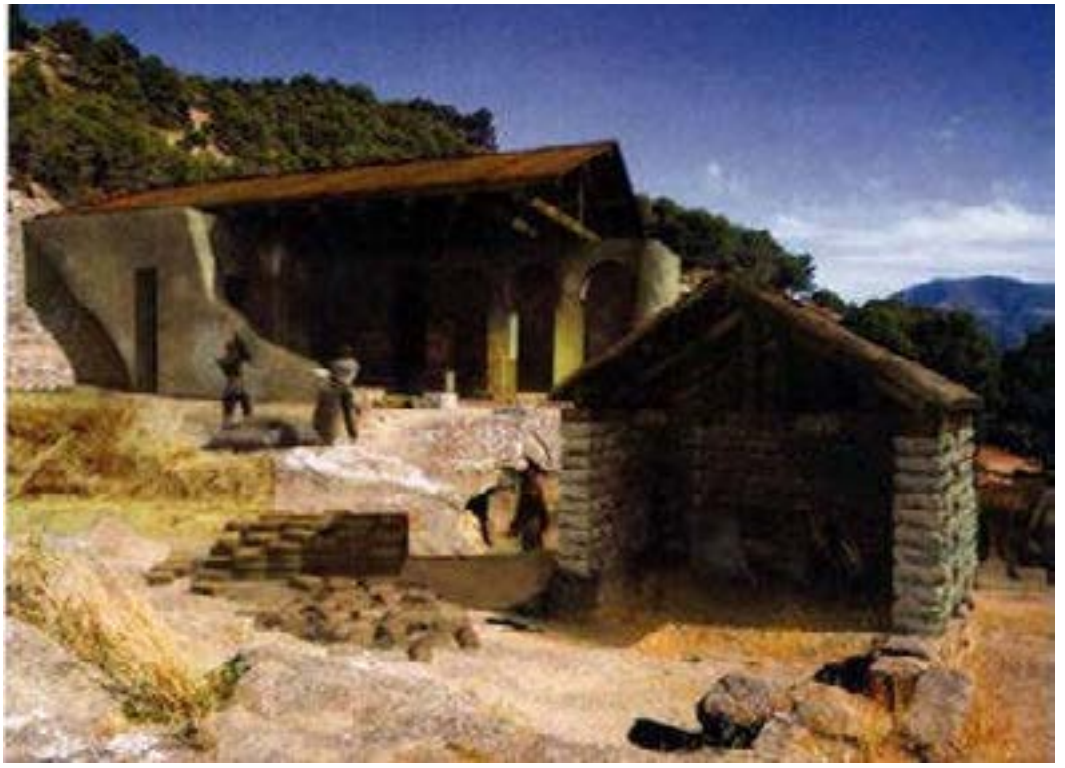

نموذج لكيفية تخزين الحبوب في الأندلس(١).

- **ملحق رقم (٥):**

صور تبين روعة الفن المعماري الذي حظي بها جامع قرطبة في عهد بني أمية:

أعمدة الجامع الكبير بقرطبة(٢).

---

(١) السويدان: المرجع السابق، ص٧٦.

(٢) المرجع نفسه، ص٧٠.

محراب الجامع الكبير في قرطبة في زمن الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل(١).

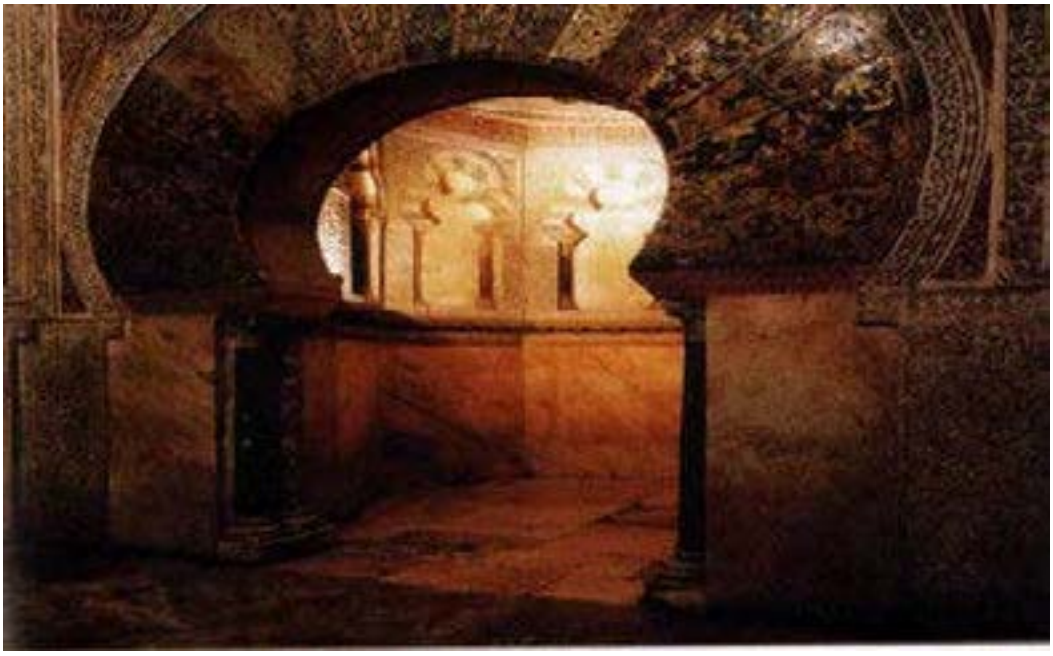

محراب جامع قرطبة بعد التجديدات التي أضيفت عليه في عهد الأمويين المزينة بالفسيفساء(٢).

---

(١) السويدان: المرجع السابق، ص١٢٣.

(٢) المرجع نفسه، ص١٣٢.

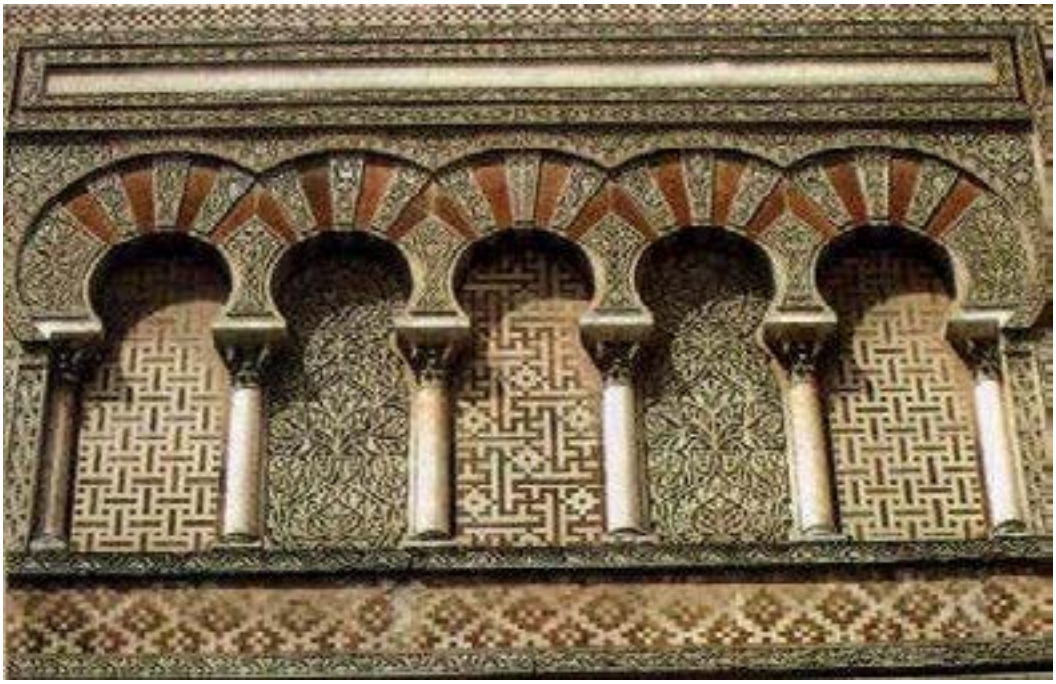

مقاطع تدل على روعة الفن المعماري لزخرفة الجامع الكبير بقرطبة(١).

- **ملحق رقم (٦):**

صور تبن فخامة القصور والقاعات في عهد الأمويين:

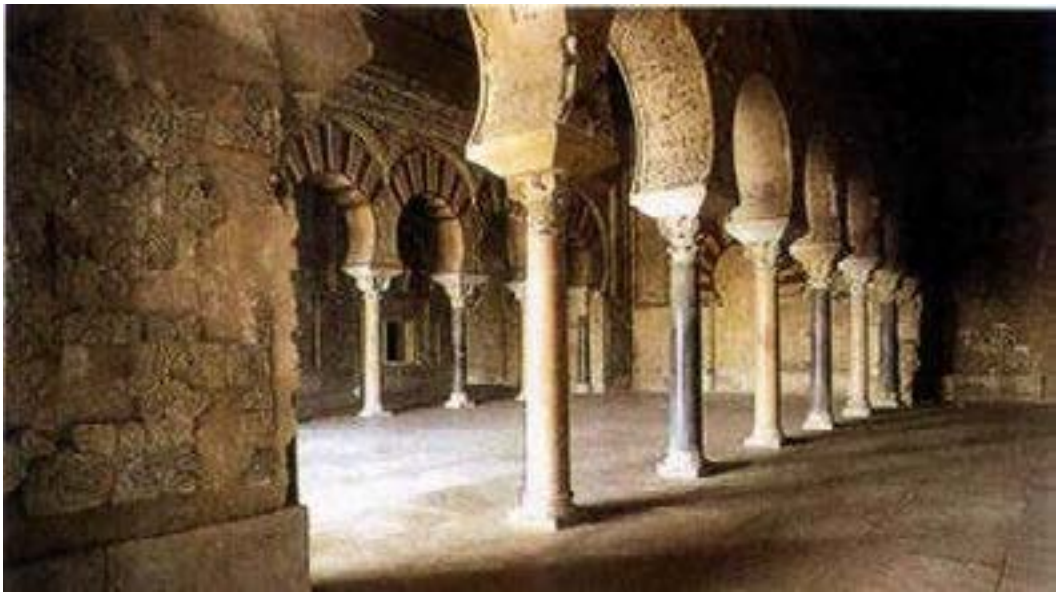

القاعة الفنية في مدينة الزهراء (٢).

(١) السويدان : المرجع السابق ،ص١٢٥.

(٢) المرجع نفسه، ص١١٣

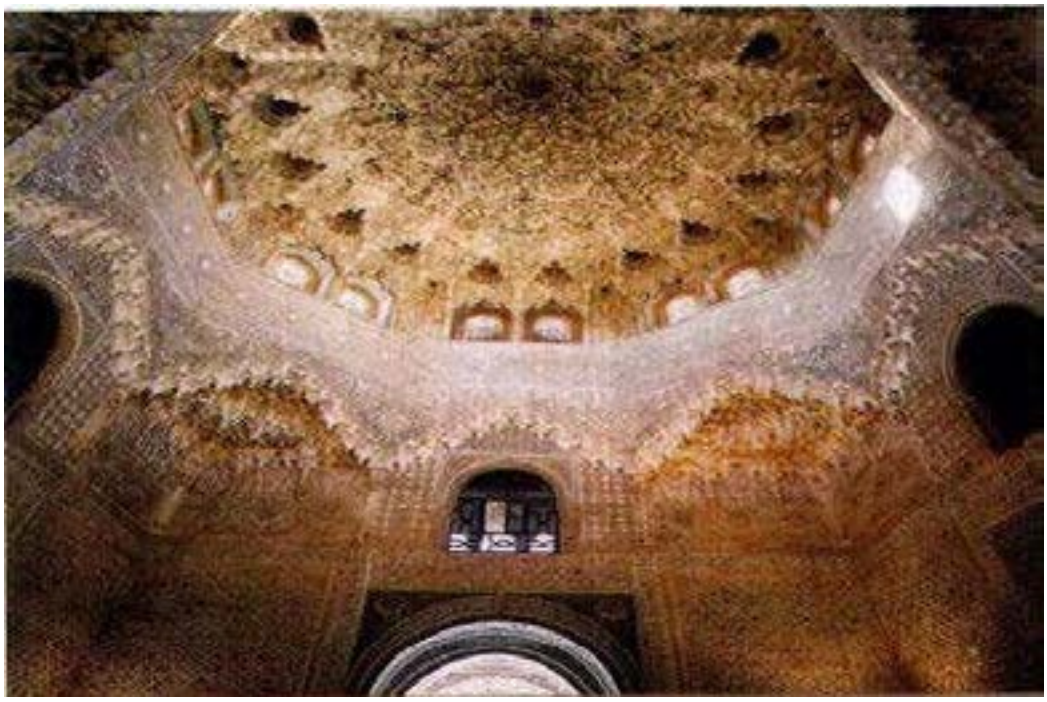

القبة العظيمة المدهشة في قصر الزهراء(١).

بقايا مدينة الزهراء(٢).

---

(١) السويدان: المرجع السابق، ص١٤٥.

(٢) المرجع نفسه، ص١٨٢

- **ملحق رقم (٧):**

نموذج يدل على روعة التصميم والتشكيل لبناء الحمامات في عهد الأمويين بالأندلس:

الحمامات في ظل دولة الأمويين، تظهر مدى الترف الذي عاشه ولاة الأمر (١).

- **ملحق رقم (٨):**

نماذج لأحد الأسوار المحاطة بالمدن، وكيفية التفنن في بناء القلاع:

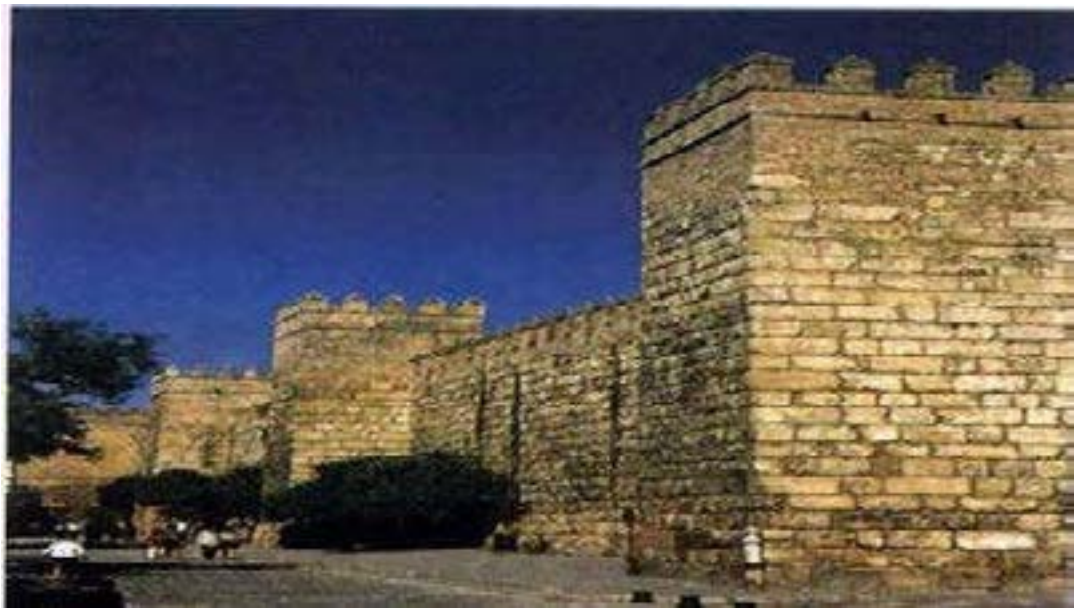

سور مدينة إشبيلية الذي بناه الأمير عبد الرحمن الأوسط(٢).

---

(١) السويدان: المرجع السابق، ص١٦٠.

(٢) المرجع نفسه، ص١٣٨.

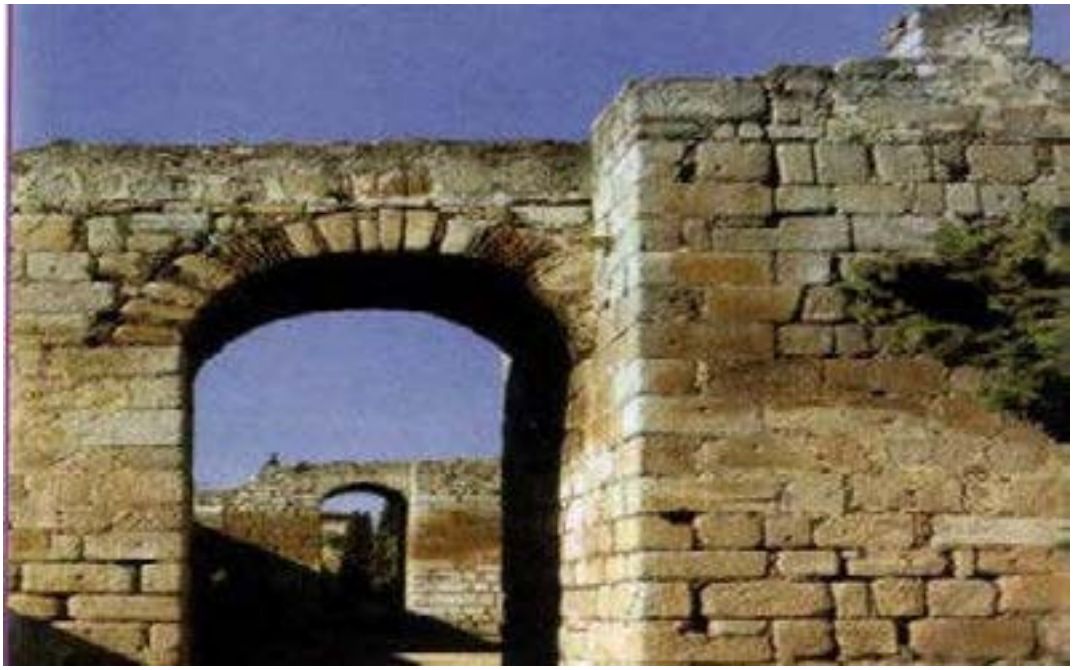

قلعة على الطراز الأموي في الأندلس(١).

(١) السويدان: المرجع السابق، ص٧٨.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

القرآن الكريم.

***ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن القضاعي البلنسي (ت٦٥٨هـ):**

١- التكملة لكتاب الصلة، نشره: عزت العطار، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٥م.

٢-الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

***ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم(ت٦٣٠هـ):**

٣- الكامل في التاريخ، تح: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

*** الإدريسي، محمد بن محمد بن عبدالله(ت٥٦٠هـ):**

٤- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، عالم الكتاب، بيروت، ١٤٠٩هـ.

*** الأزدي، أبو داود سليمان بن الأشعث(ت٢٧٥هـ):**

٥- سنن أبي داود، تح: شعيب الأرناؤوط - ومحمد كمال قرة، ط١، ج١، دار الرسالة العلمية، بيروت، ٢٠٠٩م.

*** الأصبحي، محمد بن علي بن محمد الأندلسي(ت٨٩٦هـ):**

٦- بدائع السلك في طبائع الملك، تح: علي سالم النشار، ط١، وزارة الإعلام، بغداد، د.ت.

*** الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي(ت٣٤٦هـ):**

٧-المسالك والممالك، دار صادر بيروت، ٢٠٠٤م.

*** الأطروشي، الإمام الناصر للحق الحسن بن علي(ت٣٠٤هـ):**

٨- الاحتساب، تح: عبد الكريم أحمد جدبان، ط١، مكتبة التراث الإسلامي، صعدة ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

***ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم(ت٦٨٤هـ):**

٩- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.

***ابن أمير المؤمنين، إسماعيل بن إبراهيم(ب.و):**

١٠- تاريخ الأندلس من خلال مخطوط قيم (تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط)، تح: أنور محمود زناتي، جامعة عين شمس، د.ت.

***ابن بسام، علي بن بسام الشنتريني(ت٥٤٢هـ):**

١١- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، ط١، الدار العربية، ليبيا، ١٩٧٩م.

*** ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك(ت٥٧٨هـ):**

١٢- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، صح: عزة العطار، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٥م.

*** البغدادي، عبد القادر بن عمر(ت١٠٩٣هـ) :**

١٣- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: محمد نبيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

*** البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي(٤٨٧هـ):**

١٤- المسالك والممالك، دار العرب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢م.

***البكري، أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف(ت٧٦٢هـ):**

١٥- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.

*** البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر(ت٢٧٩هـ):**

١٦- فتوح البلدان، تح: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

*** البيهقي، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد(٤٥٨هـ):**

١٧- تاريخ بيهق، ط١، دار اقرأ، دمشق، ١٤٢٥هـ.

*** البلخي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف(ت٢٨٧هـ):**

١٨-مفاتيح العلوم، تح: إبراهيم الإبياري، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠م.

*** االتُّسُولي، أبو الحسن علي بن عبد السلام(ت١٢٥٨هـ):**

١٩- البهجة في شرح التحفة ((شرح تحفة الحكام))، تح: محمد عبد القادر، ط١، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

*** الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني(ت٢٥٥هـ):**

٢٠- التبصرة في التجارة في وصف ما يستطرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلام النفيسة والجواهر الثمينة، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م.

*** ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي(ت٦١٤هـ):**

٢١- رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د. ن.

***ابن جلجل، أبو داود سليمان(ت القرن الرابع الهجري):**

٢٢- طبقات الأطباء والحكماء، تح: فؤاد السيد أمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

*** ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن(ت٥٩٧هـ):**

٢٣- زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ.

***ابن حزم القرطبي، علي بن أحمد بن سعيد(ت٤٥٦هـ):**

٢٤-جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢م.

٢٥-رسائل ابن حزم الأندلسي، تح: إحسان عباس، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧م.

٢٦- الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٥م.

***ابن حزم القرطبي، علي بن أحمد(ت٤٥٦هـ)، وابن سعيد الشقندي(ت القرن الخامس الهجري):**

٢٧- فضائل الأندلس وأهلها، تح: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ١٩٦٨م.

*** الحموي، الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي البغدادي(ت٦٢٦هـ):**

٢٨- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٠م.

*** الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الميورقي(ت٤٨٨هـ):**

٢٩- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م.

***الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم(ت٩٠٠هـ):**

٣٠- الروض المعطار في أخبار الأقطار، تح: إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للطباعة، بيروت، ١٩٨٠م.

٣١- صفة جزيرة الأندلس، صح: إ. ليفي بروفسال، ط٢، دار الجيل الجديد، بيروت، ١٩٨٨م.

*** ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي(ت٣٦٧هـ):**

٣٢- صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ١٩٣٨م.

*** ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي(ت٤٦٩هـ):**

٣٣- المقتبس من أنباء الأندلس، تح: محمود علي مكي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٠هـ.

***ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد(ت٥٢٩هـ):**

٣٤- مطمع الأنفس ومصرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تح: محمد علي شوابكة، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.

*** الخزاعي، أبو الحسن علي بن محمد(ت٧٩٨هـ):**

٣٥- تخريج الدلالات السمعية، تح: إحسان عباس، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٩هـ.

***الخشني، أبو عبدالله محمد بن الحارث(ت٣٦١هـ):**

٣٦- قضاة قرطبة وعلماء أفريقيا، صححه: السيد عزت العطار، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م.

٣٧- أخبار الفقهاء والمحدثين، تح: ماريا لويس، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٩١م.

***ابن الخطيب الغرناطي، لسان الدين محمد(ت٧٧٦هـ):**

٣٨- الإحاطة في أخبار غرناطة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.

٣٩- إعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق ذلك من الكلام، تح: سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

***ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي(ت٨٠٨هـ):**

٤٠- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م.

٤١- المقدمة، تح: عبد السلام الشدادي، ط١، بيت العلوم والفنون والآداب، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م.

***ابن خلكان، شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر(ت٦٨١هـ):**

٤٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م.

***الداووي، محمد بن علي بن أحمد(ت٩٤٥هـ):**

٤٣- طبقات المفسرين للداووي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

*** الدينوري، أبو محمد عبد الله بن قتيبة(ت٢٧٦هـ):**

٤٤- تأويل مختلف الحديث، ط٢، المكتب الإسلامي، مؤسسة الإشراق، القاهرة، ١٩٩٩م.

***الذهبي، الحافظ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد(ت٧٤٨هـ):**

٤٥- تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام، تح: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م.

٤٦- تذكرة الحفاظ، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٨م.

٤٧-سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.

***الزُّبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن(ت٣٧٩هـ):**

٤٨- طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٣م.

*** الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو(ت٥٣٨هـ):**

٤٩- الفائق في غريب الحديث والأثر، تح: علي محمد البجاوي، ط٢، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

*** أبو السعادات، مجد الدين بن محمد بن محمد(ت٦٠٦هـ):**

٥٠- النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.

***ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري(ت٢٣٠هـ):**

٥١-الطبقات الكبرى، تح: زياد محمد منصور، ط٢، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ.

***ابن سعيد المغربي، علي بن موسى(ت٥٨٦هـ):**

٥٢- المغرب في حلى المغرب، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٥م.

***السلاوي، أبو العباس أحمد بن ناصر(ت١٣١٥هـ):**

٥٣- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، ج١، الدار البيضاء، تونس، ١٩٩٧م.

***ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي(ت٤٥٨هـ):**

٥٤- المخصص، تح: خليل إبراهيم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٥٥- المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

***السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان(ت٣٦٨هـ):**

٥٦- أخبار النحويين البصريين، تح: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم، الأزهر الشريف، ١٩٦٦م.

***السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن كمال الدين(ت٩١١هـ):**

٥٧- بغية الوعاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، المكتبة العصرية، لبنان، د.ت.

٥٨- تاريخ الخلفاء، تح: محيي الدين عبدالمجيد، ط١، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

*** الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي(ت٧٩٠هـ):**

٥٩- الموافقات، تح: أبو عبيدة مشهور، ط١، دار ابن عثمان، ١٩٩٧م.

*** ابن شمائل، عبد المؤمن عبد الحق البغدادي(ت٧٣٩هـ):**

٦٠- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، دار الجيل الجديد، بيروت، ١٤١٢هـ.

*** الشيباني، أبو عمر إسحاق بن مرارة(ت٢٠٦هـ):**

٦١- الجيم، تح: إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٤م.

*** الصدفي، عبد الرحمن بن أحمد(ت٣٤٧هـ):**

٦٢- تاريخ ابن يونس المصري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ.

***الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(٤٦٣هـ):**

٦٣- الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت،١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

*** الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد(ت٥٩٩هـ):**

٦٤- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ج١، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

***الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير(ت٣١٠هـ):**

٦٥- تاريخ الرسل والملوك، ط٢، دار التراث، بيروت، ١٣١٧هـ.

*** الطرسوسي، إبراهيم بن علي بن أحمد(ت٧٥٨هـ):**

٦٦- تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، تح: عبد الكريم أحمد مطيع، ط٢، جامعة الرياض، د.ت.

*** الطرطوشي، أبو بكر محمد بن محمد المالكي(ت٥٢٠هـ):**

٦٧- سراج الملوك، أوائل المطبوعات العربية، مصر، ١٨٧٢م.

*** ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله(ت٢٥٧هـ):**

٦٨- فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٤١٥هـ.

***ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد(٣٢٨هـ):**

٦٩- ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد: العقد الفريد، ط١، دار الكنب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ.

*** ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله(ت١٢٣٣هـ):**

٧٠- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، تح: زهير الشاويش، ط١، المكتبة الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٢م.

*** ابن عذارى، أبو عبد الله محمد المراكشي(كان حيًّا سنة ٧١٢هـ):**

٧١- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. س . كولان، وليفي بروفنسال، ط٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م.

*** العذري، أحمد محمد عمر(ت٤٧٨هـ):**

٧٢- ترصيع الأخبار وتنوع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تح: عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥م.

*** ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن(ت٥٧١هـ):**

٧٣- تاريخ دمشق، تح: عمر بن غرامه العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

*** العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل(ت٣٩٥هـ):**

٧٤- الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، ١٩٩٠م.

***ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي(١٠٨٩هـ):**

٧٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٦م.

*** العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي(ت٧٤٩هـ):**

٧٦- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ.

*** ابن الفراء، أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف(ت٤٨٥هـ):**

٧٧- الأحكام السلطانية للفراء، صححه: محمد حامد الفقيه، ط٢، دار الكتاب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

*** ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد(ت٧٩٩هـ):**

٧٨- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحمدي، دار التراث للطباعة، القاهرة، د.ت.

***ابن الفرضي، عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي(ت٤٠٣هـ):**

٧٩- تاريخ علماء الأندلس، صح: السيد عزت العطار الحسيني، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.

*** أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود(ت٧٣٢هـ):**

٨٠- المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية، مصر، ١٩٨٥م.

*** ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد الهمداني(ت٣٦٥هـ):**

٨١- البلدان، تح: يوسف الهاوي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م.

*** الفيروز آبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ):**

٨٢- القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م.

*** ابن قدامة: أبو الفرج بن قدامة البغذادي(ت٣٣٧هـ):**

٨٣- الخراج وصناعة الكتابة، ط١، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م.

٨٤-نبذة من كتاب الخراج وصفة الكتابة، مطبعة دي غويه، لندن، ١٨٨٩م.

*** القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس(ت٦٨٤هـ):**

٨٥- الذخيرة، تح: محمد بو خبزة، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م.

*** القزويني، زكريا بن محمد بن محمود(ت٦٨٢هـ):**

٨٦- آثار العباد وأخبار البلاد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٠م.

*** القفطي، أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف(ت٦٤٦هـ):**

٨٧- إنباه الرواة على أنباء النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٢م.

***القلقشندي، أحمد بن علي(ت٨٢١هـ):**

٨٨- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تح: يوسف علي طويل، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٩م.

٨٩- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح: إبراهيم الأبياري، ط٢، ج١، دار الكتب المصرية، ١٩٨٢م.

*** ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز(٣٦٧هـ):**

٩٠- تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب المصرية، القاهرة، ١٩٨٩م.

*** الكاساني، علاء الدين أبي بكر بن مسعود(ت٥٨٧هـ):**

٩١- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.

***الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد(ت٧٦٤هـ):**

٩٢- فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.

***ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل(ت٧٧٤هـ):**

٩٣- البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦م.

*** الماتردي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود(ت٣٣٣هـ):**

٩٤- تفسير الماتردي، تح: مجدي باسلوم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.

***ابن ماجه، الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني(ت٢٧٣هـ):**

٩٥- السنن، تح: محمود فؤاد عبد الباقي، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤م.

*** الإمام مالك بن أنس(ت١٧٩هـ):**

٩٦- الموطأ، تح: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد، الإمارات، ٢٠٠٤م.

*** الماوردي، علي بن محمد بن محمد البصري(ت٤٥٠هـ):**

٩٧- الأحكام السلطانية، ج١، دار الحديث، القاهرة، د.ت.

*** ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب(ت٦٩٠هـ):**

٩٨- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسمى تاريخ المستبصر، اعتنى بتصحيحه: أوسكر لوفجرين، ط٢، دار التنوير، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

*** با مخرمة، أبو محمد الطيب بن عبدالله(ت٩٤٧هـ):**

٩٩- تاريخ ثغر عدن، تح: أوسكر لوفجرين، ط٢، دار التنوير، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

***المراكشي، عبدالواحد بن علي(ت٦٤٧هـ):**

١٠٠- المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تح: صلاح الدين الهواري، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م.

***المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين(ت٣٤٦هـ):**

١٠١- التنبيه والإشراف، تح: عبد الله إسماعيل، دار الصاوي، القاهرة، ١٩٩٠م.

***المقدسي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر(ت٣٩٠هـ):**

١٠٢- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، مطبعة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م.

***المقري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد(ت١٠٤١هـ):**

١٠٣- نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م.

١٠٤- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تح: مصطفى السقاء، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٣٩م.

***المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر(ت٨٤٥هـ):**

١٠٥-المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

١٠٦- السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

***مؤلف مجهول:**

١٠٧- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، تح: إبراهيم الأيباري، ط١، دار الكتاب، بيروت، ١٩٨٩م.

***مؤلف مجهول:**

١٠٨- ارتفاع الدولة المؤيدية: جباية بلاد اليمن في عهد السلطان المؤيد داود بن يوسف الرسولي المتوفى سنة ٧٢١هـ، تح: محمد عبد الرحيم جازم، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، المعهد الألماني للآثار، صنعاء، ط١، ٢٠٠٨م .

*** مؤلف مجهول:**

١٠٩- حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تح، وتر: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

*** المنجم، إسحاق ابن الحسين(ت.ق٤هـ):**

١١٠- آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، ط١، دار الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ.

***النباهي، أبو الحسن بن عبد الله(المتوفى بعد سنة ٧٩٢هـ):**

١١١- تاريخ قضاة الأندلس، شرحه وصححه: مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

***النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت ٧٣٣هـ):**

١١٢- نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

*** الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام(ت٢٢٤هـ):**

١١٣- غريب الحديث، تح: محمد عبد المعيد خان، ط١، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٦٤م.

*** الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب(ت٣٣٤هـ):**

١١٤- الجوهرتين العتيقتين المانعتين من الصفراء والبيضاء، تح: كريستوفر تول، ط٢، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، ١٩٨٥م.

***ابن الوردي، أبو جعفر سراج الدين عمر بن المظفر(ت ٧٤٩هـ):**

١١٥- تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١١٦-خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تح: أنور محمد، ط١، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٨م.

*** اليحصبي، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى(٥٤٤هـ):**

١١٧- الإلمام إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تح: السيد أحمد صقر، ط١، دار التراث، القاهرة، ١٩٧٠م.

١١٨- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح: سعيد أحمد أعراب، ط١، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، ١٩٨٣م.

*** اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر(نهاية القرن الثالث الهجري):**

١١٩- البلدان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.

*** اليعمري، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون(ت٧٩٩هـ):**

١٢٠- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحمدي، دار التراث، القاهرة، ١٩٩٠م.

ثانياً: المراجع:

* **إبراهيم مصطفى، وآخرون:**

١٢١- المعجم الوسيط، دار الدعوة، بيروت، ١٩٩٠م.

***إحسان عباس:**

١٢٢- تاريخ الأدب الأندلسي في عصر سيادة قرطبة، ط١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠م.

***أحمد بدر:**

١٢٣- الحضارة العربية الإسلامية، ط٢، جامعة دمشق، سوريا، ١٩٩٥-١٩٩٦م.

* **أحمد عبد العال كمال:**

١٢٤- الطريق إلى المدائن، ط١، القاهرة، ١٩٨٦م.

* **أحمد فكري:**

١٢٥- قرطبة في العصر الإسلامي (تاريخ وحضارة)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٣م.

* **بروفنسال، ليفي:**

١٢٦- الحضارة العربية في إسبانيا، تر: الطاهر أحمد مكي، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤م.

* **بييكروسا، خوسي ماريا مياس:**

١٢٧-علم الفلاحة عند المؤلفين العرب بالأندلس، تح: عبد اللطيف الخطيب، منشورات أهل الحديث، معهد مولاي الحسين، تطوان، ١٩٥٧م.

*** الجزيري، عبد الرحمن بن محمد بن عوض:**

١٢٨- الفقه على المذاهب الأربعة، قسم العبادات، ط١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة ،٢٠٠١م.

*** جواد علي:**

١٢٩- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٩، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠١م.

*** حامد الشافعي دياب:**

١٣٠- الكتب والمكتبات في الأندلس، ط١، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨م.

*** الحسني، أبو إبراهيم محمد بن إسماعيل:**

١٣١- التنوير شرح الجامع الصغير، تح: محمد إسحاق، ط١، مكتبة دار الإسلام، الرياض، ٢٠١١م.

*** حسن إبراهيم حسن:**

١٣٢- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٥، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠١م.

*** الحميدي، أحمد مختار:**

١٣٣-معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، عالم الكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م.

*** خطاب، محمود شيت:**

١٣٤- قادة فتح الأندلس، ط١، المنار، بيروت، ٢٠٠٢م.

* **خلاف، عبد الوهاب:**

١٣٥- السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية، ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٨٨م.

* **الخولي، عبد البديع عبد العزيز عمر:**

١٣٦- الفكر التربوي في الأندلس (٤٠٣-٤٨٧هـ)، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٥م.

* **الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق:**

١٣٧- تاريخ آداب العرب، ج٣، دار الكتب العربي، بيروت، ١٩٩٠م.

* **الزركلي، خير الدين بن محمود بن فارس الدمشقي:**

١٣٨- الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م.

* زكار، **سهيل:**

١٣٩- في التاريخ العباسي والأندلسي السياسي والحضاري، ط٤، دار الكتاب، دمشق، ١٩٩٢م.

* **دوزي، رينهات بيتر آن:**

١٤٠- تكملة المعاجم العربية، تر: محمد سليم، ط١، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ٢٠٠٠م.

* **سالم عبد الله خلف:**

١٤١- نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ط١، ج١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ٢٠٠٣م.

***السامرائي، خليل إبراهيم، وآخرون:**

١٤٢- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط١، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ٢٠٠٠م.

* **السروري، محمد عبده:**

١٤٣- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدول المستقلة من سنة (٤٢٩-٦٢٦هـ)، ط١، الأهرام، القاهرة، ١٩٩٧م.

* **السديري، توفيق بن عبد العزيز:**

١٤٤- الإسلام والدستور، ط١، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، الرياض، ١٤٢٥هـ.

* **السلومي، عبد العزيز عبدالله:**

١٤٥- ديوان الجند (نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون)، ط١، مكتبة الطالب الجامعي، مكة، ١٤٠٦هـ.

* **السيد عبدالعزيز سالم:**

١٤٦- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة الأموية بقرطبة)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م.

١٤٧- تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٨م.

* **السيد عبد العزيز سالم، والعبادي، أحمد مختار:**

١٤٨- تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩م.

* **شجاب، محمد سالم:**

١٤٩- معجم وحدات المكاييل والمقاييس العالمية، ط١، مكتبة خالد بن الوليد، صنعاء، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

***شلبي، أحمد:**

١٥٠- موسوعة الحضارة الإسلامية، ط٨، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٩٤م.

*** شوقي ضيف، وأحمد شوقي عبد السلام:**

١٥١- المدارس النحوية، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.

*** صاعد الأندلسي، أبو القاسم:**

١٥٢- طبقات الأمم، مطبعة السعادة، القاهرة، د.ت.

*** الصلابي، علي محمد محمد:**

١٥٣- معاوية بن أبي سفيان شخصيته وعصره، ط١، دار الأندلس الجديدة، مصر، ٢٠٠٨م.

*** الطنطاوي، الشيخ علي:**

١٥٤- الجامع الأموي في دمشق، مطبعة الحكومة، دمشق، ١٩٩٠م.

*** ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد:**

١٥٥- التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.

*** العامري، عبد الرؤوف زين الدين محمد:**

١٥٦- فتح القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ.

*** العبادي، أحمد مختار:**

١٥٧- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، د.ت.

*** عبد الشافي محمد عبد اللطيف:**

١٥٨–السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ط١، دار السلام القاهرة، ١٤٢٨هـ.

***عنان، محمد عبدالله:**

١٥٩– دولة الإسلام في الأندلس حتى عهد الناصر، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٦٠– عصر الموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٩م.

*** عودة، عبد القادر:**

١٦١– التشريع الجنائي الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

*** فروخ، عمر:**

١٦٢– تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٠م.

*** الفيومي، أحمد بن محمد المقري:**

١٦٣– قاموس اللغة العربية، المسمى المصباح المنير، ج٢، د. ت. ن.

*** القلموني، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد:**

١٦٤– تفسير القرآن الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٠م.

*** كحالة، عمر رضا بن محمد الدمشقي:**

١٦٥– معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م.

*** كرد علي، محمد بن عبد الرزاق بن محمد:**

١٦٦-خطط الشام، ط٣، مكتبة النوري، دمشق، ١٩٨٣م.

*** لين – بول، ستانلي:**

١٦٧- قصة العرب في إسبانيا، تر: علي الجارم بك، مطبعة المعارف، مصر، ١٩٤٤م.

*** المازندراني، السيد موسى الحسيني:**

١٦٨- تاريخ النقود الإسلامية، ط٣، دار العلوم، بيروت، ١٩٨٨م.

*** المباركفوري، أبو العلا محمد بن عبد الرحمن:**

١٦٩- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

*** محمد محمود محمدين، وطه عثمان الفراء:**

١٧٠- المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، ط٤، دار المريخ، بيروت، ١٩٩٦م.

*** محمد منير مرسي:**

١٧١- التربية الإسلامية وأصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتاب، بيروت، ٢٠٠٥م.

***مؤنس، حسين:**

١٧٢- فتح المسلمبن الأندلس(رواية جديدة)، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ٢٠٠٠م.

١٧٣- فجر الأندلس: دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (٧١١-٧٥٦م)، ط١، دار المناهل، بيروت، ٢٠٠٢م.

١٧٤- معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط٣، دار الرشاد، ١٩٩٩م.

***النعنعي، عبد المجيد:**

١٧٥- تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، دار النهضة العربي، بيروت، ١٩٨٦م.

*** الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى:**

١٧٦- جواهر الأدب في أبيات وإنشاء لغة العرب، تح: لجنة من الجامعيين، منشورات المعارف، بيروت، ١٣٨٩هـ.

*** ول ديوارنت، ويليام جمس:**

١٧٧- قصة الحضارة، تر: زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م.

*** وهبة الزحيلي:**

١٧٨- الفقه الإسلامي وأدلته، ط٤، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م.

ثالثاً: المجلات والدوريات:

*** خايمة لويس نایاس بروس:**

١٧٩- ملاحظات حول سكة النقود الإسلامية في الأندلس، ملخصات صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، مج٤، ع١، ٢، مدريد، ١٩٥٦م.

*** النقشبندي، ناصر:**

١٨٠- نقود أندلسية، مجلة سومر، ج١، ع٧، مديرية الآثار القديمة العامة، بغداد، ١٩٥١م.

*** مياس بياكروز:**

١٨١- المؤلفات الأولى عن الإسطرلاب في إسبانيا العربية، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ع٣، ج١، ١٩٨٧م.

فهرس المحتويات	الصفحة
شكر وثناء	ب
المقدمة	١
تحليل المصادر والمراجع	٦
الدراسات السابقة	١١
تمهيد جغرافي تاريخي لبلاد الأندلس	
١- تسمية بلاد الأندلس وجغرافيتها	١٣
٢- الأندلس قبل الفتح الإسلامي	١٤
٣- الفتح الإسلامي للأندلس	١٥
٤- عصر الولاة (٩٥- ١٣٨هـ)	١٧
٥- الدولة الأموية في الأندلس(١٣٨- ٤٢٢هـ)	١٨
الفصل الأول المظاهر السياسية والإدارية	
أولا: النظام السياسي:	٢١
١- الإمارة:	٢١
أ) لقب الأمير ومدلوله	٢١
ب) كيفية انتقال الإمارة	٢٢
٢- الخلافة:	٢٣
أ) لقب الخليفة ومدلوله	٢٣
ب) كيفية انتقال الخلافة	٢٤
٣- مهام الحكام:	٢٤
٤- ولاية العهد	٢٧
٥- الحجابة	٣١
٦- الوزارة وتخصصاتها	٣٦
٧- الكتابة:	٤٠
أ) كاتب الرسائل	٤١

ب) كاتب الزمام	٤٥
ثانيا: النظام الإداري:	٤٧
١ـ الوالي	٤٩
٢ـ صاحب المدينة	٥٨
٣ـ صاحب الشرطة:	٦٠
أ) الشرطة الصغرى	٦١
ب) الشرطة العليا	٦١
٤ـ صاحب البريد	٦٣
الفصل الثاني **المظاهر المالية والقضائية والعسكرية**	
أولا: النظام المالي:	٦٧
١ـ الدواوين المالية:	٦٧
أ) الخزانة العامة :	٦٧
١ـ موارد الخزانة:	٧٠
أ) الموارد الشرعية:	٧٠
• الجزية	٧٠
• الخراج	٧١
• القطع	٧٢
• الغنيمة	٧٣
• العشور	٧٣
• السكة	٧٤
ب) الموارد غير الشرعية:	٧٤
• المصادرات	٧٥
• الضرائب	٧٥
٢ـ مصروفات الخزانة العامة:	٧٦
• نفقات القصر	٧٦

• الجامكيات	٧٦
• التعويضات	٧٧
• الوسايا	٧٧
• نفقات الجيش	٧٨
• مال الفدية	٧٨
• العطايا	٧٨
• السفارات	٧٩
• نفقات العمارة الدينية والمدنية	٧٩
ب) ديوان بيت المال	٨٠
ج) الديوان الخاص	٨٢
٢- العملات:	٨٣
أ) الدينار	٨٤
ب) الدرهم	٨٦
ج) الفلس	٨٦
ثانيا: النظام القضائي:	٨٧
١- مراتب القضاء:	٨٧
أ) قاضي الجماعة	٨٨
ب) قضاة المدن والبلدان	٩٢
٢- علاقة الحكام بالقضاء	٩٣
٣- مجلس القضاء	٩٦
٤- أنواع العقوبات	٩٩
٥- خطة الرد	٩٩
٦- المظالم	١٠٠
٧- المحتسب(صاحب السوق)	١٠٢
ثالثا: النظام العسكري:	١٠٥
١. القيادة	١٠٥

٢. اللواء	١٠٨
٣. العرض	١٠٩
٤. عناصر الجيش:	١٠٩
أ) العرب	١٠٩
ب) المماليك (الصقالبة)	١١٠
ج) البربر	١١٢
٥. الوحدات العسكرية:	١١٤
أ) الفرسان	١١٤
ب) المشاة (الرجالة)	١١٥
ج) الرماة	١١٦
د) الحشم	١١٧
ه) الطبالون	١١٨
٦. الأسطول:	١١٩
الفصل الثالث **مظاهر الحياة الاقتصادية**	
أولا: الزراعة:	١٢٤
١ـ مقومات الزراعة	١٢٤
٢ـ نظم الري ومراحل الزراعة	١٢٥
٣ـ ملكية الأرض	١٢٩
٤ـ نظام المناصفة	١٣٠
٥ـ كيفية جباية الضرائب ونوعها	١٣١
٦ـ أهم المحاصيل الزراعية	١٣٢
٧ـ الآفات الزراعية	١٣٥
٨ـ دور الدولة في تشجيع المزارعين	١٣٧
ثانيا: الصناعة:	١٣٩

١ـ مقومات الصناعة	١٣٩
٢ـ أهم الصناعات:	١٤٢
أ) **الصناعات المعدنية**	١٤٢
ب) **صناعات المنسوجات**	١٤٣
ج) **الصناعات الجلدية**	١٤٥
د) **الصناعات الخشبية**	١٤٥
ثالثا: التجارة:	١٤٨
١ـ أشهر المراكز التجارية:	١٤٩
أ) **بجانة**	١٤٩
ب) **المرية**	١٥٠
ج) **إشبيلية**	١٥١
د) **قرطبة**	١٥٢
٢ـ قانون تنظيم التجارة البحرية	١٥٣
٣ـ العلاقات التجارية:	١٥٣
أ) **مع المغرب**	١٥٣
ب) **مع المشرق الإسلامي**	١٥٥
ج) **مع العالم المسيحي**	١٥٨
الفصل الرابع **المظاهر العلمية والمعمارية**	
أولا: الحياة العلمية:	١٦١
١ـ عوامل ازدهار النهضة العلمية في الأندلس:	١٦١
أ) مشاركة الحكام الأمويين في كثير من العلوم	١٦١
ب) تشجيع الحكام الأمويين للعلم والعلماء	١٦٢
ج) الرحلات والاتصالات العلمية مع الأقطار الأخرى	١٦٤
د) بناء المؤسسات التعليمية	١٦٥
ه) استقرار الأوضاع في الأندلس	١٦٦

و) انتشار التعليم	١٦٧
ز) صناعة الورق	١٦٧
ح) انتشار حركة الترجمة والنسخ	١٦٨
٢ـ المؤسسات التعليمية:	١٦٩
أ) المساجد	١٦٩
ب) الكتاتيب	١٧٠
٣ـ مراحل التعليم وطرائقه	١٧١
٤ـ العلوم وازدهارها:	١٧٣
أ) العلوم الدينية:	١٧٣
• **القرآن**	١٧٣
• **علم الحديث**	١٧٥
• **الفقه**	١٧٦
ب) العلوم اللغوية:	١٧٨
• **اللغة والنحو**	١٧٨
• **الشعر والأدب**	١٨٠
ج) العلوم الإنسانية:	١٨٦
• **التاريخ والأنساب:**	١٨٦
ـ **الطبقات والتراجم**	١٨٦
ـ **كتب الأخبار**	١٨٧
ـ **تاريخ المدن**	١٨٨
ـ **الأنساب**	١٨٨
• **الجغرافيا**	١٨٩
• **الفلسفة**	١٩٠
د) العلوم التطبيقية:	١٩١
• **الطب والصيدلة**	١٩٢
• **الفلك والرياضيات**	١٩٥
• **الكيمياء**	١٩٧

٥- عناية الأندلسيين بالكتب وإنشاء المكتبات	١٩٨
٦- مصادر المكتبات وتنميتها:	٢٠٢
أ) الشراء	٢٠٢
ب) النسخ	٢٠٣
ج) الهبات والهدايا	٢٠٥
ثانيا: النهضة المعمارية:	٢٠٨
١- العمارة الدينية:	٢٠٨
أ) المساجد	٢٠٨
٢- العمارة المدنية	٢١٣
أ) المدن:	٢١٣
- مدينة الزهراء	٢١٤
- مدينة الزاهرة	٢١٨
ب) القصور	٢١٩
ج) الحمامات	٢٢٢
د) الفنادق	٢٢٥
ه) القناطر	٢٢٦
و) دور الصناعة	٢٢٨
ز) القيسارية	٢٣٠
٣- العمارة العسكرية:	٢٣١
أ) الأسوار	٢٣٢
ب) القلاع والحصون	٢٣٥
الخاتمة	٢٣٨
الملاحق	٢٤٣
المصادر والمراجع	٢٥٦
فهرس المحتويات	٢٨١